

أَصْحَابُ الْكِتَابِ

مِنْ حِكْمَةٍ

السُّؤَالُ الْأَعْظَمُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالْأَهْلِ

وَالْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ

سَمِعْتُهُ لِرَجُلٍ يَتَنَبَّأُ فِي رَأْيِهِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُعْظِمُ
السَّيِّدَ مُحَمَّدَ الْحُسَيْنِ الشَّيْرَازِيَّ
أَقْبَلُ إِلَيْكَ وَبِحَبَابَةٍ

مَنْشُورٌ

مُؤَسَّسَةُ الرِّبِّيَّةِ بِإِثْنِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ
مُؤَلَّفَاتُهُ - خَبَرَاتُهُ

مِنْ حِكْمَةٍ

السَّيِّئَاتِ إِلَى الْإِثْمِ
سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلَّفَ بَيْنَ يَدَيْهِ

وَالْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ

الفاتحة إلى روح المؤمنين والمؤمنات وإلى المرحوم

الحاج محمد علي المعلم

والرحومة خادمة أهل البيت عليهم السلام الملاية

أسماء محمد المطرود

(أم سعيد)



منشورات : مؤسسة أم أبيها عليها السلام ثقافية — خيرية

كربلاء المقدسة / شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام

الفرع المقابل لقاعة الرسول ﷺ مقابل فندق ربحانة المصطفى ﷺ

٠٠٩٦٤٧٨١١١٦٩٥٩٦

٠٠٩٦٤٧٧٠٢٧٨٧٧٨٣

من حياة

السَّيِّدِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ

وَالْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام

المرجع الديني الراحل

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

أعلى الله درجاته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ

صدق الله العلي العظيم

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .
أما بعد ، فهذا هو الجزء الأول من سلسلة (من حياة المعصومين) صلوات الله
عليهم أجمعين ، ويتضمن بعض الإشارات المختصرة لجوانب من حياة الرسول
الأعظم ﷺ ، وقد جعله الله تعالى أسوة لنا في مختلف أمورنا الدينية والدينية ،
قال عز وجل : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١) .

أسأل الله تعالى التوفيق والقبول إنه سميع مجيب .

قم المقدسة
محمد الشيرازي

النسب الشريف

هو محمد ﷺ بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم.

كنيته: أبو القاسم.

أمه: آمنه بنت وهب.

وأما: برة بنت أسد.

وكان وهب (جد النبي من الأم) سيد بني زهرة.

خطب عبد المطلب ﷺ آمنه عليها السلام لولده عبد الله ﷺ وزوجها به، وكان

عبد الله في الرابعة والعشرين من العمر.

وبعد زواجه منها خرج عبد الله في تجارة له إلى الشام وكانت آمنه حاملاً

بمحمد ﷺ، فلما عاد نزل على أخواله بني النجار بالمدينة فمرض هناك ومات،

ورسول الله ﷺ حمل، ويرى البعض أن مرض عبد الله كان بسبب سم من

بعض اليهود أرادوا القضاء على عبد الله حتى لا يولد منه النبي ﷺ.

ثم إن آباء النبي ﷺ إلى آدم عليه السلام وكذلك الأمهات التي حملت نوره

ﷺ المبارك، كلهم مؤمنون غير مشركين، قال تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي

السَّاجِدِينَ﴾^(١)، فهو ﷺ طهر طاهر مطهر من طهر طاهر مطهر، على تفصيل

ذكرناه في بعض كتبنا.

الولادة المباركة

وُلد النبي ﷺ بمكة المكرمة، يوم الجمعة، عند طلوع الفجر، في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول، عام الفيل، بعد شهر أو شهرين من هلاك أصحاب الفيل.

وقد أرسلت آمنة إلى عبد المطلب تبشره بمولد النبي ﷺ فسرّ بذلك وجاء إليها وهو يدعو الله ويشكر ما أعطاه، فقال:

الحمد لله الذي أعطانني هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان أعينه بالبيت ذي الأركان

حتى أراه مبلغ الفتيان أعينه من كل ذي شأن

حتى يكون بلغه الغشيان من حاسد مضطرب العنان

وكانت ولادته ﷺ في دار عبد الله، وقد وهبها رسول الله ﷺ بعد ذلك لعقيل بن أبي طالب عليه السلام، فلما توفي عقيل باعها ولده، ثم جعلت مسجداً يُصلي فيه وذلك أيام العباسيين^(١) وهو معروف إلى الآن، وكان المسلمون يزورنه ويصلون فيه ويتبركون به، ولما سيطر الوهابيون على مكة والمدينة قاموا بهدم آثار النبوة والرسالة، ومنعوا الناس من زيارته وهدموا بيت النبي ﷺ.

(١) قيل: إن أم هارون العباسي هي التي اشترته وجعلته مسجداً.

٣

رؤيا آمنة عليها السلام

روي: أنه قالت آمنة (رضوان الله عليها): لما قربت ولادة رسول الله ﷺ رأيت جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب الرعب عني، وأتيت بشربة بيضاء وكنت عطشى، فشربتها فأصابني نورٌ عال.

ثم رأيت نسوة كالنخل طوالاً تحدثني، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام الآدميين، حتى رأيت كالدباج الأبيض قد ملأ بين السماء والأرض، وقائل يقول: خذوه من أعز الناس.

ورأيت رجالاً وقوفاً في الهواء بأيديهم أباريق، ورأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوته، قد ضرب بين السماء والأرض في ظهر الكعبة، فخرج رسول الله ﷺ رافعاً إصبعة إلى السماء.

ورأيت سحابة بيضاء تنزل من السماء حتى غشيتها، فسمعت نداءً: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها والبحار، لتعرفوه باسمه ونعته وصورته، ثم انجلت عنه الغمامة فإذا أنا به في ثوب أبيض من اللبن، وتحتة حريرة خضراء، وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب، وقائل يقول: قبض محمد ﷺ على مفاتيح النصر والريح والنبوة.

ثم أقبلت سحابة أخرى فغيبته عن وجهي أطول من المرة الأولى، وسمعت نداءً: طوفوا بمحمد ﷺ الشرق والغرب، وأعرضوه على روحاني الجن والإنس، والطيور والسباع، وأعطوه صفاً آدم، ورقة نوح، وخلة إبراهيم، ولسان إسماعيل، وكمال يوسف، وبشرى يعقوب، وصوت داود، وزهد

يحيى، وكرم عيسى عليه السلام.

ثم انكشف عنه فإذا أنا به وبیده حريرة بيضاء، قد طويت طياً شديداً وقد قبض عليها، وقائل يقول: قد قبض محمد عليه السلام على الدنيا كلها، فلم يبق شيء إلا دخل في قبضته.

ثم إن ثلاثة نفر كأن الشمس تطلع من وجههم، في يد أحدهم إبريق فضة ونافحة مسك. وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء لها أربع جوانب من كل جانب لؤلؤة بيضاء، وقائل يقول: هذه الدنيا فاقبض عليها يا حبيب الله. فقبض على وسطها، وقائل يقول: اقبض الكعبة. وفي يد الثالث حريرة بيضاء مطوية فنشرها، فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين فيه، فغسل بذلك الماء من الإبريق سبع مرات، ثم ضرب الخاتم على كتفيه، وتفل في فيه فاستنطقه فطق، فلم أفهم ما قال إلا أنه قال: في أمان الله وحفظه وكلائته، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً و يقيناً وعقلاً وشجاعةً، أنت خير البشر، طوبى لمن اتبعك، وويل لمن تخلف عنك. ثم أدخل بين أجنحتهم ساعة، وكان الفاعل به هذا رضوان، ثم انصرف وجعل يلتفت إليه ويقول: أبشريا عزّ بعرّ الدنيا والآخرة.

ورأيت نوراً يسطع من رأسه عليه السلام حتى بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنه شعلة نار نوراً، ورأيت حولي من القطاة أمراً عظيماً قد نشرت أجنحتها^(١). وقالت آمنة عليها السلام: إن ابني والله سقط فاتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضاء له كل شيء وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً عليه السلام^(٢).

(١) المناقب: ج ١ ص ٢٨-٢٩ فصل في مولده عليه السلام.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٢٨٦ المجلس ٤٨ ح ١.

٤

إرهاصات الولادة

لما وُلد رسول الله ﷺ رميت الشياطين بالنجوم ، وقالت قريش : هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه !

وقال عمرو بن أمية - وكان من أزجر أهل الجاهلية - : انظروا هذه النجوم التي يُهتدى بها ويُعرف بها أزمان الشتاء والصيف ، فإن كان رمي بها فهو هلاك كل شيء ، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث .

وانكبت الأصنام كلها على وجهها صبيحة ولد النبي ﷺ ، وارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وفاض وادي السماوة ، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق .

ولم يبق سرير للملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً ، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك ، وانتزع علم الكهنة وبطل سحر السحرة ، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها .

وفي يوم مولد النبي ﷺ صاح إبليس (لعنه الله) في أبالسته فاجتمعوا إليه ، فقالوا : ما الذي أفزعك يا سيدنا ؟ .

فقال لهم : ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة ، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رُفع عيسى ابن مريم ﷺ ، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث ؟ .

فافترقوا ثم اجتمعوا إليه ، فقالوا : ما وجدنا شيئاً .

فقال إبليس (لعنه الله) : أنا لهذا الأمر .

ثم انغمس في الدنيا فجالها حتى انتهى إلى الحرم، فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به فرجع، ثم صار مثل الصر- وهو العصفور- فدخل من قبل حرى.

فقال له جبرئيل عليه السلام: وراك لعنك الله.

فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟.

فقال له: وُلِدَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له: هل لي فيه نصيب؟.

قال: لا.

قال: ففي أمته؟.

قال: نعم.

قال: رضيت ^(١).

أيام الرضاعة

رضع النبي ﷺ من أمه آمنة عليها السلام ، ومن ثوية مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح أياماً ، وبعد ذلك رضع من حليلة السعدية وكانت أرضعت قبله عمه حمزة عليه السلام .

وكان رسول الله ﷺ يكرم أمهاته الرضاعية ، وكذلك تكرمهن زوجته خديجة أم المؤمنين عليها السلام .

فكان ﷺ يبعث إلى ثوية من المدينة ببعض الهدايا والأموال حتى ماتت ، فسأل عن ابنها مسروح فقيل : مات . فسأل عن قرابتها ، فقيل : ماتوا .

وفي التاريخ : أنه جاء عشر نسوة من بني سعد يطلبن الرضاع وفيهن حليلة ، فأصبن الرضاع كلهن إلا حليلة ، وكان معها زوجها الحارث المكنى أبا ذؤيب وولدها منه عبد الله ، فعرض عليها رسول الله ﷺ فقالت : يتيم ولا مال له وما عست أمه أن تفعل . وعندما أخذته ووضعته في حجرها درّ ثديها حتى روي وروي أخوه ، وكان أخوه لا ينام من الجوع . فبقي ﷺ عندها سنتين حتى فطم ، فقدموا به على أمه زائرين لها ، وأخبرتها حليلة ما رأت من بركتته ، فردته معها ، ثم ردته على أمه وهو ابن خمس سنين ويومين .

وكم من معاجز وبركات رأت حليلة السعدية من رسول الله ﷺ في هذه الفترة ، لا يسع المجال لذكرها^(١) .

وقدمت حليلة على رسول الله ﷺ بعد ما تزوج ، فبسط لها رداءه ، وأعطتها خديجة عليها السلام أربعين شاة ، كما وأعطتها بعيراً . وجاءت إليه يوم حنين

(١) للتفصيل انظر للإمام المؤلف رحمه الله : ولأول مرة في تاريخ العالم ج ١ ومن معاجز النبي ﷺ .

فقام رسول الله ﷺ إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه.

وجاءه وفد هوازن يوم حنين وفيهم أبو ثروان، أو أبو برقان عمه من الرضاعة، وقد سبي منهم وغُنم، وطلبوا أن يمن رسول الله ﷺ عليهم، فخيرهم بين السبي والأموال، فقالوا: خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا وما كنا لنعدل بالأحساب شيئاً.

فقال رسول الله ﷺ: أما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وسأسأل لكم الناس.

فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

وأبى بعض المؤلفة قلوبهم من قبائل العرب وقبائلهم، فأعطاهم رسول الله ﷺ إبلاً عوضاً من ذلك.

روي: عن أبي جرول زهير- وكان رئيس قومه - قال: أسرنا رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فينا هو يميز الرجال من النساء إذ وثبْتُ حتى جلست بين يدي رسول الله ﷺ، فأسمعته شعراً أذكره حين شب فينا ونشأ في هوازن وحين أَرْضَعُوهُ، فأنشأت أقول:

امنن علينا رسول الله في كرم	فإذك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر	مضرق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الحرب هتافاً على حزن	على قلوبهم الغمء والغمر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك يملؤه من مخضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها	وإذ يرينك ما تأتي وما تذر
يا خير من مرحت كمت الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
لا تتركنا كمن شالت نعامته	واستبق منا فإننا معشر زهر
إنا لنشكر للنعماء وقد كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العضو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك إن العضو مشتهر

إننا نؤمل عضواً منك تلبسه هادي البرية أن تعضو وتنتصر
 فاعف عفا الله عما أنت راهبه يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر
 فقال رسول الله ﷺ أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم،
 وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، فردت الأنصار ما كان في أيديها
 من الذراري والأموال^(١).

وجاءوا يوم حنين بأخته ﷺ من الرضاعة - وهي الشيماء بنت الحارث -
 فقالت: يا رسول الله، إني أختك من الرضاعة.
 فبسط ﷺ لها رداءه فأجلسها عليه، وقال: «إن أحببت فعندي محبة
 مكرمة، وإن أحببت أن أعطيك وترجعي إلى قومك».
 فقالت: بل تعطيني وتردني إلى قومي.
 فأعطاه وأرجعها معززة.

(١) الأمالي للصدوق: ص ٥٠٢-٥٠٣ المجلس ٧٥ ح ١٨.

كفالة عبد المطلب وأبي طالب عليهما السلام

وُلد النبي ﷺ يتيماً، حيث مات والده عبد الله عليه السلام وهو حمل في بطن أمه أمنة عليها السلام، فكان كافله جده عبد المطلب عليه السلام، ومن بعده عمه أبو طالب عليه السلام.

ولما صار عمر النبي ﷺ ست سنوات، خرج مع أمه أمنة عليها السلام إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة، ومعهما أم أيمن تحضنه، فبقيت عندهم شهراً، وفي رجوعهم إلى مكة توفيت أمنة عليها السلام بالأبواء بين المدينة ومكة ودفنت هناك. فعادت أم أيمن بالنبي ﷺ إلى مكة إلى جده عبد المطلب عليه السلام وبقيت تحضنه، فكان رسول الله ﷺ في كفالة عبد المطلب من حين وفاة أبيه وبعد وفاة أمه لثمان سنين.

وقام عبد المطلب عليه السلام بتربيته ﷺ وحفظه أحسن قيام، وكان حريصاً عليه أكثر من ولده، وكان يقربه منه ويدنيه، ولا يأكل طعاماً إلا أحضره، وكان يخرسه ويقيه بنفسه وبأولاده، فإنه كان يعلم بأن محمداً ﷺ هذا هو خاتم النبيين وكان مؤمناً به.

وبعد مضي ثمان سنوات من عمر رسول الله ﷺ توفي جده عبد المطلب عليه السلام وله ثمانون سنة، فلما حضرته الوفاة أوصى خير ولده وهو أبو طالب عليه السلام بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته وكفالته.

وكان أبو طالب عليه السلام أنبل إخوته وأكرمهم وأعظمهم مكانة في قريش وأجلهم قدراً، وأكثرهم إيماناً بالله وخوفاً منه، فكفله أبو طالب عليه السلام خير كفالة، وقام برعاية محمد ﷺ ابن أخيه أحسن قيام.

كان أبو طالب ﷺ يحب محمداً ﷺ أكثر من حبه لولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، وكان عندما يخرج يخرج معه، وكان يخصه بالطعام، وكان أولاده يصبحون رمصاً^(١) شعثاً ويصبح رسول الله ﷺ كحياً دهنياً. وكان كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ، فكان يغير مكان نومه ليلاً ويضع ابنه علياً ﷺ مكانه خوفاً عليه.

وهكذا بقي أبو طالب ﷺ يحمي رسول الله ﷺ من كل خطر وبلاء ومن شر الأعداء حتى بعث محمد ﷺ بالنبوة وجاء بالإسلام، فكان أبو طالب ﷺ حاميهِ الأول، ولولاه لقضى المشركون على رسول الله ﷺ وقتلوه.

علماً بأن أبا طالب ﷺ كان مؤمناً بالله ولم يشرك به طرفه عين، وعندما جاء النبي ﷺ بالإسلام أسلم، ولكنه أخفى إسلامه بأمر خاص من رسول الله ﷺ، وهكذا كان حمزة والعباس عليهما السلام.

روى العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار):

أنه لما توفي عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي ﷺ والنبي ﷺ حمل.. فلما وضعت أمه كفله جده عبد المطلب ﷺ ثماني سنين، ثم احتضر للموت فدعا ابنه أبا طالب. فقال له: يا بني، تكفل ابن أخيك مني فأنت شيخ قومك وعاقلهم ومن أجد فيه الحجي دونهم، وهذا الغلام ما تحدث به الكهان، وقد رويانا في الأخبار أنه سيظهر من تهامة نبي كريم، وروي فيه علامات قد وجدتُها فيه فأكرم مثواه واحفظه من اليهود؛ فإنهم أعداؤه. فلم يزل أبو طالب ﷺ يقول عبد المطلب ﷺ حافظاً ولوصيته راعياً^(٢).

(١) الرمض بالتحريك: وسخ يجتمع في موق العين، فإن سال فهو غمص، وإن جمد فهو رمص. انظر

مجمع البحرين: ج ٤ ص ١٧٢ مادة رمص.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٢٩-١٣٠ ب ٣.

٧

مع بحيرا الراهب

خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب ﷺ في تجارة إلى الشام وله تسع سنين ، وقيل : اثنتا عشرة سنة ، ونظر إليه بحيرا الراهب ورأى منه علائم النبوة . فقال : احفظوا به فإنه نبي ! . وذلك في قصة مفصلة ، رواه العلامة المجلسي رحمته الله في (البحار) ، قال :

إن أبا طالب ﷺ خرج به ﷺ معه إلى الشام في تجارة قريش ، فلما انتهى به إلى بصرى وفيها راهب لم يكلم أهل مكة إذا مروا به ، ورأى علامة رسول الله ﷺ في الركب ، فإنه رأى غمامة تظله في مسيره ، ونزل ﷺ تحت شجرة قريبة من صومعته فثنت أغصان الشجرة عليه والغمامة على رأسه بحالها ، فصنع الراهب لهم طعاماً فاجتمعوا عليه وتحلف محمد ﷺ ، فلما نظر بحيرا إليهم ولم ير الصفة التي يعرف ، قال : فهل تخلف منكم أحد؟ .

قالوا : لا واللات والعزى إلا صبي .

فاستحضره ، فلما لحظ إليه نظر إلى أشياء من جسده قد كان يعرفها من صفته ، فلما تفرقوا ، قال : يا غلام ، أخبرني عن أشياء أسألك عنها؟ . قال : سل .

قال : أنشدك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه .

وإنما أراد أن يعرف لأنه سمعهم يحلفون بهما ، فذكروا أن النبي ﷺ قال له : « لا تسألني باللات والعزى ؛ فإني والله لم أبغض بغضهما شيئاً قط » .

قال : فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه .

قال : فجعل يسأله عن حاله في نومه وهيبته وأمره ، فجعل رسول الله ﷺ

يخبره ، فكان يجدها موافقة لما عنده .

فقال له : اكشف عن ظهرك .

فكشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الموضع الذي يجده عنده ، فأخذه الأفكل - وهو الرعدة - واهتز الديراني .

فقال : من أبو هذا الغلام ؟

قال أبو طالب ﷺ : هو ابني .

قال : لا والله لا يكون أبوه حياً .

قال أبو طالب : إنه ابن أخي .

قال : فما فعل أبوه ؟

قال : مات .

قال : صدقت .

قال : فارجع بابن أخيك إلى بلادك واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأيته وعرفوا منه الذي عرفت ليبغينه شراً .

فخرج أبو طالب ﷺ فردّه إلى مكة^(١) .

وفي (الخرائج) : إن أبا طالب ﷺ سافر بمحمد ﷺ ، فقال : فلما كنا نسير في الشمس تسير الغمامة بسيرنا وتقف بوقوفنا . فنزلنا يوماً على راهب بأطراف الشام في صومعة يقال له : بحيرا الراهب ، فلما قربنا منه نظر إلى الغمامة تسير بسيرنا على رؤوسنا . فقال : في هذه القافلة نبي مرسل ، فنزل من صومعته فأضافنا ، وكشف عن كتفيه ﷺ فنظر إلى الشامة بين كتفيه فبكى . وقال : يا أبا طالب ، لم يجب أن تخرجه معك من مكة وبعد إذ أخرجته فاحتفظ به واحذر عليه اليهود ، فله شأن عظيم وليتني أدركه فأكون أول محبب لدعوته^(٢) .

(١) بحار الأنوار : ج ١٥ ص ٢١٥ ب ٢ ح ٢٨ .

(٢) الخرائج والجرائع : ج ١ ص ١٣٨ فذلك .

قال أبو طالب ع في شعره^(١):

بفرقة خير الوالدين كرام
برحل وقد ودعته بسلام
وناوش بالكفين فضل زمام
تفيض على الخدين ذات سجام
مواسين في البأساء غير لثام
لنا فوق دور ينظرون جسام
لنا بشارب طيب وطعام
كثير عليه اليوم غير حرام
يوقيه حر الشمس ظل غمام
إلى نحره والصدر أي ضمام
بحيرا من الأعلام وسط خيام
وليس نهار واضح كظلام

أ لم ترني من بعد هم همته
بأحمد لما أن شددت مطيتي
بكى حزناً والعيس قد قلصت بنا
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة
وقلت له: رح راشداً في عمومة
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا
وجاء بحيرا عند ذلك حاسراً
فقال: اجمعوا أصحابكم لطعامنا
فلما رآه مقبلاً نحو داره
حنا رأسه شبه السجود وضمه
وأقبل رهط يطلبون الذي رأى
فذلك من إعلامه وبيانه
وقال ع في ذلك:

أحاديث تجلو غم كل فؤاد

وما برحوا حتى رأوا من محمد

(١) إيمان أبي طالب، للفخار: ص ٢٨٩-٢٩١ ف٧ ألوان من إيمان أبي طالب.

٨

الاستسقاء برسول الله ﷺ

قحط أهل مكة قحطاً شديداً، فاستسقى أبو طالب ﷺ برسول الله ﷺ وهو صغير فأمطرت السماء ورفع عنهم القحط.

روي: أنه عندما أجذبت الأنواء، وأخلقت العواء، وإذا قريش حلق قد ارتفعت لهم ضوضاء. فقايل يقول: استجبروا باللات والعزى، وقايل يقول: بل استجبروا بمناة الثالثة الأخرى!.

فقام رجل من جملتهم يقال له: ورقة بن نوفل عم خديجة بنت خويلد، فقال: إني نوفلي، بكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل عليه السلام؟.

فقالوا: كأنك عنيت أبا طالب ﷺ.

قال: هو ذاك.

فقاموا إليه بأجمعهم، فقالوا: يا أبا طالب، قد أقحط الواد وأجذبت العباد، فقم واستسق لنا.

فقال: رويدكم دلوك الشمس، وهبوط الريح.

فلما زاغت الشمس أو كادت، وإذا أبو طالب قد خرج وحوله أغيلمة من بني عبد المطلب، وفي وسطهم غلام أيقع منهم كأنه شمس ضحى تجلت عن غمامة قتماء، فجاء حتى أسند ظهره إلى الكعبة فاستجار ولاذ بإصبعه وبصبصت الأغيلمة حوله وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا حتى لت ولف، وأسحم وأقتم، وأرعد وأودق، وانفجر به الوادي وافغوعم.

وبذلك قال أبو طالب ﷺ يمدح النبي ﷺ:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان صدق لا يخس شعيرة ووزان حق وزنه غير عائل^(١)

وعن إسحاق بن جعفر، عن أبيه ع، قال: قيل له:

إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً!

فقال ع: «كذبوا، كيف يكون كافراً وهو يقول:

الم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

وفي حديث آخر: «كيف يكون أبو طالب ع كافراً وهو يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل»^(٢)

هذا وبعد بعثة النبي ﷺ بسنوات وفي المدينة المنورة، جاء أعرابي إلى النبي

ﷺ، فقال: والله يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بغيريئط، ولا غنم يغط، ثم

أنشأ يقول:

أتيناك يا خير البرية كلها لترحمنا مما لقينا من الأزل

أتيناك والعذراء يدمي لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

وألقى بكفيه الفتى استكانة من الجوع ضعفاً ما يمر وما يحلي

ولا شيء مما يأكل الناس عندها سوى الحنظل العامي والعلهز الفضل

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن هذا الأعرابي يشكو قلة المطر وقحطاً

شديداً». ثم قام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وكان مما

حمد ربه أن قال:

«الحمد لله الذي علا في السماء فكان عالياً، وفي الأرض قريباً دنياً، أقرب

إلينا من حبل الوريد - ورفع يديه إلى السماء وقال: - اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً،

(١) إيمان أبي طالب، للفقار: ص ٣١٣-٣١٦ ف٨ استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٤٨-٤٤٩ باب مولد النبي ﷺ ووفاته ح ٢٩.

مريثاً مريعاً، غدقاً طبقاً، عاجلاً غير راثث، نافعاً غير ضائر، تملأ به الضرع، وتنبث به الزرع، وتحيي به الأرض بعد موتها».

فما رد ﷺ يديه إلى نحره حتى أهدق السحاب بالمدينة كالإكليل، والتقت السماء بأردافها، وجاء أهل البطاح يضحجون: يا رسول الله، الغرق الغرق. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فأنجاب السحاب عن السماء، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله».

فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «كأنك أردت يا رسول الله قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ربيع اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتهم وبيت الله نبزي محمداً	ولما نماصع دونه ونقاتل
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله ﷺ: «أجل»^(١).

حلف الفضول

المعاهدات والتحالفات الإنسانية محترمة في الإسلام، وقد شهد رسول الله ﷺ حلف الفضول - وهو صغير - وذلك في دار ابن جدعان.

وكان سببه أن رجلاً من اليمن قدم مكة بمتاع فاشتراه العاص بن وائل السهمي ومطله بالثمن حتى أتعبه.

فقام الرجل بالحجر وناشد قريشاً ظلامته، فاجتمع بنو هاشم وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تميم في دار ابن جدعان فتحالفوا على نصره المظلوم، وغمسوا أيديهم في ماء زمزم بعد أن غسلوا به أركان البيت: أن ينصروا كل مظلوم بمكة ويردوا عليه ظلامته، ويأخذوا على يد الظالم، وينهوا عن كل منكر.

فسمي (حلف الفضول) لفضله وفضل المتحالفين، وقد ذكره رسول الله ﷺ فقال: «شهدته وما أحب أن لي به حمر النعم ولا يزيد الإسلام إلا شدة»^(١).

وحلف الفضول هو أشرف حلف كان في العرب كلها، وأكرم عقد عقده قريش في قديمها وحديثها قبل الإسلام.

قال النبي ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت»^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٣٠ ف ٣ قصة غزوة بدر.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٥ ص ٢٠٣ فضل بني هاشم على بني عبد شمس.

١٠

الزواج المبارك

خرج رسول الله ﷺ بطلب من خديجة ؓ إلى الشام في تجارة لها، وكان عمره الشريف خمساً وعشرين سنة، وقد أمرت خديجة غلامها ميسرة أن يكون في خدمة النبي ﷺ. وأرادت خديجة من هذه السفرة أن تتعرف أكثر على محمد بن عبد الله ﷺ.

إن خديجة ؓ كانت مؤمنة بالله تعالى وذات شرف عظيم ومال كبير، وكانت تستأجر الناس في تجارتها، وكانت تعلم بأنها ستزوج من نبي آخر الزمان حيث أخبرها بذلك بعض أولياء الله، ولذلك لم تقبل بأي شخص تقدم لخطبتها من أشرف قریش وغيرهم، فبقيت بكرةً إلى أن تزوجها رسول الله ﷺ.

نعم، طلبت خديجة من رسول الله ﷺ وبكل احترام أن يشرف الركب بحضوره ويسافر إلى الشام بصحبة مجموعة ممن عينتهم خديجة لخدمته، لا أن يكون أجيراً لها.

فخرج رسول الله ﷺ مع ميسرة في ركب خديجة ؓ، ولما رجع الركب رجعوا بربح كبير، وذلك ببركة رسول الله ﷺ. ونقل ميسرة لخديجة تلك الكرامات والمعاجز الكثيرة التي رآها من محمد ﷺ، فعرفت خديجة ؓ بأن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين التي بُشِّرَتْ من قبلُ بزواجه منها، فأرسلت إلى أعمام النبي ﷺ بأن يقدموا لخطبتها لرسول الله ﷺ، وكان ذلك بعد قدوم النبي ﷺ من الشام بشهرين وأيام. وكان عمر خديجة أربعين سنة، وقيل: أقل، ورسول الله ﷺ في الخامس والعشرين، فتزوجها رسول الله ﷺ واحتفلت الملائكة بزواجهما في السماوات، وقد أرجعها الله شابة كما أرجع زليخا شابة

عندما تزوجها يوسف عليه السلام بعد أن أصبح ملكاً.

قال الشيخ المفيد رحمته الله : كان زواجه منها في العاشر من ربيع الأول ، وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين عليها السلام لها أربعون سنة وله عليه السلام خمس وعشرون سنة ، ويستحب صيامه شكراً لله تعالى على توفيقه بين رسوله والصالحة الرضية المرضية النقية ^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « لما أراد رسول الله ﷺ أن يتزوج خديجة بنت خويلد ، أقبل أبو طالب عليه السلام في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة ، فابتدأ أبو طالب عليه السلام بالكلام فقال : الحمد لرب هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل عليه السلام ، وأنزلنا حرماً آمناً ، وجعلنا الحكماء على الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه ، ثم إن ابن أخي هذا - يعني رسول الله ﷺ - ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به ، ولا يقاس به رجل إلا أعظم عنه ، ولا عدل له في الخلق ، وإن كان مقلداً في المال فإن المال رقد جار ، وظل زائل ، وله في خديجة عليها السلام رغبة ولها فيه رغبة ، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها ، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله ، وله ورب هذا البيت حظ عظيم ، ودين شائع ، ورأي كامل .

ثم سكت أبو طالب عليه السلام وتكلم عمها ، وتلجلج وقصر عن جواب أبي طالب ، وأدركه القطع والبحر ، وكان رجلاً من القسيسين .

فقالت خديجة عليها السلام مبتدئة : يا عماء ، إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشهود فلست أولى بي من نفسي ، قد زوجتك يا محمد نفسي والمهر عليّ في مالي ، فأمر عمك فلينحر ناقة فليولم بها وادخل على أهلك .

قال أبو طالب : اشهدوا عليها بقبولها محمداً ﷺ وضمانها المهر في مالها .

فقال بعض قريش : يا عجباه ، المهر على النساء للرجال .

فغضب أبو طالب ﷺ غضباً شديداً وقام على قدميه ، وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه . فقال : إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأعلى الأثمان وأعظم المهر ، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي .

ونحر أبو طالب ﷺ ناقة ودخل رسول الله ﷺ بأهله^(١) .

إن خديجة ؓ كانت أفضل امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، علماً بأنه لم يتزوج عليها في حياتها أبداً . ويكفي في فضل خديجة ؓ أن جبرئيل ﷺ كان يقرؤها سلام الله عزوجل ، روي : أن جبرئيل ﷺ أتى النبي ﷺ فسأل عن خديجة فلم يجدها ، فقال : «إذا جاءت فأخبرها أن ربها يقرئها السلام»^(٢) .

وقد وهبت خديجة ؓ جميع ما تملك من الأموال الكثيرة ، لرسول الله ﷺ ليستعين بها في نشر الإسلام وحماية المسلمين ، حتى ورد : (ما قام الإسلام إلا بمال خديجة ، وسيف علي بن أبي طالب ، وحماية أبي طالب) ؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ يرى لها المكانة العظمى في حياتها وبعد وفاتها ، وكان يفضلها على جميع زوجاته . عن عائشة قالت : (ما غرت للنبي على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها وما رأيته قط)^(٣) .

وروت عن النبي ﷺ أنه قال : «كانت خديجة ؓ فاضلة وكانت عاقلة - إلى قوله : - آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبتني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(٤) .

وقال رسول الله ﷺ : «أفضل نساء الجنة أربع ، خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(٥) .

(١) الكافي : ج ٥ ص ٣٧٤-٣٧٥ باب خطب النكاح ح ٩ .

(٢) كشف الغمة : ج ١ ص ٥٠٨ فصل في مناقب خديجة بنت خويلد .

(٣) انظر العمدة : ص ٣٩٣ فصل في ذكر مناقب خديجة ؓ ح ٧٨٧ .

(٤) انظر فتح الباري ، لابن حجر : ج ٧ ص ١٠٣ باب تزويج النبي ﷺ وخديجة وفضلها .

(٥) قصص الأنبياء ، للجزائري : ص ٢٥٩-٢٦٠ ب ١٢ ف ٥ .

الحجر الأسود

خافت قريش على الكعبة من الهدم، وذلك لما حصل فيها من التشققات على أثر السيل، فقاموا بتجديد بنائها من أطهر أموالهم، فلما بلغوا موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيما بينهم، فمن هو الذي يضع الحجر الأسود في مكانه، وينال شرف ذلك؟ لأنهم كانوا يعرفون شرف الحجر الأسود، وأنه نزل من الجنة^(١). فكل قبيلة أرادت ذلك لنفسها، حتى كادت أن تكون فتنة عظيمة، ثم رضوا بحكم رسول الله ﷺ وكان عمره آنذاك خمساً وثلاثين سنة ولم يبعث للنبوة بعد، فحكم ﷺ بأن يوضع الحجر في ثوب ويحمل كل القبائل أطرافه، ثم أخذه من الثوب ووضعه في مكانه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن قريشاً في الجاهلية هدموا البيت، فلما أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه، وألقي في روعهم الرعب حتى قال قائل منهم: ليأتي كل رجل منكم بأطيب ماله، ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحم أو حرام. ففعلوا فخلي بينهم وبين بنائه فبنوه حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر الأسود في موضعه؟ حتى كاد أن يكون بينهم شر، فحكموا أول من يدخل من باب المسجد، فدخل رسول الله ﷺ، فلما أتاها أمر بثوب فبسط ثم وضع الحجر في وسطه ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه، ثم تناوله ﷺ فوضعه في موضعه فخصه الله به»^(٢). وفي الحديث: «أنزل الله الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من اللبن وأضوأ من الشمس، وإنما اسود لأن المشركين تمسحوا به فمن نجس المشركين اسود الحجر»^(٣).

(١) قال رسول الله ﷺ: «إن الحجر الأسود من الجنة»، انظر غوالي اللآلي: ج ١ ص ١٧٤ ف ٨ ح ٢٠٦.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢١٧ باب ورود تبع وأصحاب الفيل البيت ح ٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٩٥ ب ٣ ح ٤٨.

١٢

غار حراء

إن النبي ﷺ كان يتعبد قبل البعثة على دين الخنيفية ولم يشرك بالله طرفة عين.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «فنشأ رسول الله ﷺ في حجر أبي طالب عليه السلام، فبينما هو غلام يجيء بين الصفا والمروة إذ نظر إليه رجل من أهل الكتاب.

فقال: ما اسمك؟.

قال: اسمي محمد.

قال: ابن من؟.

قال: ابن عبد الله.

قال: ابن من؟.

قال: ابن عبد المطلب.

قال: فما اسم هذه؟، وأشار إلى السماء.

قال: السماء.

قال: فما اسم هذه؟، وأشار إلى الأرض.

قال: الأرض.

قال: فمن ربهما؟.

قال: الله.

قال: فهل لهما رب غير الله؟.

قال: «لا»^(١).

وكان عليه السلام يتعبد في غار حراء ويخرج كل يوم إليه ، وربما خرج إلى حراء شهراً كاملاً يتنسك فيه ، ثم لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة.

وربما أخرج معه علي بن أبي طالب عليه السلام فيعبدان الله عزوجل في الغار.

وفي الحديث: أنه عليه السلام كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة ، فجاور في حراء شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم ، فجاءه جبريل عليه السلام بالرسالة^(٢).

(١) الخرافع والجرافع : ج ١ ص ٧١ فصل من روايات العامة.

(٢) شرح نهج البلاغة : ج ١٣ ص ٢٠٨ ذكر حال رسول الله عليه السلام في نشوئه.

المبعث الشريف

بُعث رسول الله ﷺ بالنبوة في السابع والعشرين من شهر رجب، وكان عمره الشريف أربعين سنة. حيث نزل عليه جبرائيل عليه السلام وهو في غار حراء، فقال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١).

قال الإمام العسكري عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ لما ترك التجارة إلى الشام وتصدق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات، كان يغدو كل يوم إلى حراء يصعده وينظر من قلله إلى آثار رحمة الله، وإلى أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته، وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار ويتذكر بتلك الآيات ويعبد الله حق عبادته، فلما استكمل أربعين سنة ونظر الله عز وجل إلى قلبه فوجده أفضل القلوب، وأجلها وأطوعها، وأخشعها وأخضعها، أذن لأبواب السماء فتحت ومحمد ﷺ ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد ﷺ ينظر إليهم، وأمر بالرحمة فأنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد ﷺ وغمرته، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه وهزه، وقال: يا محمد اقرأ. قال: وما اقرأ؟.

قال: يا محمد ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢)، ثم

(١) سورة العلق: ١-٥.

(٢) سورة العلق: ١-٥.

أوحى إليه ما أوحى إليه ربه عزوجل ، ثم صعد إلى العلو ونزل محمد عليه السلام من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه به الحمى والنافض..

يقول: وقد اشتد عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره ، ونسبتهم إياه إلى الجنون ، وأنه يعتريه شياطين ، وكان من أول أمره أعقل خليفة الله وأكرم براياه ، وأبغض الأشياء إليه الشيطان ، وأفعال المجانين وأقوالهم ، فأراد الله عزوجل أن يشرح صدره ويشجع قلبه ، فأنطق الجبال والصخور والمدر ، وكلما وصل إلى شيء منها ناداه:

السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا ولي الله ، السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، أبشر فإن الله عزوجل قد فضلك وجملك وزينك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين ، لا يحزنك قول قريش: إنك مجنون وعن الدين مفتون ، فإن الفاضل من فضله رب العالمين ، والكريم من كرمه خالق الخلق أجمعين ، فلا يضيّق صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب لك ، فسوف يبلغك ريك أقصى منتهى الكرامات ، ويرفعك إلى أرفع الدرجات ، وسوف ينعم ويفرح أوليائك بوصيك علي بن أبي طالب عليه السلام وسوف ييث علومك في العباد والبلاد بمفتاحك وباب مدينة حكمتك علي بن أبي طالب عليه السلام ، وسوف يقر عينك ببنتك فاطمة عليها السلام ، وسوف يخرج منها ومن علي: الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة ، وسوف ينشر في البلاد دينك ، وسوف يعظم أجور المحبين لك ولأخيك ، وسوف يضع في يدك لواء الحمد فتضعه في يد أخيك علي عليه السلام فيكون تحته كل نبي وصديق وشهيد ، يكون قائدهم أجمعين إلى جنات النعيم»^(١).

كانت بعثة النبي عليه السلام بعد فترة من الرسل ، وبعد ما أشرف الناس على

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ص ١٥٦-١٥٨ تسليم الجبال والصخور والأحجار عليه عليه السلام ح ٧٨.

الهلاك لكثرة الخرافات وشدة الجاهلية ، فقام النبي ﷺ برسالته ودعا العالم بأجمعه إلى التوحيد والإيمان بالله عزوجل ، وترك عبادة الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ، ودعى إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ، ونهى عن الرذائل وقبح الصفات ، ودعى إلى السلم ونبد العنف ، ودعى إلى حب الآخرين وقضاء حوائجهم ، ودعى إلى الكرامة والأخلاق بعد ما فشي فيهم القتل والسرقة والزنا وارتكاب الفواحش ، وبعد ما كانوا يأخذون الربا ويشربون الخمر ، ويطوفون بالبيت عراة رجالاً ونساءً.

قالت الصديقة فاطمة ؓ في خطبتها : «وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطئ الأقدام ، تشربون الطرق ، وتقتاتون القد ، أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ»^(١).

وقالت ؓ : «فرأى الأمم فرقاً في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدة لأوثانها ، منكرة لله مع عرفانها ، فأنا الله بأبي محمد ﷺ ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها ، وجلى عن الأبصار غممها ، وقام في الناس بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، وبصرهم من العماية ، وهداهم إلى الدين القويم ، ودعاهم إلى الطريق المستقيم»^(٢).

(١) الاحتجاج : ج ١ ص ١٠٠ احتجاج فاطمة الزهراء ؓ على القوم لما منعوها فذك.

(٢) الاحتجاج : ج ١ ص ٩٩ احتجاج فاطمة الزهراء ؓ على القوم لما منعوها فذك.

القرآن الكريم

جاء رسول الله ﷺ بالقرآن الكريم من الله عز وجل دستوراً للحياة، وهو معجزته الخالدة والكتاب السماوي العظيم الذي لم يطرأ عليه التحريف أبداً، لزيادة ولا نقص، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١).

فهذا القرآن الذي هو اليوم بأيدي المسلمين جميعاً هو القرآن الذي نزل على رسول الله ﷺ من دون زيادة ولا نقصان، وقد جمعه رسول الله ﷺ بهذا الشكل في ترتيب آياته وسوره بأمر من الله عز وجل، وذلك في حياته ﷺ المباركة، ولم يتركه ليجمع بعدئذ كما يتصوره البعض.

أما بعض الروايات التي تقول بأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الذي جمع القرآن فالمراد جمع تفسيره وتأويله وعلومه لا أصل القرآن فإنه جمع في حياة النبي ﷺ.

وقد تحدى القرآن جميع البلغاء والفصحاء بالمعارضة، وأن يأتوا بالمماثلة ولو في عشر سوره أو سورة منه أو بعض السورة فقط، ولكنهم عجزوا ولم يستطيعوا معارضته، وكانوا أفصح العرب وإليهم تنتهي الفصاحة والبلاغة.

والقرآن الكريم يحتوي على أحكام الدين، وأخبار الماضين، ومكارم الأخلاق، والأمر بالعدل، والنهي عن الظلم، وفيه تبيان كل شيء، ما يزال يتلى على كر الدهور ومر الأيام وهو غض طري يحير ببيانه العقول، ولا تمله الطباع مهما تكررت تلاوته وتقدام عهده.

وقد خلف رسول الله ﷺ القرآن أمانة بأيدي المسلمين مضافاً إلى العترة الطاهرة ﷺ، حيث قال في حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين: «إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

ولكن المسلمين تركوا القرآن والعترة، فحصل ما حصل بهم من التأخر والويلات ومختلف المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، كما هو المشاهد اليوم.

عن السكوني، عن أبي عبد الله، عن آبائه ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يلبان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز. قال - فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله، وما دار الهدنة؟ قال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن؛ فإنه شافعٌ مُشَفَّعٌ، وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينبج من عطف، ويتخلص من نشب؛ فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص، وقلة التربص»^(٢).

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٣٤ ب ٥ ح ٣٣١٤٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٩٨-٥٩٩ كتاب فضل القرآن ج ٢.

وعن عقبة بن عمار، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يعذب الله قلباً وعى القرآن»^(١). وعن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فإذا دخل صاحب القرآن الجنة قيل له: ارقأ وارقأ لكل آية درجة، فلا تكون فوق حافظ القرآن درجة»^(٢). وعن النعمان بن سعد عن علي عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «خياركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٣).

وعن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيته، ثم امتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيته»^(٤).

وعن معاذ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل علم ولده القرآن إلا توجَّ الله أبويه يوم القيامة تاج الملك، وكُسيا حلتين لم ير الناس مثلهما»^(٥). وقال رسول الله ﷺ: «من أعطاه الله القرآن فرأى أن أحداً أعطي شيئاً أفضل مما أعطي فقد صغر عظيمًا وعظم صغيراً»^(٦).

وقال ﷺ: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(٧).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم؛ فإن لهم من الله العزيز الجبار ملكاً علياً»^(٨).

(١) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٦٧ ب ١ ح ٧٦٤٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٢٢ ب ١ ح ٢٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٦٧ ب ١ ح ٧٦٤١.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٠٠ كتاب فضل القرآن ح ٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٦٨ ب ١ ح ٧٦٤٣.

(٦) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ١٣ ب ١ ح ٣.

(٧) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ١٦٨ ب ١ ح ٧٦٤٤.

(٨) الكافي: ج ٢ ص ٦٠٣ باب فضل حامل القرآن ح ١.

هجرة الحبشة

عند ما اشتد أذى قريش للمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة.

ذكر القمي رحمه الله في تفسيره: وأما قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾^(١)، فإنه كان سبب نزولها أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه الذين آمنوا به بمكة قبل الهجرة، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر بن أبي طالب عليه السلام أن يخرج معهم. فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتى ركبوا البحر.

فلما بلغ قريش خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليردوهم إليهم، وكان عمرو وعمارة متعادين. فقالت قريش: كيف نبعث رجلين متعادين؟

فبرئت بنو مخزوم من جنابة عمارة، وبرئت بنو سهم من جنابة عمرو بن العاص!.

فخرج عمارة وكان حسن الوجه شاباً مترفاً فأخرج عمرو بن العاص أهله معه، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر.

فقال عمارة لعمرو بن العاص: قل لأهلك تقبلني.

فقال عمرو: أيجوز هذا، سبحان الله!.

فسكت عمارة، فلما انتشا عمرو وكان على صدر السفينة دفعه عمارة

وألقاه في البحر، فتشبث عمرو بصدر السفينة وأدركوه فأخرجوه..
 فوردوا على النجاشي وقد كانوا حملوا إليه هدايا، فقبلها منهم.
 فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إن قوماً منا خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا
 وصاروا إليك فردهم إلينا.

فبعث النجاشي إلى جعفر، فجاءوا به.

فقال: يا جعفر، ما يقول هؤلاء؟.

فقال جعفر: أيها الملك، وما يقولون؟.

قال يسألون: أن أردّكم إليهم.

قال: أيها الملك، سلهم أعييد نحن لهم؟.

فقال عمرو: لا بل أحرار كرام.

قال: فسلهم أ لهم علينا ديون يطالبوننا بها؟.

قال: لا ما لنا عليكم ديون.

قال: فلكم في أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟.

قال عمرو: لا.

قال: فما تريدون منا، أذيتمونا فخرجنا من بلادكم.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، خالفونا في ديننا، وسبوا آلهتنا،

وأفسدوا شبابنا، وفرقوا جماعتنا، فردّهم إلينا لنجمع أمرنا.

فقال جعفر: نعم أيها الملك، خالفناهم بأنه بعث الله فينا نبياً أمر بمخلع

الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرّم الظلم والجور

وسفك الدماء بغير حقها والزنا والربا والميتة والدم، وأمرنا بالعدل والإحسان،

وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام.

ثم قال النجاشي: يا جعفر، هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئاً؟.

قال : نعم .

فقرأ عليه سورة مريم عليها السلام فلما بلغ إلى قوله : ﴿ وَهَزِيْٓا۟ اِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيْٓمًا ۝ فَكُلْۤى وَاَشْرَبْۤى وَقَرِّۤى عَيْنَا۟ ۝ ﴾^(١) .

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً ، وقال : هذا والله هو الحق .

فقال عمرو بن العاص : أيها الملك ، إن هذا مخالفنا فرده إلينا .

فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو ، ثم قال : اسكت ، والله يا هذا لئن ذكرت بسوء لأفقدنك نفسك .

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه وهو يقول : إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإننا لا نتعرض له .

وكانت على رأس النجاشي وصيفة له تذب عنه ، فنظرت إلى عمارة بن الوليد وكان فتى جميلاً فأحبته ، فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله قال لعمارة : لو راسلت جارية الملك . فراسلها فأجابته .

فقال عمرو : قل لها تبعث إليك من طيب الملك شيئاً .

فقال لها ، فبعثت إليه ، فأخذ عمرو من ذلك الطيب ، وكان الذي فعل به عمارة في قلبه حين ألقاه في البحر ، فأدخل الطيب على النجاشي .

فقال : أيها الملك ، إن حرمة الملك عندنا وطاعته علينا ، وما يكرمنا إذا دخلنا بلاده ونأمن فيه أن لا نغشه ولا نزيهه ، وإن صاحبي هذا الذي معي قد أرسل إلى حرمتك وخدعها وبعثت إليه من طيبك .

ثم وضع الطيب بين يديه ، فغضب النجاشي وهمّ بقتل عمارة ، ثم قال : لا يجوز قتله ؛ فإنهم دخلوا بلادني فأمان لهم .

فدعا النجاشي السحرة ، فقال لهم : اعملوا به شيئاً أشد عليه من القتل ...

ورجع عمرو إلى قريش فأخبرهم أن جعفر في أرض الحبشة في أكرم كرامة .

فلم يزل - جعفر - بها حتى هادن رسول الله ﷺ قريشاً وصالحهم وفتح خير فوافى بجميع من معه ، وولد لجعفر بالحبشة من أسماء بنت عميس : عبد الله بن جعفر ، وولد للنجاشي ابن فسماء محمداً .

وبعث النجاشي إلى رسول الله ﷺ بمارية القبطية أم إبراهيم ، وبعث إليه بشياب وطيب وفرس ، وبعث ثلاثين رجلاً من القيسيين ، فقال لهم : انظروا إلى كلامه ، وإلى مقعده ، ومشربه ومصلاه ! .

فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ إلى قوله : ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(١) ، فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ بكوا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي ، فأخبروه خبر رسول الله ﷺ وقرأوا عليه ما قرأ عليهم ، فبكى النجاشي وبكى القيسيون وأسلم النجاشي ولم يظهر للحبشة إسلامه وخافهم على نفسه ، وخرج من بلاد الحبشة إلى النبي ﷺ فلما عبر البحر توفي ، فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) .^(٣)

(١) سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) سورة المائدة : ٨٢-٨٥ .

(٣) راجع تفسير القمي : ج ١ ص ١٧٦-١٧٩ الهجرة إلى الحبشة .

١٦

عام الحزن

عام الحزن هو السنة العاشرة من البعثة والثالثة قبل الهجرة ، وهو العام الذي مات فيه أبو طالب عليه السلام حامي النبي ﷺ وماتت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بعد ذلك ، قال رسول الله ﷺ : «ما زالت قريش قاعدة عني حتى مات أبو طالب»^(١).

وقد سمى رسول الله ﷺ ذلك العام (عام الحزن) لشدة مصابه بهما ووجده عليهما. وكان بين موت أبي طالب عليه السلام وموت خديجة عليها السلام ثلاثة أيام.

قال ابن عباس : عارض رسول الله ﷺ جنازة أبي طالب. فقال : «وصلتك رحم وجزاك الله خيراً يا عم».

وروي أنه لما مرضت خديجة عليها السلام مرضها الذي توفيت فيه ، دخل عليها رسول الله ﷺ فقال لها : «بالكره مني ما أرى منك يا خديجة ، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً».

ودفن رسول الله ﷺ أبا طالب وخديجة عليها السلام بالحجون في مكة المكرمة ، ونزل رسول الله ﷺ قبرهما وترحم عليهما.

وروي عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير ، قال : لما توفي أبو طالب وخديجة وكان بينهما شهر وخمسة أيام اجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان ، فلزم بيته وأقل الخروج ، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع.

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٥ ب ٥ ح ١٤.

رحلة الطائف

لما توفي أبو طالب عليه السلام حامياً النبي صلى الله عليه وآله خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الطائف وأقام فيه شهراً وكان معه زيد بن الحارث، ثم انصرف إلى مكة ومكث فيها سنة وستة أشهر.

عن محمد بن جبير، قال: لما توفي أبو طالب تناولت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة وذلك في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة، فأقام بها عشرة أيام وقيل: شهراً، فأذوه ورموه بالحجارة، فانصرف إلى مكة، فلما نزل نخلة صرف الله إليه النفر من الجن.

وروي: أنه لما انصرف صلى الله عليه وآله من الطائف عمد إلى ظل حبله من عنب فجلس فيه، وقال:

«اللهم إنني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لكن لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(١).

وعن الزهري، قال: لما توفي أبو طالب عليه السلام اشتد البلاء على رسول الله صلى الله عليه وآله فعمد لثقيف بالطائف رجاء أن يؤوه، فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة وهم: إخوة عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو، فعرض عليهم نفسه.

فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط !.

وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك !.

وقال الآخر : والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبداً ، ولئن كنت رسولاً كما تقول فلأنت أعظم خطراً من أن يرد عليك الكلام ، وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك بعد !.

وتهزوا به وأفشوا في قومهم ما راجعوه به ، فقعدوا له صفين على طريقه ، فلما مر رسول الله ﷺ بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجله ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجله ، فخلص منهم وهما يسيلان دماً ..

فعمد ﷺ فجاء إلى حائط من حيطانهم فاستظل في ظل نخلة منه ، وهو مكروب موجع تسيل رجلاه دماً ، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله ، فلما رآياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عداس معه عنب ، وهو نصراني من أهل نينوى .

فلما جاءه قال له رسول الله ﷺ : « من أي أرض أنت ؟ » .

قال : من أهل نينوى .

قال : « من مدينة العبد الصالح يونس بن متى ﷺ » .

فقال له عداس : وما يدريك من يونس بن متى ؟ !.

فقال ﷺ : « أنا رسول الله ، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى » .

فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس ﷺ خر عداس ساجداً لله ومعظماً لرسول الله ﷺ ، وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء ، فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا ، فلما اتاهما قالا : ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك بأحد منا ؟ .

قال : هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا

يدعى يونس بن متى ﷺ .

فضحكا وقالوا: لا يفتنك عن نصرانيتك؛ فإنه رجل خداع.

فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي، فمر به نفر من أهل نصيبين من اليمن فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له^(١).

وعن ابن مسعود: لما دخل النبي ﷺ الطائف رأى عتبة وشيبة جالسين على سرير، فقالا: هو يقوم قبلنا. فلما قرب النبي ﷺ منهما خر السرير ووقعا على الأرض. فقالا: عجز سحرنا عن أهل مكة فأتيت الطائف^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٧٦-٧٧ ب ٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٨ ب ٥ ضمن ح ٩.

بيعة العقبة الأولى والثانية

كان النبي ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في الموسم، فلقي رهطاً من الخزرج قدموا من يثرب (المدينة) فقال: ألا تجلسون أحدثكم؟.

قالوا: بلى. فجلسوا إليه، فدعاهم إلى الله وتلا عليهم القرآن.

فقال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنه النبي الذي كان يوعدكم به اليهود، فلا يسبقنكم إليه أحد. فأجابوه وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم، وعسى أن يجمع الله بينهم بك، فتقدم عليهم وتدعوهم إلى أمرك.

وكانوا ستة نفر، فكانت بيعة العقبة الأولى بمنى، فبايعه خمسة نفر من الخزرج وواحد من الأوس في خفية من قومهم.

فلما قدموا المدينة أخبروا قومهم بالخبر، فما دار حول إلا وفيها حديث رسول الله ﷺ .. حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوا النبي ﷺ فبايعوه وهي بيعة العقبة الثانية، ثم انصرفوا، وبعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير يصلي بهم، وكان بينهم بالمدينة يسمى المقرئ، فلم يبق دار في المدينة إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا دار أمية بن زيد وحطمة ووائل وواقف، فإنهم أسلموا بعد بدر وأحد والخندق^(١).

ذكر القمي رحمه الله في تفسيره: قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢)، إنها

(١) المناقب: ج ١ ص ١٨١ فصل في هجرته ﷺ.

(٢) سورة الأنفال: ٣٠.

نزلت بمكة قبل الهجرة، وكان سبب نزولها أنه لما أظهر رسول الله ﷺ الدعوة بمكة قدمت عليه الأوس والخزرج. فقال لهم رسول الله ﷺ: «تمنعوني وتكونون لي جاراً حتى أتلو عليكم كتاب ربي وثوابكم على الله الجنة». فقالوا: «نعم خذ لربك ولنفسك ما شئت».

فقال لهم: «موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق». فحجوا ورجعوا إلى منى، وكان فيهم ممن قد حج بشر كثير، فلما كان اليوم الثاني من أيام التشريق، قال لهم رسول الله ﷺ: «إذا كان الليل فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة، ولا تنبهوا نائماً ولينسل واحد فواحد». فجاء سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «تمنعوني وتجبروني حتى أتلو عليكم كتاب ربي وثوابكم على الله الجنة». فقال سعد بن زرارة، والبراء بن مغرور [مغرور]، وعبد الله بن حزام: نعم يا رسول الله، اشترط لربك ولنفسك ما شئت.

فقال: «أما ما أشرط لربي فأنت تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشرط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون أنفسكم، وتمنعوا أهلي مما تمنعون أهاليكم وأولادكم». فقالوا: وما لنا على ذلك؟

فقال: «الجنة في الآخرة، وتملكون العرب، وتدين لكم العجم في الدنيا». فقالوا: قد رضينا.

فقال: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً يكونون شهداء عليكم بذلك كما أخذ موسى عليه السلام من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً».

فأشار إليهم جبرئيل، فقال: هذا نقيب، هذا نقيب، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

فمن الخزرج: سعد بن زرارة، والبراء بن مغرور، وعبد الله بن حزام، وهو أبو جابر بن عبد الله، ورافع بن مالك، وسعد بن عباد، والمنذر بن عمر،

وعبد الله بن رواحة ، وسعد بن الربيع ، وعبادة بن الصامت .
ومن الأوس : أبو الهشيم بن التيهان وهو من اليمن ، وأسد بن حصين ،
وسعد بن خثيمة .

فلما اجتمعوا وبايعوا رسول الله ﷺ ، صاح إبليس : يا معشر قريش
والعرب ، هذا محمد والصباة من أهل يثرب على جمرة العقبة يبايعونه على
حربكم .

فأسمع أهل منى وهاجت قريش ، فأقبلوا بالسلاح ، وسمع رسول الله ﷺ
النداء . فقال للأنصار : « تفرقوا » .

فقالوا : يا رسول الله ، إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيا ففعلنا .
فقال رسول الله ﷺ : « لم أؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم » .
قالوا : أفتخرج معنا ؟
قال : « أنتظر أمر الله » .

فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح ، وخرج حمزة ؓ وأمير
المؤمنين ؓ ومعهما السيوف فوقفا على العقبة ، فلما نظرت قريش إليهما .
قالوا : ما هذا الذي اجتمعتم له ؟ .

فقال حمزة : ما هاهنا أحد ، والله لا يجوز هذه العقبة أحد إلا ضربته
بسيفي .

فرجعوا إلى مكة ، وقالوا : لا نأمن من أن يفسد أمرنا ويدخل واحد من
مشايخ قريش في دين محمد ﷺ ، الحديث ^(١) .

(١) تفسير القمي : ج ١ ص ٢٧٢-٢٧٦ شورى قريش في دار الندوة .

الهجرة النبوية

اجتمع المشركون في دار الندوة، ليتآمروا على رسول الله ﷺ وذلك بعد بيعة العقبة، وكان لا يدخل دار الندوة إلا من قد أتى عليه أربعون سنة، فدخل أربعون رجلاً من مشايخ قريش، وجاء إبليس (لعنه الله) في صورة شيخ كبير، فقال له البواب: من أنت؟

فقال: أنا شيخ من أهل نجد، لا يعدمكم مني رأي صائب، إني حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل فجئت لأشير عليكم.

فقال الرجل: ادخل.

فدخل إبليس.

فلما أخذوا مجلسهم. قال أبو جهل: يا معشر قريش، إنه لم يكن أحد من العرب أعز منا، نحن أهل الله تغدو إلينا العرب في السنة مرتين ويكرمونا، ونحن في حرم الله لا يطعم فينا طامع، فلم نزل كذلك حتى نشأ فينا محمد بن عبد الله فكنا نسميه الأمين لصلاحه وسكونه وصدق لهجته حتى إذا بلغ ما بلغ وأكرمناه ادعى أنه رسول الله ﷺ وأن أخبار السماء تأتيه، فسفه أحلامنا، وسب آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرق جماعتنا، وزعم أنه من مات من أسلافنا ففي النار، فلم يرد علينا شيء أعظم من هذا، وقد رأيت فيه رأياً.

قالوا: وما رأيت؟

قال: رأيت أن ندس إليه رجلاً منا ليقته، فإن طلبت بنو هاشم بدمه أعطيناهم عشر ديات.

فقال الخبيث: هذا رأي خبيث.

قالوا: وكيف ذلك؟.

قال: لأن قاتل محمد مقتول لا محالة، فمن ذا الذي يبذل نفسه للقتل منكم؛ فإنه إذا قُتل محمد تغضب بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة، وأن بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمد على الأرض فيقع بينكم الحروب في حرملكم وتتفانوا.

فقال آخر منهم: فعندي رأي آخر.

قال: وما هو؟.

قال: نثبته في بيت ونلقى إليه قوته حتى يأتي عليه ريب المنون، فيموت كما مات زهير والنابعة وإمرؤ القيس.

فقال إبليس: هذا أخبث من الآخر.

قال: وكيف ذلك؟.

قال: لأن بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم واجتمعوا عليكم فأخرجوه.

قال آخر منهم: لا ولكننا نخرجه من بلادنا ونتفرغ نحن لعبادة آلهتنا.

قال إبليس: هذا أخبث من الرأيين المتقدمين.

قالوا: وكيف ذاك؟.

قال: لأنكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهاً، وأنطق الناس لساناً، وأفصحهم لهجة فتحملونه إلى وادي العرب فيخدعهم ويسحرهم بلسانه، فلا يفجأكم إلا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً.

فبقوا حائرين، ثم قالوا لإبليس: فما الرأي فيه يا شيخ؟.

قال: ما فيه إلا رأي واحد.

قالوا: وما هو؟.

قال: يجتمع من كل بطن من بطون قريش واحد ويكون معهم من بني هاشم

رجل ، فيأخذون سكينه أو حديدة أو سيفاً فيدخلون عليه فيضربونه كلهم ضربة واحدة حتى يتفرق دمه في قريش كلها ، فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه ، فإن سألوكم أن تعطوا الدية فأعطوهم ثلاث ديات .

فقالوا : نعم وعشر ديات .

ثم قالوا : الرأي رأي الشيخ النجدي .

فاجتمعوا ودخل معهم في ذلك أبو لهب عم النبي ﷺ ، ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ وأخبره أن قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبرون عليك ، وأنزل عليه في ذلك : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١) . واجتمعت قريش أن يدخلوا عليه ليلاً فيقتلوه ، وخرجوا إلى المسجد يصفرون ويصفقون ويطوفون بالبيت ، فأنزل الله : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾^(٢) ، فالمكاء التصفير ، والتصدية صفق اليدين .

فلما أمسى رسول الله ﷺ جاءت قريش ليدخلوا عليه ، فقال أبو لهب : لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل ؛ فإن في الدار صبياناً ونساءً ولا نأمن أن تقع بهم يد خاطئة ، فنحرسه الليلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه ، فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ .

وأمر رسول الله ﷺ أن يفرش له ، وفرش له ، فقال لعلي بن أبي طالب عليه السلام : «أفدني بنفسك» .

قال : «نعم يا رسول الله» .

قال : «نم على فراشي ، والتحف ببردتي» .

فنام علي عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ والتحف ببردته ، وجاء جبرئيل

(١) سورة الأنفال : ٣٠ .

(٢) سورة الأنفال : ٣٥ .

فأخذ بيد رسول الله ﷺ فأخرجه على قريش وهم نيام، وهو يقرأ عليهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(١)، وقال له جبرئيل: «خذ على طريق ثور»، وهو جبل على طريق منى له سنام كسنام الثور، فدخل الغار وكان من أمره ما كان.

فلما أصبحت قريش وأتوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش، فوثب علي ﷺ في وجوههم، فقال: «ما شأنكم؟». قالوا له: أين محمد؟.

قال: «أجعلتموني عليه رقيباً، ألستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم».

فأقبلوا يضربون أبا لهب ويقولون: أنت اتخذنا منذ الليلة».

فتفرقوا في الجبال، وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له: أبو كرز يقفو الآثار، فقالوا له: يا أبا كرز، اليوم اليوم.

فوقف بهم على باب حجرة رسول الله ﷺ، فقال: هذه قدم محمد، والله إنها لأخت القدم التي في المقام.

وكان أبو بكر استقبل رسول الله ﷺ فردّه معه، فقال أبو كرز: وهذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه - ثم قال - وهاهنا عبر ابن أبي قحافة. فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار، ثم قال: ما جاوزا هذا المكان، إما أن يكونا صعدا إلى السماء أو دخلا تحت الأرض.

وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، وجاء فارس من الملائكة حتى وقف على باب الغار، ثم قال: ما في الغار واحد. فتفرقوا في الشعاب وصرفهم الله عن رسوله ﷺ ثم أذن لنبيه في الهجرة^(٢).

(١) سورة يس: ٩.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٧٢-٢٧٦ شورى قريش في دار الندوة.

٢٠

حروب النبي ﷺ

حروب النبي ﷺ كانت دفاعية بأجمعها، ولم تكن هذه الحروب إلا بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة واستقراره فيها وتشكيله حكومة إسلامية قوية، عند ذلك فرض الله على المسلمين القتال الدفاعي لمن قاتلهم، دون من لم يقاتلهم، فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾^(١). فكانت حرب بدر وأحد والخندق وغيرها، على تفصيل ذكرناه في كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم)^(٢) وهنا نكتفي ببعض الكلام فيها.

غزوة بدر الكبرى

جاء خبر رجوع قافلة المشركين من الشام وكان يترأسها أبو سفيان، فخرج رسول الله ﷺ إليها مع أصحابه. وكان خروجهم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وخرج معه الأنصار، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما بلغ أبا سفيان مسيره ﷺ أحجم عن الاقتراب من بدر وأرسل شخصاً بعشرة دنانير على أن يأتي قريباً بمكة فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد اعترض لغيرهم في أصحابه.

فنهض المشركون مسرعين في ألف مقاتل تقريباً، وحشدوا فيمن حولهم من العرب، ولم يتخلف من بطون قريش سوى عدي بن كعب. وخرجوا من ديارهم وقالوا: أیظن محمد وأصحابه أن نكون كعير ابن الحضرمي؟. فخرجوا

(١) سورة البقرة: ١٩٠.

(٢) راجع كتاب ولأول مرة في تاريخ العالم، للإمام الراحل الشيرازي قدس سره: ج ١ ص ١١٠ فصل في

غزواته وسراياه ﷺ.

سراعاً وأخرجوا معهم القيان يشربون الخمر ويضربون بالدفوف.

وفلت أبو سفيان بغير قريش، ولكن المشركين أصروا على محاربة رسول الله ﷺ ووقعت الحرب وأنزل الله نصره للمسلمين على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وانهزم جيش الأعداء.

غزوة أحد

غزوة (أُحُد) وقعت عند جبل مشهور قرب المدينة يسمى أُحُدًا، وكان ذلك في شوال من العام الثالث للهجرة. فإنَّ قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكة منعهم أبو سفيان من البكاء والنوح على قتلاهم، ليقوا على حنفهم وغيظهم ويفكروا في الثأر لقتلاهم، وقال: الدهن والنساء عليّ حرام حتى أغزو محمداً. وبقوا يستعدون للحرب.

فلما استعدت قريش لحرب رسول الله ﷺ كتب العباس بن عبد المطلب وهو في مكة كتاباً يخبر رسول الله ﷺ بخبرهم، واستأجر رجلاً من بني غفار واشترط عليه أن يقطع الطريق إلى المدينة في ثلاثة أيام ويوصل الرسالة إلى رسول الله ﷺ. فقدم الغفاري المدينة وكان رسول الله ﷺ في بعض حيطانها فقراً الرسالة، وأمر ﷺ أصحابه أن يدخلوا المدينة، فأخبرهم بالخبر. وأخذ ﷺ يستشير أصحابه، ثم صلّى فيهم الجمعة وخطب فيهم وأمرهم بالجد والجهاد. وأخبرهم أن النصر لهم إذا صبروا وثبتوا..

وبدأت المعركة، وجعل النبي ﷺ على راية المهاجرين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلى راية الأنصار سعد بن عباد، وجعل عبد الله بن جبير على باب الشعب في خمسين من الرماة، وأكد عليهم في الثبات في مكانهم وقال لهم: اتقوا الله واصبروا، إن رأيتمونا قد هزمناهم وأدخلناهم إلى مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة، فلا تبرحوا والتزموا مراكزكم حتى أرسل إليكم، ولو قتلنا عن آخرنا فإنما نؤتى من موضعكم.

وكان أول من برز من المشركين طلحة بن أبي طلحة فقام أمير المؤمنين علي عليه السلام وبرز إليه وضربه عليه السلام ضربة فمات وسقطت الراية من يده. وكان لطلحة أربعة إخوة فتقدموا فقتلهم علي عليه السلام. ثم حمل راية المشركين غرير بن عثمان فقتله علي عليه السلام، ثم حملها عبد الله بن جميلة فقتله علي عليه السلام ثم حملها أوطاة فقتله علي عليه السلام، ثم حملها صواب الحبشي فقتله علي عليه السلام. ولما سقطت الراية بعد حملها التسعة لم يتجرأ أحد على حملها.

ثم كان الهجوم العام بين الفريقين، وقاتل المسلمون قتالاً شديداً، وقتلوا جماعة كثيرة من رؤساء قريش وأبطالهم، وانهزم المشركون، وكانت مع المشركين هند زوجة أبي سفيان فجعلت تدور على المشركين المنهزمين وتقدم لهم ميلاً ومكحلة وتقول لهم: إنما أنتم نساء فاحتلوا.

كما جعلت هند جائزة كبيرة لـ (وحشي) على أن يقتل أحد ثلاثة: محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله أو علياً عليه السلام أو حمزة عليه السلام. فقال لها وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، لأن أصحابه يطوفون به، وأما علي فإنه أحذر من الذئب، وأما حمزة فياني أطمع فيه لأنه إذا غضب لا يبصر بين يديه.

ولما ظهرت الغلبة للمسلمين اشتغل المسلمون باغتنام الأموال. فرأى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين يقودهم عبد الله بن جبير على باب الشعب، (وقد أوصاهم النبي صلى الله عليه وآله كثيراً بأن يبقوا في مواضعهم، ولا يبرحوا منها لو انتصر المسلمون أو انكسروا).

رأى هؤلاء أن جماعتهم من المسلمين انتصروا، فقالوا لعبد الله: ما يقيمنا هاهنا وقد غنم أصحابنا ونحن نبقي بلا غنيمة! وأرادوا أن ينزلوا من مواضعهم، فجعل عبد الله يذكرهم بوصايا رسول الله صلى الله عليه وآله لهم، فلم يسمعوا منه، فنزلوا وأخلوا مواضعهم، ولم يبق مع عبد الله إلا اثنا عشر رجلاً.

ورأى خالد بن الوليد ذلك وقد جعله أبو سفيان في مائتي فارس، فرجع هو

وعكرمة بن أبي جهل ورجالهما، وحملوا على عبد الله بن جبير وأصحابه فقتلوه. ثم نزل المشركون من مواضعهم وأحاطوا برسول الله ﷺ ومن معه وقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة، وهرب أكثر المسلمين على رؤوس الجبال، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا عدد قليل وقد قرب خالد بن الوليد من النبي ﷺ يحاربه، وباشر النبي ﷺ القتال بنفسه وأصيب بجراح، وأخذ أمير المؤمنين عليه السلام يكر فيهم يميناً وشمالاً، حتى أبعدهم عن رسول الله ﷺ ونادى جبرئيل:

لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار

وكان (وحشي) قد اختبأ خلف إحدى الصخور متربصاً لحمزة عليه السلام يوازن حربته بيده، فلما مر حمزة من أمامه رماه بها فسقط حمزة عم النبي ﷺ شهيداً وقد مثلت به هند.

ثم انتهت معركة أحد بكثرة القتلى من المسلمين لأنهم خالفوا أوامر النبي ﷺ ونزلوا من الجبل لأجل الغنيمة. غير أنهم في النهاية عادوا بأمر رسول الله ﷺ وكروا على المشركين وطاردوهم وهزموهم.

غزوة الخندق

كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة النبوية المباركة. وذلك حيث اجتمع اليهود على نقض العهد والميثاق الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ واتفقوا مع كفار قريش على محاربة النبي ﷺ فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني قرارة، والحارث بن عوف في بني مرة، ومسعر بن دخیلة فيمن تابعه من قومه من أشجع، وتوجهوا في عشرة آلاف، وقيل: في ثمانية عشر ألف رجل، نحو المدينة. وجمع رسول الله ﷺ المسلمين واستشارهم وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه قد أشار بحفر خندق حول المدينة ليكون بين المسلمين والكافرين حجاباً فيؤخرهم

الخندق عن الهجوم السريع..

واستحسن النبي ﷺ والمسلمون رأيه، فأمر ﷺ أصحابه بخفر الخندق، وجعل على كل عشرين أو ثلاثين خطوة قوماً من المهاجرين والأنصار يحفرونه، وقد حمل رسول الله ﷺ بنفسه معهم وظل يحفر حتى عرق جبينه الشريف.

ولما عرف المشركون بخفر الخندق حول المدينة تضايقوا، وأخيراً هجم خمسة من أبطالهم وعلى رأسهم (عمرو بن عبد ود) فاجتاز عمرو الخندق وأخذ يطلب البراز من المسلمين وينادي فيهم برفيع صوته: هل من مبارز؟ هل من مبارز؟

فلم يجبه أحد... إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام.. فخرج علي عليه السلام إلى عمرو، ووقف النبي ﷺ وأصحابه ينظرون إليه، وقد دمت عينا رسول الله ﷺ وأخذ يدعو لعلي عليه السلام بالنصر ويقول: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»^(١).

وبدأت المعركة، وقد قتل علي عليه السلام عمراً، فلما رأى الكفار ذلك تفرقوا، وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام.

٢١

من أخلاق النبي ﷺ وآدابه

كان رسول الله ﷺ قمة في الأخلاق الطيبة، وقد اهتدى ببركة أخلاقه الكثير من المشركين والكافرين والمنافقين وغيرهم إلى الإسلام. حتى قال في حقه الباري عز وجل في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

قال ابن شهر آشوب في (المناقب):

كان النبي ﷺ أحكم الناس وأحلمهم، وأشجعهم وأعدلهم، وأعطفهم وأسخاهم، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من يسير ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه، حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت شيء.

وكان ﷺ يجلس على الأرض وينام عليها، ويخسف النعل، ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة، ويعقل البعير، ويطحن مع الخادم إذا أعيأ، ويضع طهوره بالليل بيده، ولا يجلس متكئاً، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم، ولم يتجشأ قط، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، ولا يثبت بصره في وجه أحد، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد.

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

وكان عليه السلام يلبس برداً حبرة يمنية وشملة وجبة صوف، والغليظ من القطن والكتان، وأكثر ثيابه البياض، ويلبس القميص من قبل ميامنه، وكان له ثوب للجمعة خاصة، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً..

وكان عليه السلام يلبس خاتم فضة في خنصره الأيمن، ويكره الريح الردية، ويستاك عند الوضوء، ويردف خلفه عبده أو غيره، ويركب ما أمكنه من فرس أو بغلة أو حمار، ويركب الحمار بلا سرج وعليه العذار، ويمشي راجلاً.

وكان عليه السلام يشيع الجنائز، ويعود المرضى في أقصى المدينة.

وكان عليه السلام يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويناولهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشر بالبر لهم.

وكان عليه السلام يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلا بما أمر الله، ولا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، وكان أكثر الناس تبساً ما لم ينزل عليه القرآن أو تجر عظة، وربما ضحك من غير قهقهة، لا يرتفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا في ملابس، ما شتم أحداً بشتمه، ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة، ولا لاموا أحداً إلا قال: «دعوه»، لا يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يغفر ويصفح.

وكان عليه السلام يبدأ من لقيه بالسلام، وإذا لقي مسلماً بدأه بالمصافحة، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه وقال: «ألك حاجة؟».

وكان عليه السلام يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط له ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته، وكان في الرضا والغضب لا يقول إلا حقاً.

وكان عليه السلام يأكل القثاء بالرطب والملح، وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب، وأكثر طعامه الماء والتمر، وكان يتمجع اللبن بالتمر ويسميها

الأطيبين، وكان أحب الطعام إليه اللحم، ويأكل الشريد باللحم، وكان يحب القرع، وكان يأكل لحم الصيد ولا يصيده، وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحب من الشاة الذراع والكتف، ومن الصباغ الخل، ومن التمر العجوة، ومن البقول الهندباء، وكان يمزج ولا يقول إلا حقاً^(١).

ومما جاء في صفته ﷺ: أنه كان يسأل عن أصحابه فإن كان أحدهم غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده، وإذا لقيه الرجل فصافحه لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه، وإذا لقيه أحد فقام معه أو جالسه أحد لم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه، وما وضع أحد فمه في أذنه إلا استمر صاعياً حتى يفرغ من حديثه ويذهب.

وكان ﷺ ضحوك السن، أشد الناس خشية وخوفاً من الله، وما ضرب امرأة له ولا خادماً، يسبق حلمه غضبه، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، وأرجحهم حلماً، وأعظمهم عفواً، وأجود بالخير من الريح المرسلة، وأشجع الناس قلباً، وأشدّهم بأساً، وأشدّهم حياءً، كان ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، وإذا أخذه العطاس وضع يده أو ثوبه على فيه، يحب الفال الحسن، ويغير الاسم القبيح بالحسن.

وكان ﷺ يشاور أصحابه في الأمر، وهو أكثر الناس إغضاء عن العورات، إذا كره شيئاً عرف في وجهه، ولم يشافه أحداً بمكروه، حتى إذا بلغه عن أحد ما يكره لم يقل: ما بال فلان يقول أو يفعل كذا، بل ما بال أقوام.

وكان ﷺ أوسع الناس صدرأ، ما دعاه أحد من أصحابه أو أهل بيته إلا قال: «لييك»، وكان يخاطب أصحابه ويحدثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ولا يدعوه أحمر ولا أسود

(١) راجع المناقب: ج ١ ص ١٤٥-١٤٧ فصل في آدابه ومزاجه ﷺ.

من الناس إلا أجابه. لم يرقط ماداً رجله بين أصحابه، ولا مقدماً ركبته بين يدي جليس له قط.

قال أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما رأيته قط أدنى ركبته من ركبة جليسه. إلى أن قال. وما قال لشيء صنعت: لِمَ صنعتَ كذا؟، ولقد شمت العطر فما شمت ريح شيء أطيب ريحاً من رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ ينادي أصحابه بأحب أسمائهم ويكنيهم، وإذا سمع بكاء الصغير وهو يصلي خفف صلاته.

وكان ﷺ أكثر الناس شفقة على خلق الله، وأرأفهم بهم، وأرحمهم بهم. وكان ﷺ أوصل الناس للرحم، وأقومهم بالوفاء وحسن العهد، يأكل على الأرض ويقول: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد». وكان ﷺ يلبس الغليظ، ويحب التيامن في شأنه كله، في ظهوره وترجله وتنعله، يعود المساكين بين أصحابه، ويعلف ناضحه، ويقم البيت، ويجلس ويأكل مع الخادم، ويحمل بضاعته من السوق، لا يجمع في بطنه بين طعامين. وكان ﷺ أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً، ما سئل شيئاً قط فقال: لا، إذا أراد أن يفعل قال: نعم، وإذا لم يرد أن يفعل سكت.

وكان ﷺ إذا جاء شهر رمضان أطلق كل أسير، وأعطى كل سائل. وكان ﷺ أصبر الناس على أوزار الناس، ليس بالعاجز ولا الكسلان، وما رئي يأكل متكئاً قط. وكثيراً ما يصلي في نعليه، ويلبس القلانس اللاطئة، ويلبس القلنسوة تحت العمامة، وبدون عمامة، ويتعمم بدون قلنسوة، وكان له عمامة سوداء دخل يوم فتح مكة وهو لابسها، وكان يلبسها في العيدين ويرخيها خلفه، وروي أنها كانت تسعة أكوار، وقال بعضهم: الظاهر إنها كانت نحو عشرة أذرع، وكانت له بردة يخطب فيها.

ومما جاء في وصفه ﷺ: أنه كان حسن الإصغاء إلى محدثه، لا يلوي عن

أحد وجهه، ولا يكتفي بالاستماع إلى من يحدثه، بل يلتفت إليه بكل جسمه، وكان قليل الكلام، كثير الإنصات، ميالاً للجد من القول، ويضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه.

وعن الحسن بن محمد الديلمي في (الإرشاد)، قال: «كان النبي ﷺ يرفع ثوبه، ويخسف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ويركب الحمار ويردف، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجة من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها هو، ويسلم على من استقبله من كبير وصغير وغني وفقير، ولا يحقر ما دعي إليه ولو إلى خشف التمرة، وكان خفيف المثونة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بشاشاً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، متواضعاً من غير مذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب، رحيماً بكل مسلم، ولم يتجشأ من شبع قط، ولم يمد يده إلى طمع»^(١).

وقال أبو الدرداء: لا يزال العبد يزداد من الله بعد ما مشى خلفه، وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم^(٢).

وقال أنس: كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فلا ينزع منها يده حتى تذهب به حيث شاءت^(٣).

ودخل رجل على رسول الله ﷺ وعليه جذري قد يقشر وعنده أصحابه يأكلون، فما جلس عند أحد إلا قام من جنبه، فأجلسه النبي ﷺ بجنبه^(٤).

(١) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١١٥ ب ٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٠٦ ب ١٣٠.

(٣) التواضع والخمول، ابن أبي الدنيا: ص ١٥٨ باب التواضع ح ١٢٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٠٦ ب ١٣٠.

وكان رسول الله ﷺ يصافح الغني والفقير والصغير والكبير، ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير، أسود أو أحمر، حر أو عبد من أهل الصلاة. ليس له حلة لمدخله وحلة لمخرجه، لا يستحيي من أن يجيب إذا دعي وإن كان أشعث أغبر، ولا يحقر ما دعي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل، لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء، هين المقولة، لين الخلقة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، شديداً من غير عنف، متواضعاً من غير مذلة، جواداً من غير سرف، رحيماً بكل ذي قرى، قريباً من كل ذمي ومسلم، رقيق القلب، دائم الإطراق، لم يشم قط من شبع، ولا يد يده إلى طمع»^(١).

وعن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله علمني؟ قال: اذهب ولا تغضب. فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك.

فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله ﷺ: لا تغضب، فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه. فقال: يا هؤلاء، ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه.

فقال القوم: فما كان فهو لكم نحن أولى بذلك منكم.
قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٠٨-٢٠٩ ب ١٣٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٤ باب الغضب ح ١١.

وهكذا يصفه الأمير ﷺ

قال أمير المؤمنين ﷺ في وصف رسول الله ﷺ وهو أعرف الناس به ﷺ حيث قال ﷺ: «يا علي، ما عرف الله إلا أنا وأنت، ولا عرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا»^(١).

قال ﷺ في نهج البلاغة:

«فتأس بنبيك الأطيب الأطهر ﷺ فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى، وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه، والمقتص لأثره، قضم الدنيا قضمًا، ولم يعرها طرفًا، أهضم أهل الدنيا كشحًا، وأخصمهم من الدنيا بطنًا، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، وعلم أن الله أبغض شيئًا فأبغضه، وحقر شيئًا فحقره، وصغر شيئًا فصغره، ولو لم يكن فينا إلا حبن ما أبغض الله، وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقًا لله ومحادة عن أمر الله، ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخسف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته تكون فيه التصاوير فيقول: «يا فلانة - لإحدى أزواجه - غيبه عني؛ فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها»، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها ريشًا، ولا يعتقدها قرارًا، ولا يرجو فيها مقامًا، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر، وكذلك من أبغض شيئًا أبغض أن ينظر إليه وأن يذكر عنده، ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدل على مساوئ الدنيا وعيوبها؛ إذ جاع فيها مع خاصته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله أكرم الله بذلك محمدًا

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ص ١٤٥ سورة النساء، تأويل الآيات الظاهرة: ص ٢٢٧ سورة يونس.

أم أهانه؟ فإن قال: أهانه، فقد كذب والله العظيم وأتى بالإفك العظيم، وإن قال: أكرمه، فليعلم أن الله قد أهان غيره؛ حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه، فإن تأسى متأسٍ بنبيه واقتص أثره وولج مولجه، وإلا فلا يأمن الهلكة، فإن الله جعل محمداً عليه السلام علماً للساعة، ومبشراً بالجنة، ومنذراً بالعقوبة خرج من الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسييله، وأجاب داعي ربه، فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفاً نتبعه، وقائداً نطأ عقبه. والله، لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اغرب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى»^(١).

(١) مكارم الأخلاق: ص ٩-١٠ المقدمة.

قصص عن أخلاق النبي ﷺ

يا أخا بني سليم

بُعِثَ رسول الله ﷺ لهداية الناس لا للانتقام منهم، فكان يعفو عن مسيئتهم، ويسعى في هدايتهم بالتي هي أحسن وبالحكمة والموعظة الحسنة.

عن ابن عباس، قال: خرج أعرابي من بني سليم يتبدى في البرية فإذا هو بضَبٍّ قد نفر من بين يديه، فسعى وراءه حتى اصطاده، ثم جعله في كُمِّه وأقبل يزدلف نحو النبي ﷺ. فلما أن وقف بإزائه ناداه: يا محمد، يا محمد، وكان من أخلاق رسول الله ﷺ إذا قيل له: يا محمد. قال: يا محمد، وإذا قيل له: يا أحمد. قال: يا أحمد، وإذا قيل له: يا أبا القاسم. قال: يا أبا القاسم، وإذا قيل له: يا رسول الله. قال: لبيك وسعديك، وتهلل وجهه. فلما أن ناداه الأعرابي: يا محمد، يا محمد. قال له النبي: يا محمد، يا محمد. قال له: أنت الساحر الكذاب الذي ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة هو أكذب منك! أنت الذي تزعم أن لك في هذه الخضراء إلهاً بعث بك إلى الأسود والأبيض، واللات والعزى لولا أنني أخاف أن قومي يسمونني العجول لضربتك بسيفي هذا ضربة أقتلك بها فأسود بك الأولين والآخرين.

فوثب إليه عمر بن الخطاب ليبطش به، فقال النبي ﷺ: «اجلس يا با حفص فقد كاد الحليم أن يكون نبياً». ثم التفت النبي ﷺ إلى الأعرابي فقال له: «يا أخا بني سليم، هكذا تفعل العرب يتهمون علينا في مجالسنا يجهلوننا بالكلام الغليظ. يا أعرابي، والذي بعثني بالحق نبياً إن من ضربني في دار الدنيا هو

غداً في النار يتلظى. يا أعرابي، والذي بعثني بالحق نبياً إن أهل السماء السابعة يسمونني أحمد الصادق. يا أعرابي، أسلم تسلم من النار يكون لك ما لنا وعليك ما علينا، وتكون أخانا في الإسلام».

قال: فغضب الأعرابي وقال: واللات والعزى لا أومن بك يا محمد أو يؤمن هذا الضب. ثم رمى بالضب عن كُفمه، فلما أن وقع الضب على الأرض ولى هارباً فناداه النبي ﷺ: «أيها الضب، أقبل إليَّ». فأقبل الضب ينظر إلى النبي ﷺ. قال: فقال له النبي ﷺ: «أيها الضب من أنا؟». فإذا هو ينطق بلسان فصيح ذرب غير قطع فقال: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. فقال له النبي ﷺ: «من تعبد؟». قال: أعبد الله عز وجل الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، واتخذ إبراهيم خليلاً، واصطفاك يا محمد حبيباً، ثم أنشأ يقول:

ألا يا رسول الله إنك صادق	فبوركت مهدياً وبوركت هادياً
شرعت لنا دين الحنيضة بعدما	عبدنا كأمثال الحمير الطواغيا
فيا خير مدعو ويا خير مرسل	إلى الجن بعد الإنس لبيك داعياً
ونحن أناس من سليم وإننا	أتيناك نرجو أن ننال العواليا
أتيت ببرهان من الله واضح	فأصبحت فينا صادق القول زاكياً
فبوركت في الأحوال حياً وميتاً	وبوركت مولوداً وبوركت ناشياً

قال: ثم أطبق على فم الضب فلم يجر جواباً، فلما أن نظر الأعرابي إلى ذلك قال: وا عجباً ضب اصطدته من البرية ثم أتيت به في كمي لا يفقه ولا ينقه ولا يعقل يكلم محمداً ﷺ بهذا الكلام ويشهد له بهذه الشهادة أنا لا أطلب أثراً بعد عين، مد يمينك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فأسلم الأعرابي وحسن إسلامه^(١).

قد اعتقتك

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أتى رسول الله ﷺ بأسارى فقدم رجل منهم ليضرب عنقه، فقال له جبرئيل: آخر هذا، اليوم يا محمد. فردّه وأخرج غيره حتى كان هو آخرهم، فدعا به ليضرب عنقه فقال له جبرئيل: يا محمد، ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن أسيرك هذا يُطعم الطعام، ويُقري الضيف، ويصبر على النائبة، ويحمل الحملات.

فقال له النبي ﷺ: إن جبرئيل أخبرني فيك عن الله بكذا وكذا وقد أعتقتك. فقال له: وإن ربك ليحب هذا؟!

فقال: نعم.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ﷺ، والذي بعثك بالحق نبياً لا رددت عن مالي أحداً أبداً^(١).

فيك خصال يحبها الله

عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أتى النبي ﷺ بأسارى فأمر بقتلهم خلا رجلاً من بينهم. فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا محمد، كيف أطلقت عني من بينهم؟»

فقال: أخبرني جبرئيل عن الله عزوجل أن فيك خمس خصال يحبها الله عزوجل ورسوله: الغيرة الشديدة على حرمك، والسخاء، وحسن الخلق، وصدق اللسان، والشجاعة.

فلما سمعها الرجل أسلم وحسن إسلامه، وقاتل مع رسول الله ﷺ قتالاً شديداً حتى استشهد^(٢).

(١) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٤٧٠ ب ٤٧ ح ١٢٥١٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٨٤-٣٨٥ ب ٩٢ ح ٢٥.

العضو عند المقدرة

وبلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة، عليهم رجل يقال له: دعثور بن الحارث بن محارب.

فخرج رسول الله ﷺ في أربعمئة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس وهرب منه الأعراب فوق ذري الجبال، ونزل رسول الله ﷺ ذا أمر وعسكر به، وأصابهم مطر كثير. فذهب رسول الله ﷺ لحاجة فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه، وقد جعل رسول الله ﷺ وادي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف وألقاها على شجرة، ثم اضطجع تحتها والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله ﷺ.

فقال الأعراب لدعثور - وكان سيدهم وأشجعهم -: قد أمكنك محمد وقد انفرد من بين أصحابه حيث إن غوث بأصحابه لم يغث حتى تقتله. فاختر سيفاً من سيوفهم صارماً ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس رسول الله بالسيف مشهوراً. فقال: يا محمد، من يمنك مني اليوم؟.

قال: «الله»، ودفع جبرئيل في صدره فوق السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه وقال: «من يمنك مني؟».

قال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً. فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه ثم قال: والله لأنت خير مني. قال رسول الله: «أنا أحق بذلك». فأتى قومه فقيل له: أينما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك!. قال: وقد كان والله ذلك ولكنني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليه، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام^(١).

(١) إعلام الوري: ص ٧٩-٧٨ ب ٤.

٢٣

الشورى والاستشارة

كان رسول الله ﷺ يؤكد على مبدأ الاستشارة في الأمور، وعدم الاستبداد في الرأي، كما نص على ذلك القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(١)، وقال عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢).

فإن الأمور تكون بالشورى إلا فيما ورد فيه النص عن الله عز وجل أو المعصوم ﷺ، حيث لا يجوز الاجتهاد في قبال النص.

وكان رسول الله ﷺ يطبق الاستشارة بنفسه، كما استشار في قصة الخندق، وحرب أحد، وغزوة الخندق، وحتى في اللحظات الأخيرة من حياته عندما نزل عليه ملك الموت ...

في غزوة بدر

في غزوة بدر الكبرى نزل رسول الله ﷺ بأصحابه ذفران، فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، ونزل عليه جبرئيل فأخبره بأن العير قد أفلتت، وأن قريشاً قد أقبلت لقتاله. فاستشار النبي ﷺ أصحابه في ذلك وأخبرهم عن قريش وخروجهم إليهم. فقام المقداد بن الأسود وقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٣)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد

(١) سورة الشورى: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

- وهو موضع باليمن - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ، ثم قال رسول الله ﷺ : «أشيروا عليّ أيها الناس» . وإنما يريد الأنصار ، ثم أعادها ثانية وثالثة ، ففهمت الأنصار أنه يعينهم ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري وقال : لكأنك يا رسول الله تريدنا؟ . فقال النبي ﷺ : «أجل» . فقال سعد : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق من عند الله ، وأعطيناك على ذلك عهدونا وموآثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله وصل من شئت واقطع من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد وشكره والأنصار على ذلك .

ثم قال رسول الله ﷺ : «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده ، والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم» ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ بهم ونزل قريباً من بدر^(١) .

وورد أيضاً :

ثم سار رسول الله ﷺ حتى نزل مياه بدر - وكانت منطقة بدر واسعة - جنوبها العدو القصى ، وشمالها العدو الدنيا ، وفيها عدة آبار وعيون للماء تنزل فيها القوافل . فسبق رسول الله ﷺ قريشاً إلى بدر ، ومنع قريشاً من السبق إليه مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم ولم يصب منه المسلمين إلا ما لبد لهم

(١) انظر كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) ، للإمام الشيرازي رحمه الله : ج ١ ص ١٢٠-١٢١ النبي ﷺ يستشير أصحابه .

دهس الوادي وأعانهم. ولما نزل ﷺ مياه بدر مما يلي المدينة أتاه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل هو منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي في الحرب؟ فقال ﷺ في جوابه: «بل هو الرأي». فقال: يا رسول الله ﷺ، إن هذا ليس بمنزل فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه فيكون الماء في متناولنا فنشرب ونروى. فاستحسن رسول الله ﷺ هذا الرأي وفعله، فكان سبباً من أسباب تفوقهم على المشركين^(١).

في غزوة أحد

ولما علم رسول الله ﷺ بأن قريش قد اجتمعت لحربه في غزوة أحد، جمع أصحابه يستشيرهم في مواجهة المشركين، فقال ﷺ: «أشيروا عليّ»، ورأى - على رواية - أن لا يخرج من المدينة. فقال بعضهم: يا رسول الله، إن مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط، وما خرجنا إلى عدو منها قط إلا أصاب منا، وما دخل علينا قط إلا أصبناهم، يعني بذلك: عدم الخروج من المدينة. وقال بعضهم: يا رسول الله، إنا نخشى أن يظن عدونا أننا نكره الخروج إليهم جنباً عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا. وقال حمزة: والذي أنزل عليه الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة. وكان هذا رأي الأكثرية، فعزم رسول الله ﷺ على الخروج، فصلى بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبر أن لهم النصر ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك. ثم صلى ﷺ بالناس العصر وقد تحشدوا، وحضر أهل العوالي واصطف الناس ينتظرون خروجه، فلبس ﷺ السلاح وخرج^(٢).

(١) انظر كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) للإمام المؤلف رحمه الله: ج ١ ص ١٢٤ التشاور يهدي إلى التفوق.

(٢) انظر كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج ١ ص ١٤٢-١٤٣ النبي ﷺ يستشير أصحابه.

في غزوة الخندق

لما خرجت قريش في حرب الأحزاب وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني قرارة، والحارث بن عوف في بني مرة، ومسعر بن دخیلة فيمن تابعه من قومه من أشجع، وتوجهوا في عشرة آلاف، وقيل: في ثمانية عشر ألف رجل نحو المدينة، وسمع رسول الله ﷺ بتجمع الأحزاب وسيرهم نحو المدينة المنورة استشار أصحابه، فكان رأيهم على المقام في المدينة وحرب القوم إن جاءوا إليهم على أنقابها. فأشار سلمان الفارسي بالخندق واستحسنه القوم، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ بصواب رأي سلمان. فخرج رسول الله ﷺ فحدد حفر الخندق من ناحية أحد إلى راتج، حيث كان سائر أنحاء المدينة مشبك بالنخيل والبنيان، وخط موضع الحفر بخط على الأرض، فضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، فحضر بنفسه في موضع المهاجرين وعلي عليه السلام ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله ﷺ وعيا، وقال: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين»^(١).

استشارة أم سلمة

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عز وجل أمر رسول الله ﷺ في النوم أن يدخل المسجد الحرام ويطوف ويحلق مع الملقين، فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج فخرجوا، فلما نزل ذا الحليفة أحرموا بالعمرة وساقوا البدن، وساق رسول الله ﷺ ستاً وستين بدنة وأشعرها عند إحرامه، وأحرموا من ذي الحليفة ملبين بالعمرة قد ساق من ساق منهم الهدى مشعرات مجلات. وساق قصة الحديدية وصددهم المشركون وكيفية الصلح إلى أن قال عليه السلام. وقال رسول الله

(١) انظر كتاب ولأول مرة في تاريخ العالم: ج ١ ص ١٧٨ المشورة تهدي إلى الظفر.

ﷺ : انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم. فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة. فاغتم رسول الله ﷺ من ذلك وشكا ذلك إلى أم سلمة. فقالت: يا رسول الله، انحر أنت واحلق. فنحر رسول الله ﷺ وحلق، فنحر القوم على خبث يقين وشك وارتياب. فقال رسول الله ﷺ تعظيماً للبدن: رحم الله الملقين. وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله، والمقصرين؛ لأن من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق. فقال رسول الله ﷺ ثانياً: رحم الله الملقين الذين لم يسوقوا الهدي. قالوا: يا رسول الله، والمقصرين. فقال: رحم الله المقصرين»، الخبر^(١).

ملكاً رسولاً أم عبداً رسولاً؟

استشار رسول الله ﷺ جبرئيل عندما نزل عليه ملك - وهو إسرافيل حسب بعض الروايات^(٢) - وقال: إن الله تعالى يخبرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو ملكاً رسولاً؟ فنظر رسول الله ﷺ إلى جبرئيل وأوماً جبرئيل بيده أن تواضع. فقال ﷺ: «عبداً متواضعاً رسولاً»^(٣).

وحتى في اللحظات الأخيرة

في الحديث: «أنه لما استأذن عزرائيل على رسول الله ﷺ ودخل بيت فاطمة عليها السلام وقال: السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك. قال له رسول الله ﷺ: وعليك السلام يا ملك الموت. قال عزرائيل: إن ربك أرسلني إليك وهو يقرؤك السلام ويخيرك بين لقاءه والرجوع إلى الدنيا.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٣١٢-٣١٣ ب ٤ ح ١٠٩٨٨.

(٢) انظر بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٩٢، وتفسير القمي: ج ٢ ص ٢٧.

(٣) راجع الكافي: ج ٢ ص ١٢٢ باب التواضع ح ٥.

فاستمهله رسول الله ﷺ حتى ينزل جبرئيل ويستشيره، فخرج ملك الموت من عنده وجاء جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا القاسم ﴿وَلَا خَيْرَ خَيْرٍ لَكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١)، إلى آخر الحديث^(٢).

روايات الرسول ﷺ في الاستشارة

- قال رسول الله ﷺ: «ما تشاور قوم إلا هُتدوا لأرشد أمرهم»^(٣).
- وقال ﷺ: «من أراد أمراً فشاور فيه وقضى هُدي لأرشد الأمور».
- وقال ﷺ: «من أراد أمراً فشاور فيه امرئ مسلماً وفقه الله لأرشد أمره».
- وقال ﷺ: وهو يوصي أمير المؤمنين عليه السلام عند ما بعثه إلى اليمن -: «يا علي، ما حار من استخار، ولا ندم من استشار»^(٤).
- وقال ﷺ: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاؤكم، ولم يكن أمركم شورى بينكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».
- وقال ﷺ: «ما شقا عبد بمشورة، ولا سعد باستغناء رأي».
- وقال ﷺ: «لا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة»^(٥).
- وقال ﷺ: «ما من رجل يشاور أحداً إلا هُدي إلى الرشد»^(٦).

(١) سورة الضحى: ٤ - ٥.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في نهاية هذا الكتاب تحت عنوان (في بيت فاطمة عليها السلام).

(٣) بحار الأنوار: ج ٧ ص ١٠٥ ب ١٩ ح ٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٧٨ ب ٥ ح ١٠١٢٥.

(٥) تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٤٠٤ ح ٤١٠ سورة آل عمران.

(٦) مجمع البيان: ج ٩ ص ٥٧ سورة الشورى.

وقال ﷺ: «لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير»^(١).

وعن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢)، قال رسول الله

ﷺ: «أما إن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غيأ».

وقال ﷺ: «شاوروا العلماء الصالحين، فإذا عزمتم على إمضاء ذلك فتوكلوا على الله».

وقال ﷺ: «آخ من الإخوان أهل التقى، واجعل مشورتك من يخاف الله تعالى».

وقال ﷺ: «شاوِرِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي أُمُورِهِمْ».

وقال ﷺ: «الحزم أن تستشير ذا الرأي وتطيع أمره»^(٣).

وقال ﷺ: «إذا أشار عليك العاقل الناصح فاقبل وإياك والخلاف عليهم فإن فيه الهلاك»^(٤).

وقال ﷺ: «استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا»^(٥).

وقال ﷺ: «من استشاره أخوه المسلم فأشار عليه بغير رشد فقد خان».

وقال ﷺ: «من استشار أخاه فأشار عليه بأمر وهو يرى الرشد غير ذلك خان».

وقال ﷺ: «من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خان».

وقال ﷺ: «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه».

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢٣٨ ب ٨ ف ١٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٤٢ ب ٢٠ ح ٩٦١٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٥ ب ٤٨ ضمن ح ٤١.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٩-٢٠ ب ٩ ح ١٥٥٣١.

وقال عليه السلام: «المستشار مؤتمن»^(١).

وقال عليه السلام: «المستشار مؤتمن، فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه».

وقال عليه السلام: «المستشير معان».

وقال عليه السلام: «من استشير فأشار بغير رأيه سلبه الله تعالى رأيه».

وقال عليه السلام: «من غش المسلمين في مشورة فقد برئت منه»^(٢).

وقال عليه السلام: «من استشاره أخوه المؤمن فلم يحضه النصيحة ساءبه الله

ليه»^(٣).

(١) غوالي اللالكئي: ج ١ ص ١٠٤ ف ٦ ح ٣٩، وغوالي اللالكئي: ج ١ ص ٤٣٩ ب ١ المسلك الثالث ح ١٥٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٦٦ ب ٣١ ح ٢٩٦.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٤٦ ب ٢٢ ح ٩٦٢١.

العلم والعلماء

كان النبي ﷺ يحث المسلمين على التعليم والتعلم، ويؤكد كثيراً على العلم والعلماء، فرسول الإسلام ﷺ رسول العلم والفضيلة، والدين الإسلامي دين العقل والمنطق، لا السيف والجبر، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١). وقال عز وجل: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾^(٣).

فكان النبي ﷺ يحب العلم والعلماء ويرجع حلقات العلم على حلقات الدعاء، ففي الحديث: خرج رسول الله ﷺ فإذا في المسجد مجلسان: مجلس يتفقهون ومجلس يدعون الله ويسألونه، فقال ﷺ: «كلا المجلسين إلى خير، أما هؤلاء فيدعون الله وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل، هؤلاء أفضل، بالتعليم أرسلت»، ثم قعد معهم^(٤).

وقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلمة ومسلمة»^(٥).

وعن أبي ذر (رضوان الله عليه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، الجلوس ساعة عند مذاكرة العالم أحب إلى الله من ألف جنازة من جنازة الشهداء، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من قيام ألف ليلة يصلي في كل

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة الأنفال: ٤٢.

(٣) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٠٦ ب ٤ ح ٣٥.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٤٩ ب ٤ ح ٢١٢٥٠.

ليلة ألف ركعة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من ألف غزوة وقراءة القرآن كله».

قال: يا رسول الله، مذاكرة العلم خير من قراءة القرآن كله؟!

فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إليّ من قراءة القرآن كله اثني عشر ألف مرة، عليكم بمذاكرة العلم فإن بالعلم تعرفون الحلال من الحرام، ومن خرج من بيته ليلتمس باباً من العلم كتب الله عزوجل له بكل قدم ثواب نبي من الأنبياء، وأعطاه الله بكل حرف يستمع أو يكتب مدينة في الجنة، وطالب العلم أحبه الله وأحبه الملائكة وأحبه النبيون، ولا يحب العلم إلا السعيد، وطوبى لطالب العلم يوم القيامة. يا أبا ذر، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير لك من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، والنظر إلى وجه العالم خير لك من عتق ألف رقبة»^(١).

وفي (روضة الواعظين): روي عن بعض الصحابة، قال: جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إذا حضرت جنازة أو حضر مجلس عالم أيهما أحب إليك أن أشهد؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن كان للجنازة من يتبعها ويدفنها فإن حضور مجلس العالم أفضل من حضور ألف جنازة، ومن عيادة ألف مريض، ومن قيام ألف ليلة، ومن صيام ألف يوم، ومن ألف درهم يتصدق بها على المساكين، ومن ألف حجة سوى الفريضة، ومن ألف غزوة سوى الواجب تغزوها في سبيل الله بمالك ونفسك، وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم، أما علمت أن الله يُطاع بالعلم ويُعبد بالعلم، وخير الدنيا والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «وأكثر مدارس العلماء ومناظرة الحكماء في تثبيت

(١) جامع الأخبار: ص ٣٧ الفصل العشرون في العلم.

(٢) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٢ باب الكلام في ماهية العلوم وفضلها.

سنن العدل على مواضعها، وإقامتها على ما صلح به الناس؛ فإن ذلك يحبي الحق ويميت الباطل ويكفي دليلاً به على ما صلح به الناس، لأن السنة الصالحة من أسباب الحق التي تعرف بها، ودليل أهلها على السبيل إلى طاعة الله فيها»^(١).

وقال النبي ﷺ: «المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة سترًا فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات، وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلا ناداه ربه عز وجل: جلست إلى حبيبي فوعزتي وجلالي لأسكنتك الجنة معه ولا أبالي»^(٢).

وقال ﷺ: «المتقون سادة، والفقهاء قادة، والجلوس إليهم عبادة»^(٣).

وقال ﷺ: «الأنبياء قادة، والفقهاء سادة، ومجالستهم زيادة»^(٤).

وقال ﷺ: «مجالسة العلماء عبادة، والنظر إلى علي عليه السلام عبادة»^(٥).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «النظر في وجه العالم حبا له عبادة»^(٦).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً»^(٧).

(١) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٥٧ ذكر ما يجب للأمرء وما يجب عليهم.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٩٥-٩٦ ب ٨ ح ٣٣٣٠٨.

(٣) الأمالي للطوسي: ص ٢٢٥ المجلس الثامن ح ٣٩٢.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٤٧٣ المجلس ١٧ ح ١٠٣٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٠٤ ب ٤ ح ٢٤.

(٦) بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٠٥ ب ٤ ح ٢٩.

(٧) منية المريد: ص ١٢١-١٢٢ ف ٦.

التعددية

النظام السياسي - وكذلك الاقتصادي - في الإسلام نظام تعددي تنافسي، وهو من مقومات تقدم المجتمع، وهذه التعددية الإيجابية كانت جليلة بين المهاجرين والأنصار، وربما الفئات الأخرى من المجتمع.

وفلسفة التعددية هي التنافس في الخير والفضيلة والتقدم.

وهذه التعددية لا تنافي الأخوة الإسلامية كما هو واضح.

روي في (غوالي اللآلي) باب السبق والرماية: (أن رسول الله ﷺ مر بقوم من الأنصار يترامون، فقال رسول الله ﷺ: أنا في الحزب الذي فيه ابن الأدرع، فأمسك الحزب الآخر وقالوا: لن يغلب حزب فيه رسول الله ﷺ. قال: «ارموا فإني أرمي معكم»، فرمى مع كل واحد رشقاً، فلم يسبق بعضهم بعضاً، فلم يزالوا يترامون وأولادهم وأولاد أولادهم لا يسبق بعضهم بعضاً^(١)).

وكم من خطبة خطبها رسول الله ﷺ وقال فيها: «يا معشر المهاجرين والأنصار»، تشير إلى بعضها: في قصة حفر الخندق: قام رسول الله ﷺ إلى سفير الخندق ثم قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار أجيبوا جابراً»، قال جابر: وكان في الخندق سبعمئة رجل، فخرجوا كلهم، ثم لم يمر بأحد من المهاجرين والأنصار إلا قال: «أجيبوا جابراً»، القصة^(٢). وفي حرب أحد، أمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: «يا معشر المهاجرين والأنصار، من كانت به جراحة فليخرج ومن لم يكن به جراحة فليقم»^(٣).

(١) منية المريد: ص ١٢١-١٢٢ ف ٦.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٧٨ معاجز رسول الله ﷺ في الخندق.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ١٢٤-١٢٥ مواساة رجل من الأنصار.

وروى العلامة المجلسي رحمه الله في (البحار): في خبر عن كعب بن عجرة، أن المهاجرين والأنصار وبني هاشم اختصموا في رسول الله ﷺ أينما أولى به وأحب إليه؟ فقال ﷺ: «أما أنتم يا معشر الأنصار فإنما أنا أخوكم».

فقالوا: الله أكبر، ذهبنا به ورب الكعبة.

وقال ﷺ: «وأما أنتم معشر المهاجرين فإنما أنا منكم».

فقالوا: الله أكبر، ذهبنا به ورب الكعبة.

وقال ﷺ: «وأما أنتم يا بني هاشم فأنتم مني وإلي».

يقول الراوي: فقمنا وكلنا راض مغتبط برسول الله ﷺ^(١).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾^(٢) جمعهم ﷺ ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار، إن الله تعالى يقول: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ والمنسك هو الإمام، لكل أمة بعد نبيها حتى يدركه نبي، ألا وإن لزوم الإمام وطاعته هو الدين وهو المنسك، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام إمامكم بعدي»^(٣).

وعن سلمان الفارسي رحمه الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا معشر المهاجرين والأنصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هذا علي أخى ووزيرى ووارثى وخليفتى إمامكم، فأحبوه لحبي وأكرموا لكرامتي؛ فإن جبرئيل أمرني أن أقول لكم ما قلت»^(٤). وعنه ﷺ، قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، أحبوا علياً بحبي وأكرموا لكرامتي، والله ما قلت لكم هذا من قبلي ولكن الله أمرني بذلك»^(٥).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣١٢ ب ٨ ح ١٦.

(٢) سورة الحج: ٦٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٣٤٥ سورة الحج وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٢٢٣ المجلس الثامن ح ٣٨٦.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٣٠٥ ب ٨٧ ضمن ح ١٢٠.

الحريات الإسلامية

لم تر البشرية من الحريات مثل ما جاء به رسول الله ﷺ حيث ضمن لكل حرياتهم المشروعة من دون الاعتداء على حرية الآخرين.

وقد وصف الباري تعالى رسوله الخاتم ﷺ بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

نماذج من الحريات الإسلامية:

حرية التجارة، حرية البيع، حرية الاشتراط في العقد، حرية القرض، حرية الرهن، حرية الضمان، حرية الحوالة، حرية الكفالة، حرية الصلح، حرية الشركة، حرية المضاربة، حرية المزارعة، حرية المساقاة، حرية الإيداع، حرية الاستعارة، حرية الإجارة، حرية الوكالة، حرية الوقف، حرية الصدقات، حرية السكنى والعمرى والرقبى والحبس، حرية الهبة، حرية السبق والرماية، حرية الوصية، حرية النكاح، حرية الطلاق، حرية الخلع، حرية المباراة، حرية اللعان، حرية الإقرار، حرية الجعالة، حرية الأيمان، حرية الشفعة، حرية إحياء الموات، حرية حيازة المباحات، حرية اللقطة، حرية الصيد والذبابة، الحريات

العبادية، حرية الإعلام، حرية التأليف، حرية البيان، حرية النشر والتوزيع، حرية التجمع، حرية تأسيس الأحزاب والمنظمات والهيئات، حرية التعبير عن الرأي، حرية المعارضة وحقوقها، حرية الخروج بالمظاهرات السلمية، حرية الإقامة والسفر، حرية فتح الشركات والمصانع والمعامل، حرية الكسب والتجارة، حرية البناء والعمران، الحريات السياسية، الحريات الاقتصادية، الحريات الاجتماعية، وغيرها من الحريات الكثيرة^(١).

(١) راجع موسوعة الفقه: كتاب الحريات، وكذلك كتاب (الحرية الإسلامية) وكتاب (الصياغة الجديدة) للإمام المؤلف مئتين.

حقوق المعارضة

من أهم الحريات السياسية في الإسلام حرية المعارضة وضمان حقوقها، وهذا ما جاء به رسول الله ﷺ وطبقه في حكومته الإسلامية بالمدينة المنورة، فالمعارضة كانوا يتمتعون بكامل حرياتهم، ومن أمثلة ذلك قصص المنافيين في عهد النبي ﷺ.

روى الشيخ المفيد رحمته الله في (الإرشاد)^(١)، قال: لما قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين، أقبل رجل طويل آدم أجناً بين عينيه أثر السجود، فسلم ولم يخص النبي ﷺ، ثم قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم.

قال رسول الله ﷺ: «وكيف رأيت؟».

قال: لم أرك عدلت!

فغضب رسول الله ﷺ، وقال: «ويلك، إذا لم يكن العدل عندي فعند من

يكون؟»!

فقال المسلمون: ألا نقتله؟.

قال: «دعوه، فإنه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلهم الله على يد أحب الخلق إليه من بعدي». فقتله أمير المؤمنين عليه السلام فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج.

وروى العلامة المجلسي رحمته الله في (البحار)^(٢): إن النبي ﷺ خط الخندق عام الأحزاب، وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في

(١) الإرشاد: ج ١ ص ١٤٨ باب طرف من أخبار أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٨٨ ب ١٧ غزوة الأحزاب.

سلمان - وكان رجلاً قوياً - فقال المهاجرون : سلمان منا . وقالت الأنصار : سلمان منا . فقال النبي ﷺ : «سلمان منا أهل البيت» .

قال عمرو بن عوف : كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا كنا يجب ذي ناب أخرج الله من باطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا . فقلنا : يا سلمان ، إرق إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة ، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب ، وإما أن يأمرنا فيه بأمره ؛ فإننا لا نحب أن نتجاوز خطه .

قال : فرقي سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية ، فقال : يا رسول الله ، خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير ، فمرنا فيها بأمرك فإننا لا نحب أن نتجاوز خطك .

قال : فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق ، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان ، فضربها به ضربة صدعها ، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله ﷺ ثانية فبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله ﷺ ثالثة فكسرهما وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبر المسلمون ، وأخذ بيد سلمان ورقي . فقال سلمان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد رأيت منك شيئاً ما رأيته منك قط ؟!

فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال : «رأيتم ما يقول سلمان ؟» .

فقالوا : نعم .

قال ﷺ : «ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا».

فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر. فقال المنافقون: ألا تعجبون يمينكم ويعدكم الباطل ويعلمكم أنه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون أن تبرزوا؟!

فنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١).

وقد تركهم رسول الله ﷺ .. وهكذا كان المنافقون يعيشون في ظل رحمة رسول الله ﷺ بكامل حرياتهم.

٢٨

المرأة

كان رسول الله ﷺ يكرم المرأة أكبر الإكرام مما لم يسبق له مثيل في التاريخ، بعد ما كانت المرأة مهانة في الجاهلية. ولولا الدين الإسلامي لضاعت المرأة ضياعاً كاملاً. عن بحر السقاء قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا بحر حُسن الخلق يُسر ثم قال: - ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة». قلت: بلى.

قال: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم، فأخذت بطرف ثوبه فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي ﷺ شيئاً حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي ﷺ في الرابعة وهي خلفه فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت. فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبست رسول الله ﷺ ثلاث مرات لا تقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً ما كانت حاجتك إليه؟. قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه ليستشفي بها، فلما أردت أخذها رأيته فقام فاستحييت منه أن آخذها وهو يراني وأكره أن أستأمره في أخذها فأخذتها»^(١).

روايات في تكريم المرأة

قال رسول الله ﷺ: «كلما ازداد العبد إيماناً أزداد حباً للنساء»^(٢).

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٢ باب حسن الخلق ح ١٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ١٥٧ ح ٣ ب ١٦٣٦٥.

وقال عليه السلام: «الجنة تحت أقدام الأمهات»^(١).

وقال عليه السلام: «تحت أقدام الأمهات روضة من رياض الجنة»^(٢).

وقال رجل لرسول الله ﷺ: إن والدتي بلغها الكبر، وهي عندي الآن أحملها على ظهري، وأطعمها من كسبي، وأميط عنها الأذى بيدي، وأصرف عنها مع ذلك وجهي استحياء منها وإعظاماً لها، فهل كافأتها؟.

قال عليه السلام: «لا؛ لأن بطنها كان لك وعاءً، وثديها كان لك سقاءً، وقدمها لك حذاءً، ويدها لك وقاءً، وحجرها لك حواءً، وكانت تصنع ذلك لك وهي تمنى حياتك، وأنت تصنع هذا بها وتحب مماتها»^(٣).

وقيل: يا رسول الله، ما حق الوالد؟.

قال عليه السلام: «أن تطيعه ما عاش».

ف قيل: وما حق الوالدة؟.

فقال عليه السلام: «هيهات هيهات، لو أنه عدد رمل عاليج، وقطر المطر أيام الدنيا، قام بين يديها، ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها»^(٤).

وقال عليه السلام: «من سعادة المرء الزوجة الصالحة»^(٥).

وقال عليه السلام: «لا تحملوا النساء أثقالكم واستغنوا عنهن ما استطعتم...»^(٦).

وقال عليه السلام: «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة»^(٧).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٠ ب ٧٠ ح ١٧٩٣٣.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٠ ب ٧٠ ح ١٧٩٣٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٠ ب ٧٠ ح ١٧٩٣٢.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ١٨٢ ب ٧٠ ح ١٧٩٣٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٤١ ب ٩ ح ٢٤٩٨١.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٨ ق ٦ ب ١ ف ٤ ح ٩٣٨٢.

(٧) النوادر للراوندي: ص ٣٥.

اللاعنف

كان المنهج العام في سياسة رسول الله ﷺ هو اللاعنّف، في مختلف الحالات ومع الجميع، مع المسلم والكافر، مع المؤمن والمنافق، مع الصديق والعدو. ومن هنا كانت حروب النبي ﷺ كلها دفاعية، وما أقل القتلى فيها كما سبق.

قال رسول الله ﷺ: «ولَّ أمر جنودك أفضلهم في نفسك حلمًا، وأجمعهم للعلم وحسن السياسة وصالح الأخلاق، ممن يبطئ عن الغضب، ويسرع إلى العذر، ويرأف بالضعيف، ولا يلح على القوي، ممن لا يسره العنف، ولا يقعد به الضعف»^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية دعا بأميرها فأجلسه إلى جنبه وأجلس أصحابه بين يديه، ثم قال: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، وأيما رجل من أدنى المسلمين وأفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإذا سمع كلام الله عزوجل فإن تبعكم فأخوكم في دينكم، وإن أبى فاستعينوا بالله عليه وأبلغوه مأمنه»^(٢).

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يبعث أميراً على سرية أمره بتقوى الله عزوجل في خاصة نفسه ثم في

(١) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٥٨ ذكر ما يجب للأمرء وما يجب عليهم.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٣٠ باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح ٩.

أصحابه عامة، ثم يقول: اغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً؛ لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله، وإذا لقيتم عدواً من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فإن هم أجابوكم إليها فاقبل منهم وكف عنهم: ادعوهم إلى الإسلام وكف عنهم، وادعوهم إلى الهجرة بعد الإسلام؛ فإن فعلوا فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختاروا ديارهم وأبوا أن يدخلوا في دار الهجرة كانوا بمنزلة أعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين، ولا تجري لهم في الفبيء من القسمة شيئاً إلا أن يجاهدوا في سبيل الله، فإن أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون؛ فإن أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عليهم وجاهدكم في الله حق جهاده»^(١).

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نهى رسول الله ﷺ أن يلقى السم في بلاد المشركين»^(٢).

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال لي: يا علي، لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه، وأيم الله لأن يهدي الله على يدك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي»^(٣).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٣٩-١٣٨ ب ٦٠ ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٦٢ ب ١٦ ح ١٩٩٨٩.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٢٨ باب وصية رسول الله ﷺ وأمر المؤمنين عليه السلام في السرايا ح ٤.

٣٠

الزهد

كان رسول الله ﷺ زاهداً في الدنيا وزخارها، بما للكلمة من معنى.
وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال له:
ربك يقرئك السلام ويقول لك: هذه بطحاء مكة تكون لك رضاضة ذهب ولا
تنقص مما ادخرت لك شيئاً. قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى البطحاء فقال: لا يا رب،
ولكن أشبع يوماً فأحمدك وأجوع يوماً فأسألك»^(١).

وعن ابن عباس، قال: إن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على
حصير قد أثر في جنبه. فقال: يا نبي الله، لو اتخذت فراشاً. فقال: «مالي
وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة
ساعة من نهار ثم راح وتركها»^(٢).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليه السلام، قال: «لقد قبض رسول الله
ﷺ وإن درعه لمرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعاً من شعير
استلفها نفقة لأهله»^(٣).

وفي الحديث أنه مات رسول الله ﷺ وعليه دين^(٤).

وهكذا كان أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليه السلام فإنهم
استشهدوا وعليهم دين^(٥).

(١) مشكاة الأنوار: ص ٢٦٤ ف ٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣٩ ب ٩٠ في جمل من أحواله وأخلاقه.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣٢٢ ب ٢ ح ٢٣٧٦٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣٢٢ ب ٢ ح ٢٣٧٥٨.

(٥) راجع وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣٢٢ ب ٢ ح ٢٣٧٦٨ و ٢٣٧٦٩.

٣١

الرحمة المهداة

من صفات رسول الله ﷺ الرحمة المهداة، فكان ﷺ رحمةً للعالمين بأجمعهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

عن أبان الأحمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد بلى ثوبه، فحمل إليه اثني عشر درهماً.

فقال: يا علي، خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً ألبس.

قال علي عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً، وجئت به إلى رسول الله ﷺ فنظر إليه.

فقال: يا علي، غير هذا أحب إليّ، أترى صاحبه يقلنا؟

فقلت: لا أدري.

فقال: انظر.

فجئت إلى صاحبه فقلت: إن رسول الله ﷺ قد كره هذا، يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه. فرد عليّ الدراهم وجئت به إلى رسول الله ﷺ، فمشى معي إلى السوق ليبْتَاع قميصاً، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: ما شأنكِ؟

قالت: يا رسول الله، إن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت فلا أجسر أن أرجع إليهم.

فأعطاها رسول الله ﷺ أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلِك. ومضى رسول الله ﷺ إلى السوق فاشتري قميصاً بأربعة دراهم ولبسه وحمد الله،

وخرج فرأى رجلاً عربياً يقول: من كساني كساء الله من ثياب الجنة. فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصاً آخر فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله، وإذا الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لا تأتين أهلك؟

قالت: يا رسول الله، إني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني.

فقال رسول الله ﷺ: مري بين يدي ودليني على أهلك.

فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار.

فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه، فأعاد السلام، فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال لهم: ما لكم تركتم إجابتي في أول السلام والثاني؟

قالوا: يا رسول الله، سمعنا سلامك فأحبينا أن تستكثر منه.

فقال رسول الله ﷺ: إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها.

فقالوا: يا رسول الله، هي حرة لمشاك.

فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهماً أعظم بركة من

هذه، كسا الله بها عريانين وأعتق بها نسمة^(١).

وهكذا كان النبي ﷺ رحمةً للجميع حتى للأمة التي لم يعتنوا بها في

المجتمع الجاهلي.

٣٢

الشعائر الدينية

كان رسول الله ﷺ يؤكد على الشعائر الدينية بمختلف أنواعها، من الصلاة والصيام والحج وسائر العبادات، وحتى مجالس البكاء وما أشبه، بل وحتى الشعائر الحسينية حيث أشار النبي ﷺ إليها وحذرها. وهذا ما قد رواه الفريقان في كتبهم.

عن جابر قال: لما جرد رسول الله ﷺ حمزة عليه السلام بكى، فلما رأى أمثاله ^(١) شهق ^(٢).

وعن أنس بن مالك، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أحد سمع نساء الأنصار يبكين، فقال: «لكن حمزة لا يواكي له»!، فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين لحمزة عليه السلام...، ثم قال: وهو أشهر حديث بالمدينة فإن نساء المدينة لا يندبن موتاهن حتى يندبن حمزة عليه السلام وإلى يومنا هذا ^(٣).

وعن أبي هريرة، قال: خرج النبي ﷺ على جنازة ومعه عمر بن الخطاب فسمع نساء يبكين فزبرهن عمر، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، دعهن فإن العين دامعة، والنفس مصابة، والعهد قريب» ^(٤).

وعن جابر بن عبد الله، قال: فقد رسول الله ﷺ يوم أحد حمزة حين فاء الناس من القتال، قال: فقال رجل: رأيته عند تلك الشجرة وهو يقول: «أنا أسد الله وأسد رسوله، اللهم أني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء لأبي سفيان

(١) أي ما مثل به.

(٢) المستدرک على الصحيحین: ج ٣ ص ٢١٨ ح ٤٨٩٣ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) المستدرک على الصحيحین: ج ١ ص ٥٣٧ ح ١٤٠٧.

(٤) المستدرک على الصحيحین: ج ١ ص ٥٣٧ ح ١٤٠٦.

وأصحابه، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء من انهزامهم». فسار رسول الله ﷺ نحوه فلما رأى جبهته بكى، ولما رأى ما مثل به شق، ثم قال: «ألا كفن»، فقام رجل من الأنصار فرمى بثوب. قال جابر: فقال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة»^(١).

وعن جابر، قال: لما بلغ النبي ﷺ قتل حمزة بكى، فلما نظر إليه شق. وعن جابر، قال: لما جرد رسول الله ﷺ حمزة بكى فلما رأى مثاله شق^(٢).

وعن أسماء بنت يزيد، قالت: لما توفي ابن رسول الله ﷺ إبراهيم بكى رسول الله ﷺ، فقال له المعزي - إما أبو بكر وإما عمر -: أنت أحق من عظم الله حقه. قال رسول الله ﷺ: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسيخط الرب، لولا أنه وعد صادق وموعود جامع وأن الآخر تابع الأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا وإنا بك لمحزونون»^(٣).

وعن ابن عمر: إن رسول الله ﷺ مر بنساء عبد الأشهل يكيّن هلكاهن يوم أحد، فقال رسول الله ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي له»، فجاء نساء الأنصار يكيّن حمزة.

إلى غيرها من الروايات^(٤).

(١) المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٢١٩ ح ٤٩٠٠.

(٢) مجمع الزوائد: ج ٦ ص ١١٨ وص ١١٩ باب مقتل حمزة رضي الله عنه، طبع دار الريان للتراث - القاهرة.

(٣) مصباح الزجاجة: ج ٢ ص ٤٧ و ٤٨ باب ما جاء في البكاء على الميت، طبع الدار العربية - بيروت.

(٤) وللمزيد انظر شرح معاني الآثار: ج ٤ ص ٢٩٣ طبع دار الكتب العلمية - بيروت، ومسند الشاشي: ج ٢ ص ٤١٣ طبع المدينة المنورة، والمعجم الكبير: ج ٣ ص ١٤٢ طبع الموصول.

رسول الله ﷺ يبكي على الحسين عليه السلام

عن عائشة، قالت: دخل الحسين بن علي عليه السلام على رسول الله ﷺ وهو يُوحى إليه، فنزا على رسول الله ﷺ وهو منكب وهو على ظهره. قال جبريل لرسول الله ﷺ: «أتحبه يا محمد؟».

قال: «يا جبريل، ومالي لا أحب ابني».

قال: «فإن أمتك ستقتله من بعدك». فمد جبريل عليه السلام يده فأثاء بترية بيضاء

فقال: «في هذه الأرض يقتل ابنك هذا واسمها الطف».

فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله ﷺ خرج رسول الله ﷺ والتزمه في يده يبكي. فقال: «يا عائشة، إن جبريل أخبرني أن ابني حسين مقتول في أرض الطف، وأن أمتي ستقتن بعدي»، ثم خرج عليه السلام إلى أصحابه فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي. فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أخبرني جبريل عليه السلام أن ابني الحسين يُقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه»^(١).

وعن أم سلمة، قالت: كان رسول الله ﷺ جالسا ذات يوم في بيتي. قال: «لا يدخل علي أحد»، فانتظرت فدخل الحسين عليه السلام فسمعت نشيح رسول الله ﷺ يبكي، فاطلعت فإذا حسين في حجره والنبي عليه السلام يمسخ جبينه وهو يبكي. فقلت: والله ما علمت حين دخل.

فقال: «إن جبريل عليه السلام كان معنا في البيت، قال: أفتحبه؟ قلت: أما في الدنيا فنعم. قال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء». فتناول جبريل من تربتها فأراها النبي عليه السلام.

فلما أحيط بحسين عليه السلام حين قُتل قال: «ما اسم هذه الأرض؟». قالوا:

(١) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٨٧ طبع دار الريان للتراث. القاهرة.

كربلاء. فقال: «صدق الله ورسوله كرب وبلاء». وفي رواية -: «صدق رسول الله ﷺ أرض كرب وبلاء»^(١).

وعن أم سلمة، قالت: كان الحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يدي رسول الله ﷺ في بيتي، فنزل جبريل فقال: «يا محمد، إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك»، وأومئ بيده إلى الحسين عليه السلام. فبكى رسول الله ﷺ وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله ﷺ: «وضعت عندك هذه التربة»، فشمها رسول الله ﷺ وقال: «ريح كرب وبلاء». وقال: - يا أم سلمة، إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل». فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم^(٢).

وقالت أم سلمة: دخل الحسين على النبي ﷺ وأنا جالسة على الباب، فتطلعت فرأيت في كف النبي ﷺ شيئاً يقلبه وهو نائم على بطنه. فقلت: يا رسول الله، تطلعت فرأيتك تقلب شيئاً في كفك والصبي نائم على بطنك ودموعك تسيل؟ فقال: «إن جبريل أتاني بالتربة التي يُقتل عليها وأخبرني أن أمتي يقتلون»^(٣).

وعن أم الفضل بنت الحارث، أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني رأيت حلماً منكراً الليلة.

قال: «ما هو؟».

قالت: إنه شديد.

قال: «ما هو؟».

قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري.

(١) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٨٧. وانظر أيضاً المعجم الكبير: ج ٢٣ ص ٢٨٩ ح ٦٣٧ طبع الموصل.

(٢) تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٣٠٠-٣٠١ ضمن ح ٦١٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٤٧٧-٤٧٨ ح ٣٧٣٦٦ طبع مكتبة الرشد. الرياض.

فقال رسول الله ﷺ: «رأيت خيراً، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك». فولدت فاطمة الحسين عليه السلام فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ فوضعت في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع. قالت: فقلت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي مالك؟.

قال: «أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا».

فقلت: هذا!!

فقال: «نعم وأتاني بترية من تربته حمراء»^(١).

وعن عبد الله بن نجى عن أبيه: إنه سار مع علي عليه السلام وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي: «اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشط الفرات». قلت: وماذا؟. قال: «دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان. قلت: يا نبي، الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟. قال: بل قام من عندي جبريل قبل فحدثني أن الحسين عليه السلام يقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك أن أشمك من تربته؟. قال: قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا»^(٢).

إلى غيرها مما هو كثير^(٣).

(١) المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٩٤ ح ٤٨١٨ طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) الأحاديث المختارة: ج ٢ ص ٣٧٥ ح ٧٥٨، طبع مكة المكرمة. وانظر أيضاً مصنف ابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٤٧٧-٤٧٨ ح ٣٧٣٦٧.

(٣) للمزيد انظر مسند البزار: ج ٣ ص ١٠١ طبع مؤسسة علوم القرآن - بيروت، ومسند أبي يعلى: ج ١ ص ٢٩٨ طبع دار المأمون للتراث - دمشق. والآحاد والمثاني: ج ١ ص ٣٠٨ طبع دار الراية - الرياض. والمعجم الكبير: ج ٣ ص ١٠٥ طبع مكتبة العلوم والحكم - الموصل.

٣٣

الصلاة

الصلاة عمود الدين، وكان رسول الله ﷺ كثير الصلاة والعبادة، والتضرع إلى الله عز وجل والخوف منه.

عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، إن الله جعل قُرّة عيني في الصلاة، وحبّها إليّ كما حبب إلى الجائع الطعام وإلى الظمآن الماء، وإن الجائع إذا أكل الطعام شبع والظمآن إذا شرب الماء روي وأنا لا أشبع من الصلاة»^(١). وعن أبي ذر - في حديث - قال: قلت: يا رسول الله، إنك أمرتني بالصلاة ما الصلاة؟ قال: «الصلاة خير موضوع استُكثِر أم استُقِلَّ»^(٢).

وعن الزهري، قال: دخلت مع علي بن الحسين عليهما السلام على عبد الملك بن مروان، قال: فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليهما السلام. فقال: يا أبا محمد، لقد بين عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله ﷺ قريب النسب وكيد السبب، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك. وأقبل يشني عليه ويطريه، قال: فقال علي بن الحسين عليهما السلام: «كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم، كان رسول الله ﷺ يقف في الصلاة حتى تورم قدماءه، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوه. فقيل له: يا رسول الله، ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟» فيقول ﷺ:

(١) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٤١ ب ١٠ ح ٢٩٦٨.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٤٢-٤٣ ب ١٠ ح ٢٩٧١.

أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها. فقالت: يا رسول الله، لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. فقال: يا عائشة، ألا أكون عبداً شكوراً. قال: - وكان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجله فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿طه ه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(٢)»^(٣).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «إن يهودياً من يهود الشام وأخبارهم كان قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء عليهم السلام - إلى أن قال - قال له اليهودي: هذا داود بكى على خطيئته حتى سارت الجبل معه لحوفه. قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا، إنه كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أريز كأريز الرجل على الأثافي من شدة البكاء وقد آمنه الله عز وجل من عقابه، فأراد أن يتخضع لربه ببكائه فيكون إماماً لمن اقتدى به، ولقد قام ﷺ عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماء واصفر وجهه يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل: ﴿طه ه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(٤) بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه. فقيل له: يا رسول الله، أليس الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٥).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٢٥-١٢٦ ب ١٨ ح ١٦٥.

(٢) سورة طه: ١-٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٩٥ باب الشكر ح ٦.

(٤) سورة طه: ١-٢.

(٥) الاحتجاج: ج ١ ص ٢١٩-٢٢٠ احتجاجه عليه السلام على اليهود من أخبارهم ممن قرأ الصحف والكتب في معجزات النبي ﷺ وكثير من فضائله.

مع العصاة والمذنبين

كان رسول الله ﷺ رؤوفاً بالجميع ، حتى بالعصاة والمذنبين.

عن أبان ، عن أبي العباس ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « أتى النبي ﷺ رجل . فقال : إني زينت فطهرني . فصرف النبي ﷺ وجهه عنه ، فأتاه من جانبه الآخر ثم قال مثل ما قال ، فصرف وجهه عنه ثم جاء الثالثة . فقال له : يا رسول الله ، إني زينت وعذاب الدنيا أهون لي من عذاب الآخرة . فقال رسول الله ﷺ : أبصاحبكم بأس - يعني جنة ؟ . فقالوا : لا . فأقر على نفسه الرابعة فأمر به رسول الله ﷺ أن يرحم ، فحفروا له حفيرة فلما وجد مس الحجارة خرج يشتد ، فلقيه الزبير فرماه بساق بعير فسقط فعقله به ، فأدركه الناس فقتلوه فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك . فقال : هلا تركتموه - ثم قال - لو استتر ثم تاب كان خيراً له »^(١).

ولما غزا النبي ﷺ يوم حنين قصد إليه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة عن يمينه فوجد عباساً ، فأتى عن يساره فوجد أبا سفيان بن الحارث ، فأتى من خلفه فوقعت بينهما شواظ من نار فرجع القهقري ، فرجع النبي ﷺ إليه وقال : « يا شيب ، يا شيب ادن مني ، اللهم أذهب عنه الشيطان » . قال : فنظرت إليه ولهو أحب إليّ من سمعي وبصري . فقال ﷺ : « يا شيب ، قاتل الكفار » . فلما انقضى القتال دخل عليه فقال ﷺ : « الذي أراد الله بك خير مما أردته لنفسك » ، وحده بجميع ما زوى في نفسه فأسلم^(٢).

وروي: أن سارة مولاة أبي عمرو بن ضيفي بن هشام أتت النبي ﷺ من مكة مستترفة، فأمر ﷺ بني عبد المطلب بأسدانها، فأعطاهما حاطب بن أبي بلتعة عشرة دنانير على أن تحمل كتاباً بخبر وفود النبي ﷺ إلى مكة، وكان ﷺ أسر ذلك ليدخل عليهم بغتة^(١)، فأخذت الكتاب وأخفته في شعرها وذهبت، فأتى جبرئيل وقص القصة على رسول الله ﷺ ..

فأنفذ ﷺ علياً والزبير ومقداد وعماراً وعمر وطلحة وأبا مرثد خلفها فأدركوها بروضة خاخ يطالبوها بالكتاب، فأنكرت وما وجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع.

فقال علي عليه السلام: «والله ما كذبنا ولا كذبنا»، وسل سيفه وقال: «أخرجني الكتاب وإلا والله لأضربن عنقك».

فأخرجته من عقيصتها فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب وجاء إلى النبي ﷺ، فدعا ﷺ بحاطب بن أبي بلتعة وقال له: «ما حملك على ما فعلت؟». قال: كنت رجلاً عزيزاً في أهل مكة - أي غريباً - ساكناً بجوارهم فأحببت أن أتخذ عندهم بكتابي إليهم مودة ليدفعوا عن أهلي بذلك، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾^(٢) «^(٣)». ثم تركه رسول الله ﷺ.

وروي: أن امرأة يهودية أتته بشاة مسمومة ومع النبي ﷺ بشر بن البراء بن عازب، فتناول النبي ﷺ الذراع وتناول بشر الكراع، فأما النبي ﷺ فلاكها ولفظها وقال: «إنها مسمومة»، وأما بشر فلاك المضغة وابتلعها فمات، فأرسل ﷺ إليها فأقرت وقال ﷺ: «ما حملك على ما فعلت؟».

(١) وذلك اجتناباً لوقوع حرب وسقوط ضحايا.

(٢) سورة الممتحنة: ١.

(٣) المناقب: ج ٢ ص ١٤٣-١٤٤ فصل في المسابقة بالحزم وترك المداينة.

قالت: قتلت زوجي وأشرف قومي فقلت: إن كان ملكاً قتلته، وإن كان نبياً فسيطله الله تبارك وتعالى على ذلك^(١).

وعفى عنها رسول الله ﷺ.

وروي: أن سارة مولاة بني هاشم وكانت مغنية نواحة بمكة، وكانت قد قدمت على رسول الله ﷺ المدينة تطلب أن يصلها، وشكت إليه الحاجة وذلك بعد بدر وأحد. فقال ﷺ لها: «أما كان لك في غنائك ونياحك ما يغنيك؟!». قالت: يا محمد، إن قريشاً منذ قُتل من قتل منهم ببدر تركوا استماع الغناء. فوصلها رسول الله ﷺ وأقر لها بغيراً طعاماً، فرجعت إلى قريش وهي على دينها^(٢).

(١) راجع قرب الإسناد: ص ١٣٧-١٣٨ ما جاء في الشهادات.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ١٦ ذكر بقية الخبر عن فتح مكة.

الرضا بما قدره الله

كان رسول الله ﷺ قمة في الرضا بما يختار الله له ، فكان يحمد الله في السراء والضراء. عن عبد الله بن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « لم يكن رسول الله ﷺ يقول لشيء قد مضى لو كان غيره »^(١). وعن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : « ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ألا تسألوني مم ضحكت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ﷺ . قال : عجبت للمرأة المسلم أنه ليس من قضاء يقضيه الله عز وجل له إلا كان خيرا له في عاقبة أمره »^(٢). وعن علي بن عبد الله بن العباس ، قال : عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كفراً كفراً^(٣) ، فسر بذلك فأنزل الله عز وجل : ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٤) ، قال : فأعطاه الله عز وجل ألف قصر في الجنة تراه المسك ، وفي كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم^(٥) . ودخل رسول الله ﷺ على فاطمة عليها السلام وهي تبكي وتطحن بالرحى وعليها كساء من أجلة الإبل ، فلما رآها بكى وقال : « يا فاطمة ، تجرعي مرارة الدنيا اليوم لنعيم الآخرة غداً فأنزل الله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٦) »^(٧).

(١) الكافي : ج ٢ ص ٦٣ باب الرضا بالقضاء ح ١٣ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٦٨ ص ١٤٠-١٤١ ب ٦٣ ح ٣٢ .

(٣) أي : قرية قرية .

(٤) سورة الضحى : ٤-٥ .

(٥) تأويل الآيات الظاهرة : ص ٧٨٣ سورة الضحى .

(٦) سورة الضحى : ٥ .

(٧) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر : ج ٢ ص ٢٣٠ .

النبي ﷺ خير البشر

كان رسول الله ﷺ خير البشر، بل خير الكائنات بأجمعها، ولنوره ونور عترته الطاهرة ﷺ خلق الله عز وجل الكون والكائنات.
عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل صام أحد من آبائك شعبان؟.

قال: «خير آبائي رسول الله ﷺ صامه»^(١).

وعن ابن عباس، قال: أتاه رجل يسأله عن الصيام؟ فقال: إن كنت تريد صوم داود عليه السلام فإنه كان من أعبد الناس - إلى أن قال - وقال رسول الله ﷺ: «إن أفضل الصيام صيام أخي داود عليه السلام»، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وإن كنت تريد صيام سليمان عليه السلام فإنه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة ومن وسط الشهر ثلاثة ومن آخره ثلاثة، وإن كنت تريد صوم عيسى عليه السلام فإنه كان يصوم الدهر كله لا يفطر منه شيئاً وإن كنت تريد صوم مريم عليها السلام فإنها كانت تصوم يومين وتفطر يوماً، وإن كنت تريد صوم خير البشر العربي القرشي أبي القاسم ﷺ فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ويقول: «هي صيام الدهر»^(٢).

وجاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ثم قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣) قال الإمام عليه السلام: «واذكروا إذ آتينا موسى الكتاب وهو التوراة الذي أخذ على بني إسرائيل الإيمان به والانقياد

(١) الكافي: ج ٤ ص ٩٠ باب صوم رسول الله ﷺ ح ٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٠ ص ٤٣٩ ب ١٣ ح ١٣٧٩٣.

(٣) سورة البقرة: ٥٣.

لما يوجبه ، والفرقان آتيانه أيضاً فرق به ما بين الحق والباطل ، وفرق ما بين المحقين والمبطلين ، وذلك أنه لما أكرمهم الله تعالى بالكتاب والإيمان به والانقياد له ، أوحى الله بعد ذلك إلى موسى عليه السلام : يا موسى ، هذا الكتاب قد أقرأوا به ، وقد بقي الفرقان فرق ما بين المؤمنين والكافرين والمحقين والمبطلين ، فجدد عليهم العهد به فإني قد آليت على نفسي قسماً حقاً لا أتقبل من أحد إيماناً ولا عملاً إلا مع الإيمان به.

قال موسى عليه السلام : ما هو يا رب؟.

قال الله عز وجل : يا موسى ، تأخذ على بني إسرائيل أن محمداً خير البشر وسيد المرسلين ، وأن أخاه ووصيه علياً خير الوصيين ، وأن أولياءه الذين يقيمهم سادة الخلق ، وأن شيعة المنقادين له المسلمون له ولأوامره ونواهي وخلفائه نجوم الفردوس الأعلى وملوك جنات عدن^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام ، قال : «إن رسول الله ﷺ لما أسري به نزل جبرئيل عليه السلام بالبراق ، وهو أصغر من البغل وأكبر من الحمار ، مضطرب الأذنين ، عيناه في حوافره ، خطاه مد بصره ، له جناحان يحفزانه من خلفه ، عليه سرج من ياقوت فيه من كل لون ، أهدب العرف الأيمن . فوقفه على باب خديجة ودخل على رسول الله ﷺ فمرح البراق ، فخرج إليه جبرئيل عليه السلام فقال : اسكن ، فإنما يركبك خير البشر أحب خلق الله إليه . فسكن ثم خرج رسول الله ﷺ فركب ليلاً وتوجه نحو بيت المقدس^(٢).

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ص ٢٥٢-٢٥٣ نجاه بني إسرائيل لإقرارهم ولاية محمد ﷺ وتجديدها

ح ١٢٣.

(٢) الخرائج والجرائح : ج ١ ص ٨٤ فصل من روايات الخاصة.

تحمل الصعاب

لقد تحمل رسول الله ﷺ الصعاب والمشاكل والأذى في سبيل الله تعالى ، حتى قال : « ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت »^(١).

وهو ﷺ أسوة لكل العاملين في سبيل الله ، فعليهم أن يتحملوا الصعاب لكسب رضا الله تعالى .

وقد ورد في قصة الأحزاب وحفر الخندق : أن النبي ﷺ كان من شدة الجوع مستلقيا على قفاه وقد شد على بطنه حجرا .

قال جابر : فجئت إلى المسجد ورسول الله ﷺ مستلقي على قفاه ورداؤه تحت رأسه وقد شد على بطنه حجرا^(٢) فقلت : يا رسول الله إنه قد عرض لنا جبل لا تعمل المعاول فيه .

فقام ﷺ مسرعا حتى جاءه ، ثم دعا بماء في إناء وغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه ثم شرب ومج ذلك الماء في فيه ثم صبه على ذلك الحجر ، ثم أخذ معولا فضرب ضربة فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور الشام ، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور المدائن ، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور اليمن ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق ، ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل .

فقال جابر فعلمت أن رسول الله ﷺ مقوي أي جائع لما رأيت على بطنه

(١) المناقب : ج ٣ ص ٢٤٧ فصل في مساواته يعقوب ويوسف عليه السلام .

(٢) من الجوع .

الحجر، فقلت: يا رسول الله هل لك في الغداء؟

قال: ما عندك يا جابر؟ فقلت: عناق وصاع من شعير.

فقال: تقدم وأصلح ما عندك، الحديث^(١).

وهكذا كان الأنبياء العظام عليهم السلام يتحملون الصعاب في سبيل الله، وكان أكثرهم تحملاً هو رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ورد في قصة النبي نوح عليه السلام: أنه كان الرجل من الكفار يأتي بابه وهو صغير فيقيم على رأس نوح عليه السلام فيقول: يا بني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون! وكانوا يثيرون إلى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامعه دماً وحتى لا يعقل شيئاً مما يصنع به فيحمل فيرمى في بيت أو على باب داره مغشياً عليه، فأوحى الله تعالى إليه ﴿إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾^(٢) فعندها أقبل على الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ...﴾^(٣) إلى آخر السورة^(٤).

وقال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: لما أظهر الله تبارك وتعالى نبوة نوح عليه السلام وأيقن الشيعة - أي شيعة نوح - بالفرج اشتدت البلوى وعظمت الفرية إلى أن آل الأمر إلى شدة شديدة نالت الشيعة والثوب إلى نوح بالضرب المبرح حتى مكث عليه السلام في بعض الأوقات مغشياً عليه ثلاثة أيام يجري الدم من أذنه، ثم أفاق وذلك بعد سنة ثلاثمائة من مبعثه وهو في خلال ذلك يدعوهم ليلاً ونهاراً فيهربون، ويدعوهم سرا فلا يجيبون، ويدعوهم علانية فيولون، فهم بعد ثلاثمائة سنة بالدعاء عليهم وجلس بعد صلاة الفجر للدعاء، فهبط إليه وفد من السماء السابعة وهو ثلاثة أملاك، فسلموا عليه ثم قالوا له: يا نبي الله لنا

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢١٦-٢٢١ ب ١٧ ح ٣.

(٢) سورة هود: ٣٦.

(٣) سورة نوح: ٢٦-٢٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٢٩٨ ب ٣.

حاجة، قال: وما هي؟ قالوا: تؤخر الدعاء على قومك، فإنها أول سطوة لله عزوجل في الأرض.

قال: قد أخرجت الدعاء عليهم ثلاثمائة سنة أخرى، وعاد إليهم فصنع ما كان يصنع ويفعلون ما كانوا يفعلون حتى إذا انقضت ثلاثمائة سنة أخرى ويثس من إيمانهم جلس في وقت ضحى النهار للدعاء، فهبط عليه وفد من السماء السادسة فسلموا عليه فقالوا: خرجنا بكرة وجئناك ضحوة ثم سألوه مثل ما سأله وفد السماء السابعة فأجابهم إلى مثل ما أجاب أولئك إليه وعاد ﷺ إلى قومه يدعوهم، فلا يزيدهم دعاؤه إلا فرارا حتى انقضت ثلاثمائة سنة تمتة تسعمائة سنة، فصارت إليه الشيعة وشكوا ما ينالهم من العامة والطواغيت وسألوا الدعاء بالفرج، فأجابهم إلى ذلك وصلى ودعا فهبط عليه جبرئيل ﷺ فقال له: إن الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك فقل للشيعة: يأكلوا التمر ويغرسوا النوى ويراعوه حتى يثمر فإذا أثمر فرجت عنهم.

فحمد الله وأثنى عليه وعرفهم ذلك، فاستبشروا، فأخبرهم نوح بما أوحى الله تعالى إليه ففعلوا ذلك ورأعوه حتى أثمر، ثم صاروا بالتمر إلى نوح ﷺ وسألوه أن ينجز لهم الوعد، فسأل الله عزوجل عن ذلك فأوحى إليه قل لهم كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فإذا أثمرت فرجت عنكم، فلما ظنوا أن الخلف قد وقع عليهم ارتد منهم الثلث وثبت الثلثان، فأكلوا التمر وغرسوا النوى حتى إذا أثمر أتوا به نوحا ﷺ فأخبروه وسألوه أن ينجز لهم الوعد، فسأل الله عزوجل عن ذلك فأوحى إليه قل لهم كلوا هذا التمر واغرسوا النوى، فارتد الثلث الآخر وبقي الثلث، فأكلوا التمر وغرسوا النوى، فلما أثمر أتوا به نوحا ﷺ ثم قالوا له: لم يبق منا إلا القليل ونحن نتخوف على أنفسنا بتأخر الفرج أن نهلك.

فصلى نوح ﷺ ثم قال: يا رب لم يبق من أصحابي إلا هذه العصابة وإني أخاف عليهم الهلاك أن تؤخر الفرج عنهم، فأوحى الله عزوجل إليه قد أجيب

دعوتك فاصنع الفلك، فكان بين إجابة الدعاء وبين الطوفان خمسون سنة^(١).
وعن عكرمة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله ﷺ لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قط، ولم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أراه فقلت: ما كان رسول الله ﷺ ليفر وما رأيته في القتلى وأظنه رفع من بيتنا إلى السماء، فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي: لأقاتلن به عنه حتى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا عني وإذا أنا برسول الله ﷺ قد وقع على الأرض مغشياً عليه!! فقممت على رأسه فنظر إلي فقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر من العدو وأسلموك، فنظر النبي ﷺ إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي رد عني يا علي هذه الكتيبة فحملت عليها أضربها بسيفي يمينا وشمالا حتى ولوا الأدبار، فقال النبي ﷺ: أما تسمع يا علي مديحك في السماء إن ملكا يقال له رضوان ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.
فبكيت سرورا وحمدت الله سبحانه وتعالى على نعمته^(٢).

(١) راجع كمال الدين: ج ١ ص ١٣٣ - ١٣٤ ب ٢ باب في ذكر ظهور نوح عليه السلام بالنبوة بعد ذلك ح ٢.

(٢) راجع الارشاد: ج ١ ص ٨٦ - ٨٧ فصل في ذكر غزاة أحد.

الحث على الزواج

كان رسول الله ﷺ يؤكد كثيراً على الزواج، وأنه ضرورة اجتماعية دينية خاصة للشباب.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الحاجة، فقال: تزوج. فتزوج فوسّع عليه»^(١).

وكان المسلمون يسهلون أمر الزواج، ولم تكن هذه التعقيدات الموجودة اليوم.

وعن عكاف بن وداعة الهلالي، قال: أتيت إلى رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عكاف، ألك زوجة؟». قلت: لا.

قال ﷺ: «ألك جارية؟». قلت: لا.

قال ﷺ: «وأنت صحيح موسر؟». قلت: نعم والحمد لله.

قال ﷺ: «فإنك إذا من إخوان الشياطين، إما أن تكون من رهبان النصارى، وإما أن تصنع كما يصنع المسلمون وإن من ستتنا النكاح، شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم - إلى أن قال: - ويحك يا عكاف تزوج.. تزوج فإنك من الخاطئين». قلت: يا رسول الله، زوجني قبل أن أقوم. فقال ﷺ: «زوجتك كريمة بنت كلثوم الحميري»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب؛ ليعلموا أن أشرف الشرف

(١) الكافي: ج ٥ ص ٣٣٠ باب أن التزويج يزيد في الرزق ح ٢.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ١٥٥-١٥٦ ب ٢ ح ١٦٣٥٩.

الإسلام»^(١).

وعن علي عليه السلام، قال: «إن جماعة من الصحابة كانوا حرموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل، فأخبرت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إلى أصحابه. فقال: أترغبون عن النساء! إني آتي النساء وأكل بالنهار وأنام بالليل، فمن رغب عن سنتي فليس مني، وأنزل الله: ﴿لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

الحياة الزوجية السعيدة

الحياة الزوجية السعيدة لها مقومات بينها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأفضل نموذج في ذلك حياته صلى الله عليه وآله مع أم المؤمنين خديجة عليها السلام حيث كان ملؤها الإيمان والمحبة. نشأت خديجة بنت خويلد بن أسد عليها السلام في بيت شرف ويسار. وكانت امرأة حازمة لبيبة شريفة، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكانت ذات تجارة تبعث بها إلى الشام، تستأجر الرجال وتدفع لهم المال مضاربة بشيء تجعله منه. فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وآله من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار. وبعد ذلك بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت له: «يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرfk في قومك، وسطتك فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك»، ثم عرضت عليه نفسها للزواج، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة على رواية، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل النبوة وقد مهرها اثنتي عشرة أوقية

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢٠٧ ب ٨ ف ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٢١ ب ٢ ح ٢٤٩٢١.

وكذلك كانت مهوور نسائه. فولدت له القاسم - وكان يكنى به - وعبد الله - وهو الطاهر والطيب - وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهن السلام. ولما بُعث رسول الله ﷺ دعاها إلى الإسلام فأمنت وصدقت وآزرت، فكانت أول من أسلمت من النساء.

عن محمد بن إسحاق، قال: كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدقت بما جاء من الله، ووازرته على أمره، فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ، وكان لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله ذلك عن رسول الله ﷺ بها إذا رجع إليها، تثبتت وتخفف عنه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رحمها الله ^(١).

وقد ورد عن النبي ﷺ في فضلها وعظيم منزلتها أحاديث عديدة رواها المسلمون جميعاً. فعن عبد الله بن جعفر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب» ^(٢).

وعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون» ^(٣).

وعن أبي هريرة، قال: أتى جبرئيل عليه السلام النبي ﷺ، فقال: «هذه خديجة قد أتتك معها إناء مغطى فيه أدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» ^(٤).

وقال ابن هشام: حدثني من أثق به: أن جبرئيل أتى النبي ﷺ فقال:

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٥١١ فصل في مناقب خديجة بنت خويلد أم فاطمة عليها السلام.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٠٧ فصل في مناقب خديجة بنت خويلد أم فاطمة عليها السلام.

(٣) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٠٧ فصل في مناقب خديجة بنت خويلد أم فاطمة عليها السلام.

(٤) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٠٨ فصل في مناقب خديجة بنت خويلد أم فاطمة عليها السلام.

«أقرئ خديجة من ربها السلام». فقال رسول الله ﷺ: «يا خديجة، هذا جبرئيل يقرئك من ربك السلام». قالت خديجة: «الله السلام ومنه السلام، وعلى جبرئيل السلام»^(١).

ولذلك كان رسول الله ﷺ يحبها حباً جماً، وكذلك يحب من يحبها ويكرم من يكرمها، فلم يتزوج عليها في حياتها إكراماً لها، وكان ﷺ لا يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها.

يروى: أن عجوزاً دخلت على النبي ﷺ فألطفها، فلما خرجت سألتها عنها عائشة فقال ﷺ: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»^(٢).

وعن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن. قالت: فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً فسقطت في يدي، فقلت: اللهم إنك إن أذهبت بغضب رسولك ﷺ لم أعد لذكرها بسوء ما بقيت، قالت: فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقيت. قال: «كيف قلت، والله لقد آمنْتُ بي إذ كفر الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدقني إذ كذبنى الناس، ورزقت مني الولد حيث حرمتوه»^(٣).

روايات في الحياة الزوجية

عن ضريس الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن امرأة أتت رسول الله ﷺ لبعض الحاجة. فقال لها: لعلك من المسوفات!».

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٥١٢ فصل في مناقب خديجة بنت خويلد أم فاطمة عليها السلام.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٠٨ فصل في مناقب خديجة بنت خويلد أم فاطمة عليها السلام.

(٣) كشف الغمة: ج ١ ص ٥١٢ فصل في مناقب خديجة بنت خويلد أم فاطمة عليها السلام.

قالت : وما المسوفات يا رسول الله؟.

. قال : المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوفه حتى ينعس زوجها فينام ، فتلك التي لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ زوجها»^(١).

وعن النبي ﷺ ، قال : «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنةً من عملها حتى تعينه وترضيه ، وإن صامت الدهر وقامت ، وأعتقت الرقاب ، وأنفقت الأموال في سبيل الله ، وكانت أول من ترد النار.

ثم قال رسول الله ﷺ : وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً ، ومن صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه ، وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلة مثل رمل عالج ، فإن ماتت قبل أن تعتبه وقبل أن يرضى عنها حشرت يوم القيامة منكوسةً مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، ومن كانت له امرأة ولم توافقه ولم تصبر على ما رزقه الله وشقت عليه وحملته ما لم يقدر عليه ، لم يقبل الله لها حسنةً تتقي بها النار وغضب الله عليها ما دامت كذلك»^(٢).

وفي خبر المناهي : عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : «نهى - رسول الله ﷺ - أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها ؛ فإن خرجت لعنها كل ملك في السماء ، وكل شيء تمر عليه من الجن والإنس حتى ترجع إلى بيتها. ونهى أن تتزين لغير زوجها ؛ فإن فعلت كان حقاً على الله عز وجل أن يحرقها بالنار. ونهى أن تتكلم المرأة عند غير زوجها وغير ذي محرم منها أكثر من خمس كلمات مما لا بد لها منه»^(٣).

(١) وسائل الشيعية : ج ٢٠ ص ١٦٤-١٦٥ ب ٨٣ ح ٢٥٣١٧.

(٢) وسائل الشيعية : ج ٢٠ ص ١٦٤-١٦٥ ب ٨٢ ح ٢٥٣١٥.

(٣) مكارم الأخلاق : ص ٤٢٥ ب ١٢ ف ٢.

وعن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال: سألته عن المرأة العاصية لزوجها هل لها صلاة، وما حالها؟.

قال عليه السلام: «لا تزال عاصيته حتى يرضى عنها».

وسألته عن المرأة لها أن تعطي من بيت زوجها من غير إذنه؟.

قال عليه السلام: «لا، إلا أن يحللها».

وسألته عن المرأة هل لها أن تخرج من بيت زوجها بغير إذنه؟.

قال عليه السلام: «لا»^(١).

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في حجة الوداع: «أيها الناس، إن النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن ضراً ولا نفعاً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فلكن عليهن حق ولهن عليكم حق، ومن حاكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم، ولا يعصينكم في معروف؛ فإذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ولا تضربوهن»^(٢).

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأيتني مهموماً قالت لي: ما يهكم إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل لك به غيرك، وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله همأً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن لله عمالاً وهذه من عماله، لها نصف أجر

الشهيد»^(٣).

(١) قرب الإسناد: ص ١٠١ باب ما يجب على النساء في الصلاة.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٤٨٧ الشهور اثنا عشر شهراً ح ٦٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٣٢ ب ٦ ح ٢٤٩٥٤.

مع الشباب

كان رسول الله ﷺ كثير الاهتمام بالشباب، فعندما يرى شاباً يكرمه ويحترمه ويقبل إليه، فيسأله عن اسمه وعن عمله، وهل أنه متزوج أم لا؟، ثم يقدم له نصيحة.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أتى رسول الله ﷺ شاب من الأنصار فشكا إليه الحاجة، فقال له: تزوج. فقال الشاب: إني لأستحي أن أعود إلى رسول الله ﷺ. فلحقه رجل من الأنصار، فقال: إن لي بنتاً وسيمة. فزوجها إياه، قال: فوسع الله عليه فأتى الشاب النبي ﷺ فأخبره. فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الشباب عليكم بالباه»^(١). أي بالزواج.

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباه فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليدمن الصوم فإن له وجاء»^(٢).

وعن زيد بن ثابت، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا زيد، تزوجت؟». قلت: لا. قال: «تزوج تستعف مع عفتك، ولا تزوجن خمساً». قال زيد: من هن؟ قال: «لا تزوجن شهيرة، ولا لهبرة، ولا نهيرة، ولا هيدرة، ولا لفوتاً». قال زيد: ما عرفت مما قلت شيئاً؟ قال ﷺ: «ألستم عرباً، أما الشهيرة فالزرقاء البذية، وأما اللهبرة فالطويلة المهزولة، وأما النهبرة فالقصيرة الدميمة، وأما الهيدرة فالعجوز المدبرة، وأما اللفوت فذات الولد من غيرك»^(٣).

(١) وسائل الشريعة: ج ٢٠ ص ٤٤ ب ١١ ح ٢٤٩٨٩.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ١٩٧ ب ٨ ف ١.

(٣) وسائل الشريعة: ج ٢٠ ص ٣٥-٣٦ ب ٧ ح ٢٤٩٦٤.

٤٠

في تناول الفقراء

كان رسول الله ﷺ في تناول الفقراء، ومع جميع طبقات شعبه دائماً، حتى عندما شكل الحكومة الإسلامية في المدينة وكان قائداً عاماً لها.

عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «أن رسول الله ﷺ كان يأتي أهل الصفة وكانوا ضيفان رسول الله ﷺ، كانوا هاجروا من أهاليهم وأموالهم إلى المدينة، فأسكنهم رسول الله ﷺ صُفَّة المسجد وهم أربعمئة رجل، يسلّم ﷺ عليهم بالغداة والعشي، فأتاهم ذات يوم فمنهم من يخصف نعله ومنهم من يرقع ثوبه ومنهم من يتفلى، وكان رسول الله ﷺ يرزقهم مداً مداً من تمر في كل يوم. فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله، التمر الذي ترزقنا قد أحرق بطوننا!.

فقال رسول الله ﷺ: «أما إنني لو استطعت أن أطعمكم الدنيا لأطعمتكم، ولكن من عاش منكم بعدي فسيغدى عليه بالجفان ويراح عليه بالجفان، ويغدو أحلكم في قميصه ويروح في أخرى، وتنجدون بيوتكم كما تنجد الكعبة». فقام رجل فقال: يا رسول الله، إنا إلى ذلك الزمان بالأشواق فمتى هو؟.

قال ﷺ: «زمانكم هذا خير من ذلك الزمان، إنكم إن ملأتم بطونكم من الحلال توشكون أن تملئوها من الحرام»^(١).

وعن جابر بن عبد الله، قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة بنفسه، شاهدت منها تسعة عشر وغبت عن اثنتين، فبينما أنا معه في بعض غزواته

إذ أعيانا ضحى تحتي بالليل فبرك، وكان رسول الله ﷺ في آخرنا في أخريات الناس، فيزجي الضعيف ويردف ويدعو لهم، فانتهى إليّ وأنا أقول: يا لهف أماء وما زال لنا ناضح سوء.

فقال ﷺ: «من هذا؟».

قلت: أنا جابر بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال ﷺ: «ما شأنك؟».

قلت: أعياء ناضحي.

فقال ﷺ: «أمعك عصا؟».

قلت: نعم.

فضربه^(١) ثم بعثه ثم أناخه ووطئ على ذراعه وقال: «اركب».

فركبته فسأيرته فجعل جملي يسبقه، فاستغفر لي تلك الليلة خمساً وعشرين مرة. فقال لي: «ما ترك عبد الله من الولد؟»، يعني أباه.

قلت: سبع نسوة.

قال ﷺ: «أبوك عليه دين؟».

قلت: نعم.

قال ﷺ: «فإذا قدمت المدينة فقاطعهم، فإن أبوا فإذا حضر جذاذ نخلكم فأذني».

وقال ﷺ: «هل تزوجت؟».

قلت: نعم.

قال ﷺ: «بمن؟».

قلت: بفلانة بنت فلان، بأيم كانت بالمدينة.

قال ﷺ: «فهلا فتاة تلاعبها وتلاعبك؟».

(١) أي أشار إليه بالضرب، أو ضربه ضرباً خفيفاً لا يؤذي الحيوان (منه تترط).

قلت: يا رسول الله، كن عتدي نسوة خرق - يعني أخواته - فكرهت أن آتيهن بامرأة خرقاء، فقلت: هذه أجمع لأمرى.

قال رسول الله ﷺ: «أصببت ورشدت».

فقال رسول الله ﷺ: «بكم اشتريت جملك؟».

فقلت: بخمس أواق من ذهب.

قال رسول الله ﷺ: «قد أخذناه».

فلما قدم المدينة أتيت به بالجمل، فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال، أعطه خمس أواق من ذهب يستعين به في دين عبد الله، وزده ثلاثاً واردد عليه جملة».

قال رسول الله ﷺ: «هل قاطعت غرماء عبد الله؟».

قلت: لا يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: «أترك وفاء؟».

قلت: لا. قال رسول الله ﷺ: «لا عليك، إذا حضر جذاذ نخلكم فأذني».

فأذنته فجاء فدعا لنا، فجذذنا واستوفى كل غريم ما كان يطلب ثمراً وفاء وبقي لنا ما كنا نخذ وأكثر.

فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا ولا تكيلوا»، فرفعناه وأكلنا منه زماناً^(١).

وعن عنبسة بن مصعب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «أتى النبي ﷺ بشيء فقسّمه فلم يسع أهل الصفة جميعاً، فخص به أناساً منهم، فخاف رسول الله ﷺ أن يكون قد دخل قلوب الآخرين شيء، فخرج إليهم فقال: معذرة إلى الله عز وجل وإليكم يا أهل الصفة، إنا أوتينا بشيء فأردنا أن نقسّمه بينكم فلم يسعكم، فخصصت به أناساً منكم خشينا جزهم وهلعهم»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣٣-٢٣٤ ب ٩ في الرفق بأمتة رسول الله ﷺ.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٥٥٠ باب تفضيل أهل الزكاة بعضهم على بعض ح ٥.

٤١

الحياء والعفة

كان رسول الله ﷺ في قمة الحياء والعفة.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «في خطبة له خاصة يذكر فيها حال النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وصفاتهم:- «فلم يمنع ربنا حلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه، وأكرمهم عليه: محمد بن عبد الله ﷺ، في حومة العز مولده، وفي دومة الكرم محتده، غير مشوب حسبه، ولا ممزوج نسبه ولا مجهول، عند أهل العلم صفته، بشرت به الأنبياء عليهم السلام في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأملت الحكماء بوصفها، مهذب لا يداني، هاشمي لا يوازي، أبطحي لا يسامي، شيمته الحياء، وطبيعته السخاء، محبوب على أوقار النبوة وأخلاقها...»^(١).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «كنت قاعداً في البقيع مع رسول الله ﷺ في يوم دجن ومطر، إذ مرت امرأة على حمار فوقع يد الحمار في وهدة فسقطت المرأة، فأعرض النبي ﷺ بوجهه، قالوا: يا رسول الله، إنها متسرولة؟»

قال: اللهم اغفر للمتسرولات - ثلاثاً - يا أيها الناس، اتخذوا السراويلات فإنها من أستر ثيابكم، وحصنوا بها نساؤكم إذا خرجن»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: كان رسول الله ﷺ حياً لا يسأل شيئاً إلا أعطاه^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٩٦ ب ١١ ح ٨٠.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٢٤٤ ب ٧ ح ٣٤٩٠.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٥ ب ٩٣ ح ١٠٠٢٣.

وعنه قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه^(١).

ونظر النبي ﷺ إلى رجل يغتسل بحيث يراه الناس. فقال: «أيها الناس، إن الله يحب من عباده الحياء والستر، فأياكم اغتسل فليتوار من الناس فإن الحياء زينة الإسلام»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «من لا حياء له فلا إيمان له»^(٣).

وقال ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء»^(٤).

وقال ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»^(٥).

وقال ﷺ: «الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء»^(٦).

وقد فسروا الحياء: بانقباض النفس عن القبائح، وقالوا هو من خصائص الإنسان فلا يوجد في الحيوان كالفرس والغنم والبقر ونحوها. وقد جعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع عما تنزع إليه نفسه من القبيح فلا يكون كالبهيمة، قالوا وهو خُلِقَ مركب من جبن وعفة.

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث أخافهن على أمتي من بعدي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج»^(٧).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٥ ب ٩٣ ح ١٠٠٢٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٦٣ ب ٩٣ ح ١٠٠٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ١٩ ص ٤٧ فصل في الحياء وما قيل فيه.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ١٩ ص ٤٧.

(٥) شرح نهج البلاغة: ج ١٩ ص ٤٧.

(٦) شرح نهج البلاغة: ج ١٩ ص ٤٧.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٨٠ باب العفة ح ٦.

٤٢

مخالفة الهوى

من أهم ما يوجب الفوز بسعادة الدارين مخالفة الهوى ، وقد أكد رسول الله ﷺ على ذلك. وكان النبي ﷺ أول من يخالف هواه ، كما سبق في بعض أخلاقياته.

قال رسول الله ﷺ : «جاهدوا أهواءكم تملكوا أنفسكم»^(١).

وقال النبي ﷺ لأصحابه عند عودته من غزوة تبوك : «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر! وبقي عليهم الجهاد الأكبر!». قيل : يا رسول الله ، وما الجهاد الأكبر؟ قال ﷺ : «جهاد النفس»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ : «جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحل قلوبكم الحكمة»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ : «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(٤).

وقال ﷺ : «الكيس من الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل الأماني»^(٥).

وقال ﷺ : «ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ، فالثلاث المهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ، الخبز»^(٦).

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٦٥ ب ٤٥ ح ٧.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٢٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٦٤ ب ٤٥ ح ١.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١١٢ ب ٨١ ح ١٣٦٦٤.

(٦) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١١٣ ب ٨١ ح ١٣٦٦٦.

تغيير الأسماء القبيحة

كان من أخلاق رسول الله ﷺ أن يغير الأسماء القبيحة للأشخاص أو البلدان إلى أسماء حسنة.

فعن الحسين بن علوان، عن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «إن رسول الله ﷺ كان يغير الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «استحسنوا أسماءكم؛ فإنكم تدعون بها يوم القيامة، قم يا فلان بن فلان إلى نورك، وقم يا فلان بن فلان لا نور لك»^(٢).
وقد وفد على رسول الله ﷺ حي من العرب، فقال: «بنو من أنتم؟»
قالوا: بنو نهم، بضم الميم.

فقال: «نهم شيطان، أنتم بنو عبد الله»^(٣).

ومن الوفود التي قدمت على رسول الله ﷺ وفد طيء وفيهم زيد الخيل وعدي بن حاتم، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم، وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير^(٤).

وعن أبي أيوب: أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب^(٥).

وعن عبد الله بن جعفر، قال: سمى رسول الله ﷺ المدينة طيبة^(٦).

(١) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٣٩٠ ب ٢٢ ح ٢٧٣٧٩.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ١٩ باب الأسماء والكنى ح ١٠.

(٣) الفايق في غريب الحديث: ج ٣ ص ٣٣٧ حرف النون- النون مع الهاء.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٦٥-٣٦٦ ب ٣٥ ح ١.

(٥) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري: ج ١ ص ١٦٥ ما جاء في أسماء المدينة.

(٦) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري: ج ١ ص ١٦٣ ما جاء في أسماء المدينة.

وعن سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يسمي المدينة طابة^(١).

وقال ﷺ: «إن الله أمرني أن أسمى المدينة طيبة».

وعن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، قال: لما أقبلنا من غزوة تبوك قال رسول الله ﷺ: «هذه طيبة أسكنيها ربي»^(٢).

وعن أبي حميد الساعدي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، قال: فقال: «إني متعجل فمن أحب منكم أن يتعجل معي فليفعل». فخرج وخرجنا حتى إذا أوفى على المدينة قال: «هذه طابة»^(٣).

وعن جابر بن سمرة: أنهم كانوا يقولون: المدينة ويثرب. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله سماها طابة»^(٤).

وعنه قال: كانوا يسمون المدينة يثرب، فسامها رسول الله ﷺ طيبة^(٥).

وقال النبي ﷺ: «من قال للمدينة: يثرب فيقل: أستغفر الله ثلاثاً، هي: طابة، هي طابة، هي طابة»^(٦).

وعن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ، قال: «لا تدعونها يثرب فإنها طيبة يعنى المدينة، ومن قال: يثرب، فليستغفر الله ثلاث مرات، هي طيبة، هي طيبة، هي طيبة».

فإن كلمة يثرب مأخوذة من الشرب بالتحريك وهو الفساد، أو من الشرب وهو المؤاخذه بالذنب، وكان ﷺ يحب الاسم الحسن، ولهذا أسماها طابة

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري: ج ١ ص ١٦٥ ما جاء في أسماء المدينة.

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري: ج ١ ص ١٦٣ ما جاء في أسماء المدينة.

(٣) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري: ج ١ ص ١٦٤ ما جاء في أسماء المدينة.

(٤) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري: ج ١ ص ١٦٤ ما جاء في أسماء المدينة.

(٥) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري: ج ١ ص ١٦٤ ما جاء في أسماء المدينة.

(٦) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري: ج ١ ص ١٦٤-١٦٥ ما جاء في أسماء المدينة.

وطيبة. وأما تسميتها في القرآن يثرب فذلك حكاية عن قول المنافقين، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾^(١).

وفي شرح النهج:

(كان رسول الله ﷺ يغير بعض الأسماء، سمي أبا بكر عبد الله وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، وسمى ابن عوف عبد الرحمن وكان اسمه عبد الحارث، وسمى شعب الضلالة شعب الهدى، وسمى يثرب طيبة، وسمى بني الريبة بني الرشدة، وبني معاوية بني مرشدة).

كان سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي أحد الفقهاء المشهورين أتى جده رسول الله ﷺ فقال له: «ما اسمك؟». قال: حزن. قال ﷺ: «لا بل أنت سهل». فقال: لا بل أنا حزن. عاوده فيها ثلاثاً ثم قال: لا أحب هذا الاسم، السهل يوطأ ويمتهن. فقال ﷺ: «فأنت حزن». فكان سعيد يقول: فما زلت أعرف تلك الحزونة فينا^(٢).

(١) سورة الأحزاب: ١٢ - ١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٩ ص ٣٦٦ طرائف حول الأسماء والكنى.

التعامل مع الكفار

كان رسول الله ﷺ نموذجاً في علاقته الطيبة مع الإنسان بما هو إنسان ، فكان يحترم الجميع حتى الكفار ويسعى في هدايتهم إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ فإن لم يهتدوا لم يبدأهم بحرب بل يتركهم وشأنهم.

إن الإسلام قد جعل في علاقة المسلمين بغيرهم أصولاً كلها عقلية ، وهي على أتم وجهه ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١) . ولم يخص الله سبحانه وتعالى هذا الحكم بالنسبة إلى المسلمين فحسب ، بل يشمل المسلمين والكفار حيث قال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ...﴾.

وفي حديث عن رسول الله ﷺ ، إنه قال : «من ظلم ذمياً أو معاهداً فأنا خصمه يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خاصته»^(٢) .

وقال تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣) .

وقد أراد رسول الله ﷺ اختلاط المسلمين بغير المسلمين ليطلع غير المسلمين على عقائد المسلمين وحسن أخلاقهم وأعمالهم وشعائهم حتى يرغبوا في

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

(٢) راجع لسان الميزان لابن حجر : ج ٣ ص ٣٩٨ ح ١٥٧٩ .

(٣) سورة الممتحنة : ٨-٩ .

الإسلام عقيدة وعملاً، حيث إن الإسلام جميل في كل شؤون، فإذا رآه غير المسلم انجذب إليه، ومن مقتضيات العلاقة بينهما المخالطة وتبادلهم المصالح والمنافع وتقوية الصلات، سواء كانوا كفاراً ذميين أم محايدين أم معاهدين، وإنما المستثنى من ذلك الكفار المحاربون في الجملة.

وكان الأمر في حسن العلاقات وحسن التعامل وحسن المعاشرة بين المسلمين ومختلف الكفار منذ فجر الإسلام، وقد ذكرنا في بعض كتبنا أن الأمر المشهور بأن غير الكتابي يخير بين قبول الإسلام أو المحاربة لا دليل قوي عليه، كما لا أثر له في مرحلة التطبيق الخارجي في مختلف عصور المسلمين، كما يلاحظ ذلك بالنسبة إلى حكام المسلمين الذين استولوا على الهند وغير الهند، ومن القديم كان فيها المسلمون وغير المسلمين، الكتابيون وغير الكتابيين، من عبدة الأصنام، وعبدة النار، وعبدة الماء، وعبدة البقر، وغير ذلك من الأديان المتعددة التي لا تمت إلى أهل الكتاب (اليهود والنصارى والمجوس) بشيء.

فمن حق غير المسلمين - في حدودهم وأطهرهم - أن يمارسوا شعائرهم ويظهروا عقائدهم، ولا تهدم لهم كنيسة ولا بيعة ولا صلوات ولا سائر المعابد، ولا يكسر لهم صليب أو ما يدل على شعاراتهم ومقدساتهم، ولا يهضم لهم حق، ولا ينتقص من حقوقهم ما داموا ملتزمين بالولاء للدولة الإسلامية، محترمين لعقيدها، غير متعاونين مع أعداء الدولة على صفة الجواسيس وما أشبه ضد المسلمين.

ولذا نشاهد في التاريخ أن الذين دخلوا في الإسلام لم يدخلوا فيه عن سيف وإكراه، وإنما كان السيف لأجل تغيير الحاكم الظالم فقط وإنقاذ المظلومين، ولكن الناس دخلوا بأنفسهم في الإسلام رغبة، وذلك لما رأوا فيه من الحسن والواقعية والمنطق والبرهان والتسامح واللاعنف، ثم إن أخذ الجزية من غير المسلمين هو في مقابل أخذ الزكاة من المسلمين وإنما الفرق في اللفظ، فالجزية أخذ

جزء من مال الكفار في مقابل الزكاة التي هي عبارة عن التزكية والتطهير للنفس والمال.

ولم يكن الإسلام يحترم الكفار فيما لهم من الحقوق فحسب، بل كان يحترمهم حتى فيما لم يكن لهم من الحقوق، كما نشاهد ذلك في قصة زيد الذي كان من أحبار اليهود، فإنه أقرض النبي ﷺ قرضاً كان النبي ﷺ قد احتاج إليه، ثم رأى زيد أن يذهب قبل ميعاد الوفاء المحدد ليطالب بدينه. قال زيد: فأتيت الرسول ﷺ فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ وقلت: يا محمد، ألا تقضيني ديني فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلاّ مطالاً. فنظر إليّ عمر وعيناه تدوران في وجهه ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتصنع به ما أرى! فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر لضربت بسيفي رأسك. ورسول الله ﷺ ينظر في هدوء، فقال: «يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء. اذهب يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر مكان ما روعته». قال زيد: فذهب عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟.

قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما روعتك^(١).

فإن اليهودي كان معتدياً على رسول الله ﷺ ومع ذلك لم يقابله الرسول ﷺ بالمثل بل قابله بالفضل. وهكذا كانت سيرة رسول الله ﷺ بالنسبة إلى سائر الكفار والمشركين والمنافقين.

ثم إن الإسلام شرع للمسلم أن يتزوج بالكتابية كما أحل طعامهم، قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

حيث تدل هذه الآيات على غاية الحنان واللطف والعطف بما لا يجد الإنسان مثله في أي دين ومبدأ.

وقد حرص رسول الله ﷺ على زيارة الكفار وعبادة مرضاهم وتقديم الهدايا لهم ومبادرتهم البيع والشراء وسائر المعاملات، وهكذا عمل المسلمون طول التاريخ الإسلامي مع غير المسلمين، سواء كانوا من أهل الكتاب أم غير أهل الكتاب، وقد ثبت أن النبي ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي في دين على الرسول ﷺ لليهودي. كما ثبت أن الرسول ﷺ زار ذلك اليهودي الذي كان يصب على رأس الرسول ﷺ الرماد.

وفي حديث صفوان أن النبي ﷺ استعار منه أدرعاً يوم حنين، وقد كان صفوان بمثابة وزير الدفاع للكفار، ولما أراد الرسول ﷺ أن يذهب إلى حرب حنين طلب منه أن يعيره أربعمائة من الدروع. فقال صفوان: أغضباً يا محمد؟! فقال ﷺ: «بل عارية مضمونة»^(٤). مع العلم أن النبي ﷺ كان هو المسيطر والغالب وكان يتمكن أن يأخذ الدروع.

(١) سورة المائدة: ٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٣) سورة سبأ: ٢٤.

(٤) راجع الكافي: ج ٥ ص ٢٤٠ باب ضمان العارية والوديعة ح ١٠.

كما أن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدايا من الكفار والمشركين، وقصة قبوله للشاة المشوية المسمومة من تلك اليهودية مشهورة^(١).

وورد أن الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وبإجازة من الرسول ﷺ ذهبت إلى عرس أقامها اليهود لبعض بناتهم^(٢).

ومن جانب آخر ترك رسول الله ﷺ الكفار ولم يحاسبهم إذا ارتكبوا المحرمات في بيوتهم ولم يتظاهروا بذلك في المجتمع الإسلامي، وذلك لقانون الإلزام، حيث قال ﷺ: «ألزموهم بما ألزموا أنفسهم»^(٣).

نعم لا يجوز للكفار إظهار المناكير؛ لأن ذلك خلاف المعاشة السلمية، فإن اللازم على من يعيش في دولة أن يحترم قوانينها.

وقد كان المسلمون طول التاريخ الإسلامي يعاملون غير المسلمين أحسن من معاملة أمثالهم لهم، ذكر (نورمان لينزانه) لما فتح العثمانيون القسطنطينية كان أكثر الشعب المسيحي في عشية الفتح ينفرون من أي اتفاق مع كنيسة روما الكاثوليكية أشد من نفورهم من الاتفاق مع المسلمين، فما زال الناس يرددون الكلمة المشهورة التي نطق بها رئيس في بيزنطة في ذلك الحين وهي أنه قال: (لخير لنا أن نرى العمامة في مدينتنا من أن نرى فيها تاج البابوية)؛ وذلك لأن تاج البابوية كان يظلمهم ويضطرهم إلى قيود كثيرة تحد من حرياتهم، بينما العمامة الإسلامية لم تكن كذلك، وإنما كانت تعطي لهم الحرية في مختلف مشاريعهم وشعائهم. وقد تحدث عنه المقوقس عظيم القبط في مصر بعد أن قابلوا الفاتح الإسلامي فقالوا: رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحد منهم في الدنيا رغبة، جلوسهم على التراب وأميرهم

(١) راجع الأمالي للصدوق: ص ٢٢٤ المجلس الأربعون ح ٢.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٣٠ ب ٣ ح ٣٧.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ٣٢٢ ب ٢٩ ح ١٢.

كواحد منهم، ما يعرف كبيرهم من صغيرهم، ولا السيد فيهم من العبد، فإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها أحد، يغسلون أطرافهم بالماء ويخضعون في صلاتهم.

ولما فتح المسلمون البلاد أباحوا للمطرودين والفارين منهم أن يرجعوا إلى أوطانهم سالمين، ولهذا أحب الكفار المسلمين ودخلوا في دين الله أفواجا، فالآية الكريمة وإن كانت في زمن رسول الله ﷺ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(١) إلا أن ذلك استمر إلى اليوم حيث يدخل الكفار في دين الله أفواجا. وقد رأيت تقريراً يقول: إن جماعة من نساء اليهود دخلوا الإسلام حيث رأوا السماحة الإسلامية في أسلوب معاشرة الرجال للنساء، فإنه خير من أسلوب معاشرة رجال اليهود لهن.

فالحرية التي منحها رسول الله ﷺ للمسلمين منحها أيضاً لغير المسلمين كل في إطاره وموازينه على تفصيل ذكر في التاريخ والتفسير والفقهاء الإسلامي. ولذا نشاهد أن الآيات القرآنية على الأغلب تميل إلى خطاب كل طوائف البشر، مثلاً قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)، وهكذا في آيات أخر وأحاديث عن النبي ﷺ وآله الطاهرين عجل الله فرجهم.

وفي حديث رسول الله ﷺ في خطبة الوداع: «أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»^(٣).

(١) سورة النصر: ٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٢٦ فصل في الكلام على السجع.

لا للعصبيات

من الأسس التي سنّها رسول الله ﷺ هي إبعاد الناس عن العصبيات القومية واللغوية واللونية والعرقية والجغرافية الخاصة التي تسمى بالملية والوطنية بالمعنى الضيق، وكذلك عن سائر العصبيات التي تنافي إنسانية الإنسان، وهذا من أهم أسس السلم والسلام في المجتمع، وارتفع بالجماعة أن يكونوا مرتبطين بعضهم ببعض أو منفصلين بعضهم عن بعض بهذه الروابط الضيقة، فالموجود البديع الذي هو أبداع موجودات الله سبحانه وتعالى أرفع وأسمى من أن يكون بعضهم يواصل بعض أو يقاطع بعض في لغة أو لون أو جغرافية أو ما أشبه ذلك مما يسبب مختلف التنازع والتدابير والتهاجر، ومما يوجب الحقد والشحناء والبغضاء وظهور العداوات والمخاصمات والتي بالآخرة تنتج انفصام عرى الإنسانية الكاملة وتقويض السلام وتقضي على روح التعاون والأخوة.

قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).
وقال تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾^(٢).
وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران: ١٠١-١٠٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١).

لذا فالهمم في الإسلام هو الإنسان والعمل الصالح، كما قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢). نعم ورد النهي عن اتخاذ الكفار أولياء وذلك نشرًا للفضيلة وردعاً عن المنكرات، حيث يجب في شرع الله سبحانه أن يتخذ الأولياء أولياء والأعداء أعداءً، واتخاذ الأعداء أعداءً ليس لذاته، بل لقطع دابر الظالم والظالمين، والمنحرف والمنحرفين، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

وفي آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

وفي آية ثالثة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٥).

وفي آية رابعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣) سورة آل عمران: ١١٨.

(٤) سورة المائدة: ٥١.

(٥) سورة التوبة: ٢٣.

مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ»^(١).

ومن الواضح أن معادة الأعداء - إلا ما خرج بالدليل - إنما يكون بقدر، فهو كالعملية الجراحية التي لا تكون إلا بقدر الضرورة، وإلا فالأصل ما قاله سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

كما يستثنى من عدم جواز الموالاة، ما كان في صورة التقية والضرورة، فإنه كما في الحديث: «ليس شيء مما حرمه الله إلا وقد أحله لمن اضطر إليه»^(٣).

وقد قال سبحانه: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٤).

وهناك قسم ثالث بين الكافرين والمؤمنين: وهم المنافقون، فالإسلام يعاملهم معاملة حسنة، فمعاداتهم تكون بقدر، لا بقدر الكفار في الابتعاد ولا بقدر المؤمنين في الاقتراب، فقد قال سبحانه: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِثْ عَلَيْكُمْ وَمَنْعَكُمْ مِنْ

(١) سورة الممتحنة: ١.

(٢) سورة الممتحنة: ٨.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٥٨ ب ٢٤ ح ١٤٠٥١.

(٤) سورة آل عمران: ٢٨.

الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مَذْذَبَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ^(١).

وفي قوله سبحانه: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ^(٢) دلالة على أن حكم المنافقين في الدنيا لا يختلف عن حكم المسلمين والمؤمنين، ولكن حسابهم وعقابهم يكون في الآخرة فمصيرهم جهنم وبئس المصير، إذن ليس عليهم حكم خاص إلا ما ينطبق على سائر المسلمين في الدنيا، وإن كانوا هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله، كما في القرآن الحكيم ^(٣).

وقد لاحظ الرسول الأعظم عليه السلام أن الأمر في المنافقين دائر بين أن يبقوا في صف الكفار ويحاربوا المسلمين بكل صراحة وجرأة، وبين أن يتظاهروا بالإسلام ويراعوا ما يكشف باطنهم، وإن كانوا قلباً مع الكفار.. وكان الثاني أولى. ثم إن الإسلام لم يحكم على المنافقين حكماً قاضياً، بل تركهم وشأنهم، وفي قصة مسجد ضرار مع أنه وصفهم الله سبحانه وتعالى بأوصاف شديدة، لم يرتب عليهم حكماً قاضياً، فلم يقتلوا ولم يُسجنوا ولم يُغرموا...

وهذا أمر يدل عليه العقل أيضاً، فإنه يرى باتخاذ الأهم وترك المهم، قال سبحانه في سورة التوبة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَىٰ

(١) سورة النساء: ١٣٨-١٤٤.

(٢) سورة النساء: ١٤٢.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ سورة المنافقون: ٤.

التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رَبِّهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١).

وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنِيسَ الْمَصِيرِينَ﴾^(٢). فإنه لا يراد بذلك جهاد المنافقين كجهاد الكفار بل للمنافقين جهاد خاص، كما أن للكفار جهاداً خاصاً، والجامع هو الجهد والاجتهاد.. نعم في الآخرة مصيرهم جهنم كما في الآية.

ثم إن الإسلام بما أنه لم يكن دين تفرقة وتشتيت، بل دين جمع شمل ووحدة كلمة وسلام وهداية، نشاهد أنه يجلل الديانات السماوية والأنبياء جميعاً فقد قال سبحانه: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿مَنْ الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(٤).

وقال تعالى بالنسبة إلى موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾^(٥).

(١) سورة التوبة: ١٠٧-١١٠.

(٢) سورة التوبة: ٧٣.

(٣) سورة البقرة: ١٣٦.

(٤) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٥) سورة المائدة: ٤٤.

وقال سبحانه عن النبي عيسى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

وقال سبحانه عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢).

ولذلك نشاهد أن المسلمين من يومهم الأول لم يحاربوا اليهود ولا النصارى أما بالنسبة إلى النصارى فقد صالحهم النبي صلى الله عليه وآله في قصة نصارى نجران^(٣).

وأما بالنسبة إلى اليهود فقد كتب النبي صلى الله عليه وآله معهم معاهدة استرام وتعامل طيب، والتزم صلى الله عليه وآله بها.. ولكنهم نقضوا العهد وخانوا المسلمين فحدث بين المسلمين وبين اليهود بعض المناوشات والحروب، وبمجرد أن انتهت أكرمهم الرسول صلى الله عليه وآله أي إكرام لم يعرف في التاريخ لا قبله ولا بعده مثله، حيث تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله بنت ملكهم صفية بعد أن أسلمت بينما كانت أسيرة بيد النبي صلى الله عليه وآله وكان يتمكن أن يتصرف فيها تصرف الغزاة الفاتحين مع الأرقاء المأسورين.. وذات مرة تعرضت لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله بشيء من الكلام الخشن، فسألت منها: من أبوك ومن عمك؟. ولما عرفت صفية أنها مغرصة أخذت تبكي، فلما جاءها الرسول صلى الله عليه وآله نقلت القصة، فقال لها الرسول صلى الله عليه وآله: «إذا سألوك بعد ذلك فقولني: جدي موسى كليم الله، وعمي هارون نبي الله، وزوجي محمد رسول الله»^(٤).

أما بعض القضايا الخشنة في التعامل مع أهل الكتاب، الواردة في بعض التواريخ فقد ذكرنا في موارد متعددة أنها دس في التاريخ الإسلامي، والشواهد تدل على أنها ممدوسة فإنه لم ير العالم دينا كدين الإسلام في العفو والتسامح

(١) سورة المائدة: ٤٦.

(٢) سورة المائدة: ٦.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٧٦ ب ٣٢.

(٤) راجع تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٢١ الإفك على مارية.

واللاعنف. وحتى النصارى واليهود ليس بينهم مثل هذا التسامح الذي جعله الإسلام بالنسبة إليهم، فالعداوة بين اليهود والنصارى شديدة لأن اليهود يدينون بأن بني إسرائيل هم شعب الله المختار ويزعمون أن عيسى عليه السلام كاذب والعباد بالله وأتباعه ضالون، بل ينسبون إلى عيسى عليه السلام وأمه الطاهرة عليهما السلام بعض الموبقات الكبيرة، كما قال القرآن الحكيم: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾^(١)، والمسيحيون وإن كانوا يقرون بنبوته موسى عليه السلام ونزول التوراة، ولكنهم ينقمون على اليهود أنهم يتهمون عيسى عليه السلام في نسبه ويحددون رسالته، كما ينقمون عليهم في قصة الصليب، كما ينقمون على المسلمين أيضاً لأن الإسلام في زعمهم دين افتراه رجل عربي. أما عداوة اليهود للمسلمين فأشد، ومع كل ذلك فالإسلام احترمتهم وأكرمهم.

وقد ظهر مما سبق أن نظر اليهود والنصارى أحدهما إلى الآخر، وكذلك نظرهما للمسلمين نظر سوء وافتراء وعداء، أما نظر الإسلام إليهما فهو نظر هداية وإرشاد وتسامح وعفو وإصلاح.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥).

(١) سورة النساء: ١٥٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٤) سورة الكهف: ٢٩.

(٥) سورة القصص: ٥٦.

التسامح

من أهم الأسس التي أكد عليها رسول الله ﷺ مبدأ التسامح بمختلف صورها، وقد أخذ النبي ﷺ بأصل التسامح حتى مع أشد أعدائه، وحيناً قدر عليهم.

وفي القرآن الحكيم آيات عديدة تدل على التسامح بمعناه العام والشمولي.
قال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١).
ومن الواضح أن الآية لا تختص بأهل الكتاب، بل تشمل كل من لم يكن مسلماً.

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢).

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * نَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِطِرٍ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾^(٦).

(١) سورة الممتحنة: ٨.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٤) سورة الغاشية: ٢١-٢٢.

(٥) سورة يونس: ٩٩.

(٦) سورة الإسراء: ٥٤.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١).

وقد أمر الله سبحانه بحسن المعاملة مع الجميع وبالوفاء بالعهد مع الجميع، حيث قال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٢). ولا فرق بين عقد مع مسلم أو كافر.

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

وفي سيرة النبي ﷺ الشيء الكثير من أمثلة التسامح، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة».

وقد عقد النبي ﷺ معاهدة مع قبيلة تغلب في السنة التاسعة من الهجرة وكان الإسلام قد قوي أشد القوة ودانت به العرب والجزيرة ومع ذلك لم يجبرهم على الإسلام وأباح لهم البقاء على نصرانيتهم. وصالح ﷺ نصارى نجران - كما سبق - وتركهم أحراراً في دينهم. ووجه ﷺ عماله إلى اليمن لأخذ الجزية ممن أقام على نصرانيته، وكذلك فعل النبي ﷺ مع النصارى واليهود جميعاً في بلاد العرب.

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

(٢) سورة المائدة: ١.

(٣) سورة النحل: ٩١.

(٤) سورة الإسراء: ٣٤.

(٥) سورة التوبة: ٤.

وكان المجوس موزعين في بقاع شتى من جزيرة العرب منهم مجوس نجران وهجر وعمان والبحرين، وهؤلاء جميعاً بقوا على دينهم ودفعوا الجزية، ولم ينقل التاريخ أنه اضطهد مجوسي بترك دينه أو بترك قريته، وقد فتح المسلمون بلاداً أخرى وسلكوا مع أهلها مسلك السماحة.

وتسامح رسول الله ﷺ كان منذ اليوم الأول، وقد اشترطت قريش على النبي ﷺ في صلح الحديبية شروطاً قاسية، وتسامح النبي ﷺ معهم وقبل بها، منها أن من جاء من محمد ﷺ إلى قريش لا ترده إلى محمد، ومن جاء من قريش إلى محمد بغير إذن وليه رده محمد، وقبل النبي ﷺ شرطهم الجائر لحكمة رآها من توسيع الإسلام، كما شاهدناه بعد ذلك وتبرم بعضهم وما كانوا يفقهون من توقيع المعاهدة حتى جاء أول امتحان للوفاء، إذ وصل مسلم من مكة اسمه أبو جندل بن سهيل يرسف في الحديد فاراً من أذى قومه وألح على الرسول ﷺ في أن يضمه إليه، لكن الرسول ﷺ سلمه لقريش وفاءً بعهدته، وقال أبو جندل: إنهم سيعذبوني. فقال ﷺ: «اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا عقدنا بيننا وبينهم وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله فإنا لانغدر بهم».

ثم وفد على النبي ﷺ بالمدينة أبو بصير عتبة ابن أسيد فردته وقال له مثل ما قال لأبي جندل، ثم اجتمع جماعة منهم في الطريق بين مكة والمدينة وكانوا يقطعون على وفود مكة مما اضطّر أهل مكة أن يتنازلوا عن العهد ويقبلوا بالتحاقهم بالرسول ﷺ.^(١)

وكان من سماحة النبي ﷺ أن عامل أسرى بدر معاملة حسنة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمم، فقد كانت الأمم تعامل أسراها معاملة العدو البغيض، فتقتلهم أو تبيعهم أو تسترقهم، أو تسخرهم في أشق الأعمال، أو تعذبهم أشد

(١) راجع تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٠٩ صلح الحديبية، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٦١ ب ٢٠ ح ١٠.

العذاب. وقد استشار رسول الله ﷺ في شأن أسرى بدر، فأشار بعضهم عليه بقتلهم، وأشار بعضهم بفدائهم، فوافق الرسول ﷺ على الفداء وجعل فداء الذين يكتبون أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة.

كما أنه أشار بعض الصحابة أن يمثل بسهيل بن عمر وهو أحد المحرضين على محاربة المسلمين، بأن ينتزع ثنيتيه السفليين فلا يستطيع الخطابة، فرفض النبي ﷺ وقال: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً»^(١).

ولما فتح النبي ﷺ مكة قال لقريش: «ما تظنونني فاعل بكم؟». قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال ﷺ: «ما أقول إلا كما قال أخي يوسف لأخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٢).

كما أن الرسول ﷺ لم يقبل أن يقطع الماء على يهود خيبر، مع أنه كان في قطع الماء السيطرة عليهم^(٣).

وكان من إحسانه ﷺ إلى أهل الكتاب أنه كان يقترض منهم مكرراً، مع أن بعض الصحابة كانوا أثرياء وكلهم يتلهف على أن يقترض الرسول ﷺ منه.

وإنما فعل ﷺ ذلك تعليماً للأمة، وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من السلم والسلام والوئام حتى مع الكفار، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنهم من غير دينهم.

كما أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام حضر مع يهودي عند شريح القاضي للتقاضي^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٧٢ ف ٣ القول فيما جرى في الغنيمة والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة.

(٢) راجع الكافي: ج ٤ ص ٢٢٥ باب أن الله عز وجل حرم مكة حين خلق السماوات والأرض ح ٣.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٠-٣١ ب ٢٢ ح ٣٢.

(٤) راجع المناقب: ج ٢ ص ١٠٥ في المسابقة بالتواضع.

وقبله حضر رسول الله ﷺ إلى بعض قضاته مع مشرك ادعى عليه كذباً^(١).

وقد شايح أمير المؤمنين علي عليه السلام يهودياً كان مصاحباً له في الطريق.. ولم يعرف اليهودي علياً عليه السلام ثم لما عرفه في قصة مذكورة أسلم^(٢).

لذا نجد أن شعوب الكفار على اختلافهم وفي البلاد المفتوحة رحبوا بالفاتحين المسلمين أشد ترحيب، وقد كتب المسيحيون في الشام إلى رئيس المسلمين كتاباً يقولون فيه: يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا، كما ذكره (فتوح الشام) للأزدي البصري.

ويذكر (فتوح البلدان) للبلاذري: إن أهل حمص أغلقوا أبواب مدينتهم حتى لا يدخلها جيش هرقل، وقالوا: إن المسلمين ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الرومان وتعسفهم^(٣).

وكانت في الشمال قبائل عربية دانت بالمسيحية زمناً طويلاً، فلما بدأ الإسلام يصطرع مع الروم سارع بعضهم إلى اعتناق الإسلام والانضمام إلى المسلمين مثل بني غسان وغيرهم.

وكذلك صنعت بعض القبائل العربية التي كانت موالية للفرس في العراق، فقد وفد على قائد المسلمين بعد واقعة القادسية كثير من العرب المسيحيين المقيمين على نهر الفرات وأسلموا، كما أسلم إخوان لهم من قبل.

وكذلك رحب القبط في مصر بالفتح الإسلامي وبالقائد الفاتح وشكروه؛ لأنه أنقذهم من الاضطهاد الديني ومن عسف الروم وتنكيلهم بمخالفهم في المذهب وإن كان دينهما واحداً. ولما فتح المسلمون بلاد الفرس لم يلقوا من

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٢٧٤-٢٧٥ ب ١٨ ح ٣٣٧٥٩.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٧١ ص ١٥٧ ب ١٠ ح ٤.

(٣) راجع فتوح البلدان: ج ١ ص ١٦٢ ح ٣٦٧.

الشعب مقاومة عنيفة ؛ لأن حكامها كانوا قد استبدوا بهم وأعتتوهم ولأنهم كان ينصرون ديانة زرادشت التي صارت الدين الرسمي للدولة ، فقد كانت مبعوضة بالنسبة إلى كثير من الأهالي ، وقد استغل كهنتها نفوذهم في اضطهاد الفرق الدينية الأخرى وكانت كثيرة ، كما أنهم كانوا يضطهدون المسيحيين واليهود والصابئة أيضاً ، هذا بالإضافة إلى فرض الضرائب الباهضة على مختلف الطبقات وكان الغالب يكرهون بناتهم وأخواتهم وأمهاتهم في مسألة التزويج ، فلما انتصر المسلمون عليهم تنفسوا الصعداء من جهة الدين ومن جهة الضرائب ومن جهة النكاح ، ورحبوا بهم حباً للخلاص من ظلم الحكام ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية الجبرية ، ولأن حكام المسلمين أعطوهم الحريات الدينية والعملية.

ولما حارب المسلمون مع أهل الشام المسيحيين وأخذوا ينتصرون ، ائتمر قادة أهل الحرب من النصارى حول علاج الأمر وسألوا عن واحد واحد عن سبب تقدم المسلمين عليهم ، فأجاب كل بجواب ، حتى وصل الأمر إلى خادم كان يخدمهم في ذلك المجلس ، ولما سألوا عنه عن سبب انتصار المسلمين عليهم مع أنهم كفار برابرة أجاب الخادم بعد أن أخذ الأمان منهم قال : لأنهم أفضل منكم وإن كنتُ على دينكم لكنني أدع الله سبحانه وتعالى في قلبي كل يوم أن ينتصر المسلمون ، ثم بين السبب قال : قد كانت لي مزرعة نعيش في المزرعة أنا وزوجتي وأولادي من البنين والبنات ، ولما جئتم أنتم اغتصب هذا الضابط - وأشار إلى أحدهم - ابنتي ، وهذا الضابط - وأشار إلى آخر - زوجتي ، وذاك وأشار إلى ثالث ولدي ، وآخر مزرعتي ، فهل تريدون مني أن انتظر انتصاركم أو أخدمكم بكل قلبي ، وإن أهل الشام كلهم على شاكلتي ، أنتم تحاربونهم في أرزاقهم ومعاشهم وأولادهم وأراضيهم ومزارعهم وزوجاتهم وبناتهم ، لذا يرحبون بالمسلمين ويكون ذلك سبب انتصار المسلمين عليكم ، فإنهم لا يتعاملون

معنا إلا بالحسنى.

وهكذا كان انتصار المسلمين على الحكام الظلمة حيث كان يرحب بهم أهل البلاد أعظم ترحيب، وهكذا تقدم المسلمون يوماً بعد يوم عندما كان يتحلون بالتسامح، ولكن بعد ما تركوا هذا التسامح رجعوا القهقري وأصبحوا متفرقين متشتتين متعصبين، هذا يكفر ذاك وذاك يكفر هذا، ويحل بعضهم دماء بعض، كما نشاهده اليوم.. حتى انفض الناس من حولهم كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

وقد التف بعض الناس اليوم إلى جهة أخرى قد يكون فيها نوع من التسامح، وهم المتحضرون الغربيون، مع الفرق الشاسع بين التسامح الإسلامي والتسامح الغربي، وبين المتحضرين الغربيين اليوم وبين المسلمين الأوائل المتسامحين، حيث إن التسامح عند المسلمين أكثر بكثير من تسامح هؤلاء الماديين، مضافاً إلى أن المسلمين كانوا يبشرون بالدنيا والآخرة، بينما المتحضرون الغربيون لا يبشرون إلا بالدنيا، والدنيا لا تملأ إلا جزءاً واحداً من جزئي الإنسان، والإنسان بحاجة إلى الجزء الآخر المرتبط بروحه ولا يملؤه إلا الآخرة. وكل من الدنيا والآخرة عند المسلمين مؤيد بالعقل القطعي والبراهين الجلية والمنطق الإنساني الرفيع والفطرة السليمة، وهذا ما يفقده الآخرون.

ثم إن التسامح الذي ذكرناه ليس في موضوع خاص، بل في كل جوانب الإسلام، وجميع أحكامه، حيث التسامح بالنسبة إلى المسلم نفسه وبالنسبة إلى أهله وعياله وجيرانه، وبالنسبة إلى سائر المسلمين، بل وغير المسلمين، بل وحتى الحيوانات. وحديث امرأة دخلت النار في هرة حبستها، وامرأة دخلت الجنة في كلب روته، مشهور^(٢).

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٠٢ ب ٤٤٤ ح ٩٥٠٢.

تكريم الإنسان

كان رسول الله ﷺ يكرم الإنسان بما هو إنسان تكريماً فوق كل تكريم، مع قطع النظر عن دينه ومعتقداته. يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(١).

والسؤال هو أنه إذا كان الإنسان مكرماً على كثير، فهل هناك غير الكثير حيث يساوي بني آدم أو يكون أفضل منه؟.

الجواب: لا، وإنما الأكرم هو الإنسان فقط، والتعبير تعبير بلاغي قرآني حيث في كثير من الأحيان تقتضي البلاغة عدم ذكر الكلية وعدم الجزم بالأمر، ومن هنا ترى كثيراً ما تستعمل كلمة (لعل) في القرآن الحكيم مع أن الله سبحانه بعلم الواقع، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢). إن عقلاء العالم كثيراً ما يستخدمون ليت ولعل، ولا يتكلمون بالقطع واليقين وإن كانوا قاطعين متيقنين.

وفي آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٣).

فالدخول في بيت الناس بلا استئذان غير جائز، وهذا تكريم للإنسان وحفظ لحقوقه.

وفي آية أخرى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

(٢) سورة نساء: ٢٤.

(٣) سورة النور: ٢٧.

اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا»^(١).

وقال سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا﴾^(٢).

وهناك العديد من حقوق المسلم على المسلم، بل بعض تلك الحقوق تشمل غير المسلم أيضاً. ومن أدلة تكريم الله الإنسان قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(٣).

ومن هنا فإن أفضل منشور لحقوق الإنسان هو ما جاء به رسول الله ﷺ. روي: أن رسول الله ﷺ نظر إلى الكعبة، وقال: «مرحباً بالبيت ما أعظمك وما أعظم حرمتك على الله، والله للمؤمن أعظم حرمة منك؛ لأن الله حرم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله، ودمه، وأن يظن به ظن السوء»^(٤). وقال ﷺ أيضاً: «من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»^(٥). وقال ﷺ أيضاً: «من آذى ذمياً فقد آذاني».

وفي التاريخ أنه لما فر عدي بن حاتم، وأن خيل رسول الله ﷺ قد أخذوا أخته، وقدموا بها على رسول الله ﷺ فمن عليها رسول الله ﷺ وكساها وأعطاها نفقة، فخرجت مع ركب حتى قدمت الشام وأشارت على أخيها بالقدوم، فقدم وأسلم وأكرمه رسول الله ﷺ وأجلسه على وسادة رمى بها إليه بيده^(٦).

(١) سورة النساء: ٨.

(٢) سورة الذاريات: ٢٤-٢٥.

(٣) سورة البقرة: ٣٤، سورة الإسراء: ٦١، سورة الكهف: ٥٠، سورة طه: ١١٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٧١ ب ١ الأخبار ح ٣٩.

(٥) جامع الأخبار: ص ١٤٧ ف ١١٠.

(٦) راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٦٦ ب ٣٥ ح ١.

حق الناس

كان رسول الله ﷺ يؤكد على حق الناس أكبر التأكيد، فلا يُسمح لأحد أن يتجاوز على حق أحد أو يتصرف في نفسه أو ماله بدون إذنه.

عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنه ذكر لنا أن رجلاً من الأنصار مات وعليه ديناران ديناً، فلم يصلّ عليه النبي ﷺ وقال: صلوا على صاحبكم، حتى ضمنهما عنه بعض قرابته. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ذلك الحق - ثم قال - إن رسول الله ﷺ إنما فعل ذلك ليتعظوا وليردّ بعضهم على بعض ولئلا يستخفوا بالدين»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كل ذنب يكفره القتل في سبيل الله عزوجل إلا الدين لا كفارة له إلا أداؤه، أو يقضي صاحبه، أو يعفو الذي له الحق»^(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من أكل مال أخيه ظلماً ولم يردّه إليه أكل جذوة من النار يوم القيامة»^(٣).

وقال عليه السلام: «ليس بولي لي من أكل مال مؤمن حراماً»^(٤).

وعن العالم عليه السلام: «من أكل مال اليتيم درهما واحداً ظلماً من غير حق، يخلده الله في النار»^(٥).

(١) الكافي: ج ٥ ص ٩٣ باب الدين ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٩٤ باب الدين ح ٦.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٣ باب الظلم ح ١٥.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٨١ ب ١ ح ٢٢٠٤٢.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ١٩٢ ب ٥٨ ح ١٥٠٧١.

حق الرعية

كان رسول الله ﷺ أفضل أسوة في أداء حق رعيته، فكان بإمكان كل واحد من المسلمين والمسلمات - بل وحتى الكفار - أن يصل إليه ويبت إليه همومه ومشاكله، ويطلب منه قضاء حاجته مباشرة ومن دون حاجب.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ إذا كان في صلاة فيقبل عليه أحد، خفف من صلاته وأقبل عليه وقال: «ألك حاجة؟»^(١).

وهذا أكبر درس للحكومات والولاة ومن أشبه بأن من حقوق الناس عليهم قضاء حوائجهم والاهتمام بهم.

عن صباح بن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أما مؤمن أو مسلم مات وترك ديناً لم يكن في فساد ولا إسراف فعلى الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾»^(٢) الآية، فهو من الغارمين وله سهم عند الإمام، فإن حبسه فإثمه عليه»^(٣).

وعن حنان عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم - وفي رواية أخرى - حتى يكون للرعية كالأب الرحيم»^(٤).

(١) راجع المناقب: ج ١ ص ١٤٧ فصل في آدابه ومزاجه عليه السلام.

(٢) سورة التوبة: ٦٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٤٩ ب ١٣ ح ٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٥٠ ب ١٣ ح ١٠.

حق الحيوان

لم يُحرم من رحمة رسول الله ﷺ حتى الحيوان، حيث ورد عنه ﷺ التأكيد على حقوق الحيوان وحرمة إيذائه.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الرفق ويعين عليه، فإذا ركبتم الدواب العجف فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوها عنها، وإن كانت مخضبة فأنزلوها منازلها»^(١).

وعن رسول الله ﷺ، قال: «للدابة على صاحبها خصال: يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مر به، ولا يضرب وجهها فإنها تسبح بحمد ربها، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله عز وجل، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا يكلفها من المشي إلا ما تطيق»^(٢).

وعن النبي ﷺ أنه أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال ﷺ: «أين صاحبها؟، مروه فليستعد غداً للخصومة»^(٣).

وقال ﷺ: «لا تتوركوا على الدواب، ولا تتخذوا ظهورها مجالس»^(٤).

وقال ﷺ: «لا تسبوا الديك؛ فإنه يوقظ للصلاة»^(٥).

وقال ﷺ: «لا تسبوا الديك فإنه صديقي وأنا صديقه وعدوه عدوي، والذي بعثني بالحق لو يعلم بنو آدم ما في قترته لاشتروا ريشه ولحمه بالذهب

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٢٠ باب الرفق ح ١٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٨٦ باب حق الدابة على صاحبها ح ٢٤٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٢٠٣ ب ٨ ح ٥.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٨٧ باب حق الدابة على صاحبها ح ٢٤٧١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ٩ ب ٢ ح ١٣.

والفضة وأنه يطرد مذمومة من الجن»^(١).

وقال عليه السلام: «لا تسبوا الديك؛ فإنه يدل على مواقيت الصلاة»^(٢).

وقال عليه السلام: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»^(٣).

وقال عليه السلام: «أكثرُوا من الدواجن في بيوتكم تتشاغل بها الشياطين عن صبيانكم»^(٤).

وقال عليه السلام: «الإبل عز لأهلها»^(٥).

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ لعمته: ما يمنعك من أن تتخذي في بيتك بركة!، قالت: يا رسول الله ما البركة؟ فقال: شاة تحلب، فإنه من كانت في داره شاة تحلب أو نعجة أو بقرة فبركات كلهن»^(٦).

وقال عليه السلام: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم» قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا»^(٧).

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة^(٨).

(١) مكارم الأخلاق: ص ١٣٠ ب ٦ ف ٩ فيما يتعلق بالمسكن.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ١٣٠ ب ٦ ف ٩ فيما يتعلق بالمسكن.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٣٠٣ ب ٤٤ ح ٩٥٥.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ٢٨٥ ب ٢٧ ح ٩٤٥٩.

(٥) المحاسن: ج ٢ ص ٦٣٥ ب ١٥ ح ١٣١.

(٦) الكافي: ج ٦ ص ٥٤٥ باب الغنم ح ٧.

(٧) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ١١٧ ب ٢.

(٨) راجع كتاب (الفقه: حقوق الحيوان وأحكامه) للإمام المؤلف رحمه الله.

إكرام الوفود

كان من أخلاق رسول الله ﷺ وسياسته العامة إكرام الوفود وإن كانوا كفاراً، وقد توافدت عليه الوفود بكثرة في السنة التاسعة والعاشرية من الهجرة المباركة، وأكرمهم جميعاً بالمال والهدايا وبأخلاقه الطيبة.

وكان رسول الله ﷺ إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك^(١).

روي أنه قدم على رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي مسلماً واستأذن رسول الله ﷺ في الرجوع إلى قومه. فقال ﷺ: «إني أخاف أن يقتلوك». فقال: إن وجدوني نائماً ما أيقظوني. فأذن له رسول الله ﷺ، فرجع إلى الطائف ودعاهم إلى الإسلام ونصح لهم، فعصوه وأسمعوه الأذى حتى إذا طلع الفجر قام في غرفة من داره فأذن وتشهد، فرماه رجل بسهم فقتله. وأقبل بعد قتله من وفد ثقيف بضعة عشر رجلاً هم أشرف ثقيف، فأسلموا فأكرمهم رسول الله ﷺ وحباهم وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص بن بشر، وقد كان تعلم سوراً من القرآن^(٢).

ولما أسلمت ثقيف ضربت إلى رسول الله ﷺ وفود العرب فدخلوا في دين الله أفواجاً كما قال الله سبحانه، فقدم عليه ﷺ عطارد بن حاجب بن زرارة في أشرف من بني تميم منهم: الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وعيينة بن حصن الفزاري، وعمر بن الأهتم. وكان الأقرع وعيينة

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٧٢ ب ٣٥ ح ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٦٤ ب ٣٥ ح ١.

شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحينئذ والطائف، فلما قدم وفد تميم دخلا معهم فأجارهم رسول الله ﷺ وأحسن جوارهم^(١).

ومن قدم عليه ﷺ وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأريد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأمه، وكان عامر قد قال لأريد: إني شاغل عنك وجهه فإذا فعلته فأعله بالسيف. فلما قدموا عليه قال عامر: يا محمد خالني. فقال ﷺ: «لا حتى تؤمن بالله وحده» قالها مرتين.

فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: والله لأملأنها عليك خيلاً حمراً ورجالاً. فلما ولى قال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل».

فلما خرجوا قال عامر لأريد: أين ما كنت أمرتك به؟ قال: والله ما هممت بالذي أمرتني به إلاّ دخلت بيني وبين الرجل، فأضربك بالسيف؟. وبعث الله على عامر بن الطفيل في طريقه ذلك الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من سلول، وخرج أصحابه حين واروه إلى بلادهم، وأرسل الله على أريد وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما^(٢).

وقدم وفد محارب في حجة الوداع وهم عشرة نفر فيهم سواء بن الحارث وابنه خزيمة، ولم يكن أحد أظ ولا أغلظ على رسول الله ﷺ منهم، وكان في الوفد رجل منهم فعرفه رسول الله ﷺ.. فقال - الرجل -: الحمد لله الذي أبقاني حتى صدقت بك. فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب بيد الله»، ومسح وجه خزيمة فصارت له غرة بيضاء، وأجازهم كما يجيز الوفد وانصرفوا^(٣).

وقدم وفد بجيلة قدم جرير بن عبد الله البجلي ومعه من قومه مائة وخمسون رجلاً. فقال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن على

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٦٤ ب ٣٥ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٦٥ ب ٣٥ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٧٠ ب ٣٥ ح ٢.

وجبه مسحة ملك». فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا.

قال جرير: ويسط رسول الله يده فبايعني وقال: «على أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتنصح للمسلمين، وتطيع الوالي وإن كان عبداً حبشياً».

فقلت: نعم، فبايعته.

وكان رسول الله ﷺ يسأله عما وراءه فقال: يا رسول الله، قد أظهر الله الإسلام والأذان وهدمت القبائل أصنامهم التي تعبد. قال ﷺ: «فما فعل ذو الخلصة؟».

قال: هو على حاله.

فبعثه رسول الله ﷺ إلى هدم ذي الخلصة وعقد له لواء. فقال: إني لا أثبت على الخيل. فمسح رسول الله ﷺ صدره وقال: «اللهم اجعله هادياً مهدياً».

فخرج في قومه وهم زهاء مائتين فما أطال الغيبة حتى رجع فقال رسول الله ﷺ: «أهدمته؟».

قال: نعم والذي بعثك بالحق وأحرقته بالنار فتركته كما يسوء أهله. فبرك رسول الله ﷺ على خيل أخمس ورجالها^(١).

وقدم السيد والعاقب من نجران فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاب صلح. على تفصيل ذكرناه في كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم).

قصة الغدير

قام رسول الله ﷺ بتليغ رسالات الله بأجمعها، وكان تكميلها بولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

فقد جمع رسول الله ﷺ الناس في غدير خم وأبلغهم أن الخليفة من بعده هو علي بن أبي طالب عليه السلام دون غيره .. ومن بعد علي: الحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام. ونزلت الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

جاء في (تفسير القمي): قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: نزلت هذه الآية في علي عليه السلام ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)، قال: نزلت هذه الآية في منصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع.. وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينة. فكان من قوله بمنى أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، اسمعوا قولتي واعقلوه عني، فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا. ثم قال: - هل تعلمون أي يوم أعظم حرمة؟».

قال الناس: هذا اليوم.

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

قال ﷺ : «فأي شهر؟». قال الناس : هذا.

قال ﷺ : «وأي بلد أعظم حرمة؟». قالوا : بلدنا هذا.

قال ﷺ : «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت أيها الناس؟».

قالوا : نعم.

قال ﷺ : «اللهم اشهد - ثم قال : - ألا وكل مائرة أو بدعة كانت في الجاهلية أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين، ليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟».

قالوا : نعم.

قال ﷺ : «اللهم اشهد - ثم قال : - ألا وكل ربا كان في الجاهلية فهو موضوع... ألا وكل دم كان في الجاهلية فهو موضوع وأول موضوع دم ريبة، ألا هل بلغت؟».

قالوا : نعم.

قال ﷺ : «اللهم اشهد - ثم قال : - ألا وإن الشيطان قد يشس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه راض بما تحتقرون من أعمالكم، ألا وإنه إذا أطيع فقد عبد. ألا أيها الناس إن المسلم أخو المسلم حقاً، لا يحل لامرئ مسلم دم امرئ مسلم وماله إلا ما أعطاه بطيبة نفس منه، وإنني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله، ألا هل بلغت أيها الناس؟».

قالوا : نعم.

قال ﷺ : «اللهم اشهد - ثم قال : - أيها الناس، احفظوا قولي تنتفعوا به بعدي وافهموه تعشوا، ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض

بالسيف على الدنيا ؛ فإن فعلتم ذلك ولتفعلن لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل وميكائيل أضرب وجوهكم بالسيف - ثم التفّت عن يمينه فسكت ساعة ثم قال :- إن شاء الله أو علي بن أبي طالب ..

ثم قال : «ألا وإني قد تركت فيكم أمرين ، إن أخذتم بهما لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ؛ فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا ، ومن خالفهما فقد هلك ، ألا هل بلّغت ؟» . قالوا : نعم .

قال ﷺ : «اللهم اشهد - ثم قال - ألا وإنه سيرد عليّ الحوض منكم رجال فيدفعون عني ، فأقول : رب أصحابي ! فقال : يا محمد ، إنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك . فأقول : سحقاً سحقاً» .

فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(١) ، فقال رسول الله ﷺ : «نعت إليّ نفسي» . ثم نادى الصلاة جامعة في مسجد الخيف ، فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم : أخلص العمل لله ، والنصيحة لأئمة المسلمين ، ولزم جماعتهم ؛ فإن دعوتهم محيطية من ورائهم . المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . أيها الناس ، إني تارك فيكم الثقلين» .

قالوا : يا رسول الله ، وما الثقلان ؟ .

قال ﷺ : «كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كإصبعي هاتين - وجمع بين سبابتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع سبابتيه والوسطى - فتفضل هذه على هذه» .

فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا: يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته، فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً، فأنزل الله على نبيه ﷺ في ذلك ﴿أَمْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ ﴿١﴾ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ﴾ ﴿٢﴾. فخرج رسول الله ﷺ من مكة يريد المدينة حتى نزل منزلاً يقال له: غدير خم، وقد علم الناس مناسكهم وأوعز إليهم وصيته إذ نزلت عليه هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿٣﴾.

فقام رسول الله ﷺ فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس، هل تعلمون من وليكم؟». فقالوا: نعم، الله ورسوله. ثم قال ﷺ: أستم تعلمون أنني أولى بكم من أنفسكم؟. قالوا: بلى. قال ﷺ: «اللهم اشهد». فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً كل ذلك يقول مثل قوله الأول ويقول الناس كذلك ويقول: «اللهم اشهد»، ثم أخذ بيد أمير المؤمنين ع عليه السلام ورفعها حتى بدا للناس بياض إبطيهما، ثم قال ﷺ: «ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبه - ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: - اللهم اشهد عليهم وأنا من الشاهدين». فاستفهمه عمر فقام من بين أصحابه فقال: يا رسول الله، هذا من الله ومن رسوله؟. فقال رسول الله ﷺ: «نعم من الله ورسوله، إنه أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، يقعده الله يوم القيامة على الصراط فيدخل أوليائه الجنة وأعداءه النار» ﴿٤﴾.

(١) سورة الزخرف: ٧٩-٨٠.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ١٧٢-١٧٤ خطبة النبي ﷺ يوم الغدير.

العترة الطاهرة

العترة الطاهرة عليهم السلام هي الامتداد الحقيقي لرسول الله ﷺ وقد خلف الرسول ﷺ في أمته الثقلين: كتاب الله وعترة أهل بيته (سلام الله عليهم أجمعين)، فكان رسول الله ﷺ في مختلف المناسبات يؤكد للمسلمين ضرورة التمسك بأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ومتابعتهم وعدم مخالفتهم.

روي بطرق مختلفة عن أبي سعيد الخدري وعن غيره، عن النبي ﷺ في أيامه الأخيرة أنه قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، فإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا بما ذا تخلصوني»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «الإسلام عريان، فلباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»^(٢).

وعن رافع مولى أبي ذر، قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه أخذاً بحلقة باب الكعبة ويقول: من عرفني فقد عرفني أنا جندب الغفاري، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من قاتلني في الأولى وقاتل أهل بيتي في الثانية حشره الله مع الدجال، إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثل

(١) معاني الأخبار: ص ٩٠ باب معنى الثقلين والعترة.

(٢) المحاسن: ج ١ ص ٢٨٦ ب ٤٦ ح ٤٢٧.

باب حطة من دخلها نجا ومن لم يدخله هلك»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أنا ميزان العلم وعلي ﷺ كفتاه، والحسن والحسين عليهما السلام حباله، وفاطمة عليها السلام علاقته، والأئمة عليهم السلام من بعدهم يزنون المحبين والمبغضين»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي عصابة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم، وهم عترتي خلقوا من طينتي، وويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»^(٣).

وعن يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا عنده قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه وصليت معه خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ.

قال: يا ابن أخي، لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوه وما لا أذكره فلا تكلفوني، ثم قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه النور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به - فحث على كتاب الله تعالى ورغب فيه، ثم قال - وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله

(١) بشارة المصطفى: ص ٨٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ص ١١١ سورة آل عمران وما فيها من الآيات البينات في الأئمة الهداة.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٠٤-١٠٥ ب ٧ ح ٢.

في أهل بيتي»^(١).

وقال رسول الله ﷺ : «إني فرطكم على الحوض فأسألكم حين تلقوني عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما».

فاعتل علينا لا ندري ما الثقلان حتى قام رجل من المهاجرين فقال : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ما الثقلان؟.

قال ﷺ : «الأكبر منهما كتاب الله طرف بيد الله تعالى وطرف بأيديكم ، فتمسكوا به ولا تزلوا ولا تضلوا. والأصغر منهما عترتي ، من استقبل قبلي ، وأجاب دعوتي ، فلا تقتلوه ولا تغزوه ؛ فإني سألت اللطيف الخبير فأعطاني أن يردا عليّ الحوض كهاتين - وأشار بالمسبحة والوسطى - ناصرهما ناصري ، وخاذلهما خاذلي ، وعدوهما عدوي ، ألا وإنه لن تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها ، وتظاهر على نبيها ، وتقتل من يأمر بالقسط فيها»^(٢).

وروى الزمخشري بإسناده قال : قال النبي ﷺ : «فاطمة بهجة قلبي ، وابناها ثمرة فؤادي ، وبعلمها نور بصري ، وأئمة من ولدها أمثالي ، وحبل ممدود بيني وبين خلقه من اعتصم به نجا ، ومن تخلف عنهم هلك»^(٣).

وعن أبان بن تغلب ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : «من أراد أن يحيا حياتي ، ويموت ميتتي ، ويدخل جنة عدن التي غرسها الله ربي بيده ، فليتول علي بن أبي طالب وليتول وليه ، وليعاد عدوه ، وليسلم للأوصياء من بعده ؛ فإنهم عترتي من لحمي ودمي ، أعطاهم الله فهمي وعلمي ، إلى الله أشكو أمر أمتي المنكرين لفضلهم ، القاطعين فيهم صلتني ، وأيم الله ليقتلن ابني لا أنالهم الله شفاعتي»^(٤).

(١) بحار الأنوار : ج ٢٣ ص ١٠٧-١٠٨ ب ٧ ح ١٠.

(٢) الطرائف : ج ١ ص ١١٧ حديث الثقلين ح ١٧٩.

(٣) نهج الحق : ص ٣٩٦ المسألة السابعة ٢ الإجماع.

(٤) الكافي : ج ١ ص ٢٠٩ باب ما فرض الله عز وجل ورسوله ﷺ من الكون مع الأئمة عجل الله فرجهم ح ٥.

وعن النبي ﷺ ، قال : « من أحب أن يتمسك بالقضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله تعالى في جنة عدن فليتمسك بحب علي بن أبي طالب وذريته الطاهرين »^(١).

وعن النبي ﷺ : « من أحب أن ينسئ الله له في أجله ، وأن يتمتع بما خوله الله ، فليخلفني في أهلي خلافة حسنة ؛ فإنه من لم يخلفني فيهم بتك الله عمره ، وورد علي يوم القيامة مسوداً وجهه »^(٢).

وعن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من دان بديني ، وسلك منهاجي ، واتبع سنتي ، فليدن بتفضيل الأئمة من أهل بيتي على جميع أمتي ؛ فإن مثلهم في هذه الأمة مثل باب حطة في بني إسرائيل »^(٣).

وعن أمه أم سلمة (رضوان الله عليها) قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « علي بن أبي طالب والأئمة من ولده بعدي سادة أهل الأرض ، وقادة الغر المحجلين يوم القيامة »^(٤).

(١) الطرائف : ج ١ ص ١١٨ حديث الثقلين ح ١٨٢ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٢٣ ص ١١٦ ب ٧ ح ٣١ .

(٣) الأماالي للصدوق : ص ٧٤ المجلس ١٧ ح ٦ .

(٤) بحار الأنوار : ج ٢٣ ص ١٢٧ ب ٧ ح ٥٩ .

جيش أسامة

آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ إلى الشام هو جيش أسامة، حيث أمر على المسلمين أسامة بن زيد بن حارثة مولاه، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء^(١) والداروم^(٢) من أرض فلسطين، فتجهز الناس.. وتخلف من تخلف.

روي: أن رسول الله ﷺ لما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة اللواء بيده ثم قال: «أغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله».

فخرج أسامة وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم: أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وغيرهم. فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين.

فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصاية، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في أمارتي أباه من قبله، وأيم الله إنه كان للإمارة لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة». ثم نزل فدخل بيته وكان ذلك يوم السبت، وثقل رسول الله ﷺ بأثر السم، فجعل يقول: «انفذوا بعث أسامة، انفذوا بعث أسامة، أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة».

(١) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة. راجع معجم البلدان: ج ١ ص ٤٨٩.

(٢) الداروم: قلعة بعد غرة للقاصد إلى مصر، الواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل في سنة ٥٨٤. راجع معجم البلدان: ج ٢ ص ٤٢٤.

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في (الإرشاد):

«ثم إنه عليه السلام عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة وندبه أن يخرج بمجهور الأمة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه عليه السلام على إخراج جماعة من متقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره؛ حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته عليه السلام من يختلف في الرئاسة، ويطمع في التقدم على الناس بالإمارة، ويستتب الأمر لمن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقه منازع، فعقد له الإمرة على ما ذكرناه. وجدَّ عليه السلام في إخراجهم، فأمر أسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف، وحث الناس على الخروج إليه والمسير معه، وحذرهم من التلوم والإبطاء عنه»^(١).

وقد تخلف بعض الصحابة لأسباب سياسية غير خفية على البصير، فشملمهم لعن رسول الله ﷺ.

استشهاد النبي صلى الله عليه وآله

كانت وفاة النبي صلى الله عليه وآله بل استشهاده في صبيحة يوم الاثنين أو عند زواله، الليلتين بقيتا من شهر صفر، سنة إحدى عشرة من الهجرة، وعمره الشريف آنذاك ثلاث وستون سنة. ودفن صلى الله عليه وآله يوم الثلاثاء، وقيل: يوم الأربعاء. وقد اشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله من مرض قبل وفاته بثلاث عشرة ليلة تقريباً، وكان ذلك من أثر السم، قيل: إنه سم المرأة اليهودية في قصة خير^(١).

وكان النبي صلى الله عليه وآله يؤكد كثيراً خلال مرضه هذا على التمسك بأهل بيته عليهم السلام وضرورة تجهيز جيش أسامة والخروج من المدينة، ولعن من تخلف عن جيش أسامة^(٢) فأراد صلى الله عليه وآله أن يخلي المدينة من المنافقين وغيرهم، حتى تنهيا الأجواء لتسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الخلافة. ولكن بعض الصحابة تخلفوا وعصوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في خروجهم، فهل كانوا على علم بأنه صلى الله عليه وآله لا يشفى من مرضه هذا، وأنه سقي سماً لا يبرأ منه؟!

(١) لما تمكن رسول الله صلى الله عليه وآله من فتح خيبر وصالح اليهود على صالحهم عليه، أهدت له زينب بنت الحارث بن سلام بن مشكم - وهي ابنة أخي مرحب - شاة مصلية وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقيل لها: الذراع، فأكرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة وانتهش منها، ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظماً فانتهش منه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ارفعوا أيديكم؛ فإن كنف هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة». فدعاها فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟». فقال: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان نبياً فسيخبر، وإن كان ملكاً استرحت منه. فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وآله ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل. قال: ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله صلى الله عليه وآله تَعُوذُ في مرضه الذي توفي فيه. فقال صلى الله عليه وآله: «يا أم بشر، ما زالت أكلة خيبر التي أكلت بخبر مع ابنك تعاودني، فهذا أوان قطعت أبهري». فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وآله مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة. راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٦-٧ ب ٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٤٣٢ ب ٢٢ الثاني التخلف عن جيش أسامة.

من الخطب الأخيرة

لما سمع رسول الله ﷺ بأن فلاناً أخذ يصلي بالمسلمين، قال: «ادعوا ليَّ العباس». فدُعِيَ فحمله هو وعلي بن أبي طالب ﷺ فأخرجاه، فدخل المسجد واستأنف الصلاة بالمسلمين وإنه لقاعد، ثم حمل فوضع على منبره فلم يجلس بعد ذلك على المنبر، واجتمع له جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى برزت العواتق من خدورهن، فبين بالكِ وصائح وصارخ ومسترجع، والنبي ﷺ يخطب ساعة ويسكت ساعة، وكان مما ذكر في خطبته أن قال:

«يا معشر المهاجرين والأنصار ومن حضرني في يومي هذا وفي ساعتی هذه من الجن والإنس، فليبلغ شاهدكم الغائب، ألا قد خلّفت فيكم كتاب الله فيه النور والهدى والبيان ما فرط الله فيه من شيء حجة الله لي عليكم، وخلّفت فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى وصيبي علي بن أبي طالب، ألا هو جبل الله فاعتصموا به جميعاً ولا تفرقوا عنه»^(١).

وقال ﷺ في وصيته قرب وفاته: «أيها الناس لا تأتوني غداً بالدنيا تزفونها زفا ويأتي أهل بيتي شعباً غبراً مقهورين مظلومين تسيل دماؤهم، إياكم وبيعات الضلالة والشورى للجهالة، ألا وإن هذا الأمر له أصحاب وآيات قد سماهم الله في كتابه وعرفتكم وبلغتكم ما أرسلت به إليكم ولكني أراكم قوما تجهلون، لا ترجعون بعدي كفارا مرتدين تتأولون الكتاب على غير معرفة وتبتدعون السنة بالهوى، وكل سنة وحديث وكلام خالف القرآن فهو زور وباطل»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٨٦ ب ١ ح ٣١.

(٢) خصائص الأئمة: ص ٧٤.

في بيت فاطمة عليها السلام

كان رسول الله ﷺ في آخر أيام حياته المباركة في بيت فاطمة عليها السلام ، وقد استأذن على رسول الله ﷺ ملك الموت عزرائيل .

قال ابن عباس : فلما طرق الباب قالت فاطمة عليها السلام : «من ذا؟» .

قال : «أنا غريب أتيت رسول الله ﷺ ، فهل تأذنون لي في الدخول عليه؟» .

فأجابت : «امضِ رحمك الله لحاجتك ، فرسول الله ﷺ عنك مشغول» .

فمضى ثم رجع فدق الباب ، وقال : «غريب يستأذن على رسول الله ﷺ ، فهل تأذنون للغرباء؟» .

فقال رسول الله ﷺ : «يا فاطمة ، إن هذا مفرق الجماعات ، ومنغص اللذات ، هذا ملك الموت ، ما استأذن والله على أحد قبلي ، ولا يستأذن على أحد بعدي ، استأذن عليّ لكرامتي على الله ، ائذني له» .

فدخل وقال : «السلام عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك» .

قال ﷺ : «وعليك السلام يا ملك الموت» .

فقال : «إن ربك أرسلني إليك وهو يقرؤك السلام ويخيرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا» .

فاستمهله ﷺ حتى ينزل جبرئيل ويستشيره ، فخرج ملك الموت من عنده وجاء جبرئيل ، فقال : «السلام عليك يا أبا القاسم» .

قال ﷺ : «وعليك السلام يا حبيبي جبرائيل» .

فقال : «يا رسول الله ، إن ربك إليك مشتاق وما استأذن ملك الموت على أحد قبلك ولا يستأذن على أحد بعدك» .

قال ﷺ: «يا حبيبي جبرئيل إن ملك الموت قد خيرني عن ربي بين لقائه وبين الرجوع إلى الدنيا، فما الذي ترى؟».

فقال: «يا رسول الله ﴿وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿١﴾».

قال ﷺ: «نعم، لقاء ربي خير لي، لا تبرح يا حبيبي جبرئيل حتى ينزل ملك الموت». فنزل ملك الموت فقال له رسول الله ﷺ: «امض لما أمرت له».

ثم قال له رسول الله ﷺ: «يا حبيبي جبرئيل ادن مني».

فدنا منه فكان جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، وملك الموت قابضاً لروحه ﷺ. ثم مد رسول الله ﷺ يده إلى علي عليه السلام فجذبه إليه وهو يقول: «ادن مني يا أخي فقد جاء أمر الله».

فدنا علي عليه السلام منه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه ووضع فاه في أذنه، وجعل يناجيه طويلاً حتى فارقت روحه الدنيا (صلوات الله عليه وآله) ويد أمير المؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها فرفعها علي عليه السلام إلى وجهه فمسحه بها. ثم قال علي عليه السلام: «أعظم الله أجوركم في نبيكم، فقد قبضه الله إليه».

ثم مد عليه إزاره، وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، يا لها من مصيبة خست الأقرين وعمت المؤمنين، لما يصابوا بمثلها قط ولا عاينوا مثلها».

فارتفعت عندها الأصوات بالضجة والبكاء، فصاحت فاطمة عليها السلام وصاح المسلمون، وصاروا يضعون التراب على رؤوسهم، وفاطمة عليها السلام تقول: «يا أبتاه إلى جبرئيل ننعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه، يا أبتاه جنان الفردوس مأواه، يا أبتاه أجاب رباً دعاه».

واجتمعت نسوة بني هاشم وجعلن يذكرن النبي ﷺ ويكيبن.

تجهيز النبي ﷺ

قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بتغسيل رسول الله ﷺ والصلاة عليه، وكفنه ودفنه في قبره الشريف حيث مزاره اليوم في المسجد النبوي الشريف.

قال الإمام علي عليه السلام: «أوصى النبي ﷺ أن لا يغسله أحد غيري»^(١).

وقال الشيخ المفيد رحمه الله: فلما أراد أمير المؤمنين عليه السلام غسل النبي ﷺ استدعى الفضل بن العباس فأمره أن يناوله الماء لغسله بعد أن عصب عينيه، فشق قميصه عليه من قبل جيبه حتى بلغ به إلى سرتة، وتولى غسله وتحنيطه وتكفينه، والفضل يعطيه الماء ويعينه عليه..

فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم عليه صلى عليه وحده، لم يشركه معه أحد في الصلاة عليه، وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة عليه، وأين يدفن، فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال لهم:

«إن رسول الله ﷺ إمامنا حياً وميتاً فيدخل عليه فوج بعد فوج منكم فيصلون عليه بغير إمام وينصرفون، وإن الله لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه، وإنني لدافنه في حجرته التي قبض فيها»، فسلم القوم لذلك ورضوا به^(٢).

وكانت الحجرة هي بيت فاطمة (سلام الله عليها).

فصلى على رسول الله ﷺ الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان، لا يؤمهم

(١) المناقب: ج ١ ص ٢٣٩ فصل في وفاته عليه السلام.

(٢) الإرشاد: ج ١ ص ١٨٧.

أحد وكانت صلاتهم: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال:

«لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من تغسيل رسول الله ﷺ وتكفينه وتحنيطه أذن للناس وقال: ليدخل منكم عشرة عشرة ليصلوا عليه، فدخلوا وقام أمير المؤمنين عليه السلام بينه وبينهم وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢) وكان الناس يقولون كما يقول.»

قال أبو جعفر عليه السلام: «وهكذا كانت الصلاة عليه ﷺ»^(٣).

وعن أبي مريم الأنصاري، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: كيف كانت الصلاة على النبي ﷺ؟

قال: «لما غسله أمير المؤمنين عليه السلام وكفنه سجاء، ثم أدخل عليه عشرة فداروا حوله ثم وقف أمير المؤمنين عليه السلام في وسطهم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤)، فيقول القوم كما يقول، حتى صلى عليه أهل المدينة وأهل العوالي»^(٥).

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٣) الأمالي للمفيد: ص ٣١ المجلس ٤ ح ٥٠.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٤٥٠ باب مولد النبي ﷺ ووفاته ح ٣٥.

زيارة الرسول ﷺ

من المستحبات المؤكدة زيارة قبر رسول الله ﷺ وقبور الأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام ، ودل على ذلك متواتر الروايات.

ويأتي من بعد ذلك في الاستحباب والفضل : زيارة قبور الأولياء والعلماء والصالحين ، ومن ثم زيارة قبور مطلق المؤمنين ؛ فإنها تذكر بالآخرة وتشد الناس نحو الخير والتقوى.

عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، قال : « إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأما الأربعة الذين هم من الأولين : فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وأما الأربعة من الآخرين : فمحمد وعلي والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) ، ثم يمد المضمار فيقعد معنا من زار قبور الأئمة عليهم السلام إلا أن أعلاهم درجة وأقربهم حبة زوار قبر ولدي علي عليه السلام »^(١).

هذا ولا يصح الإشكال بأن رسول الله ﷺ قد مات فما فائدة زيارته والتوسل به إلى الله عز وجل ؟ ، فإنه مردود بالأدلة العقلية والنقلية.

قال تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٢). وقال سبحانه : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٣).

(١) الكافي : ج ٤ ص ٥٨٥ باب فضل زيارة أبي الحسن الرضا عليه السلام ح ٤.

(٢) سورة البقرة : ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران : ١٦٩.

مضافاً إلى خصوص ما ورد في أن النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام لا فرق بين حيههم وميتهم، وأنهم يسمعون الكلام ويردون السلام عند ما يزورهم الإنسان بعد مماتهم، إلى غير ذلك مما ذكرناه في الكتب العقائدية.

عن سماعة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما لكم تسوءون رسول الله».

فقلت له: جعلت فداك وكيف نسوؤه؟

قال عليه السلام: «أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى معصية ساء ذلك، فلا تسوءوا رسول الله ﷺ»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»^(٢).

وعن ابن أبي نجران قال:

سألت أبا جعفر عليه السلام ^(٣) عن من زار قبر النبي ﷺ قاصدا؟

قال: «له الجنة»^(٤).

وعن أبي بكر الحضرمي قال: قد أمرني أبو عبد الله عليه السلام أن أكثر الصلاة في

مسجد رسول الله ﷺ ما استطعت، وقال: «إنك لا تقدر عليه كلما شئت»

وقال لي: «تأتي قبر رسول الله ﷺ؟»

فقلت: نعم.

فقال: «أما إنه يسمعك من قريب، ويبلغه عنك إذا كنت نائياً»^(٥).

وعن عامر بن عبد الله قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني زدت جمالي

دينارين أو ثلاث على أن يربي إلى المدينة، فقال: «قد أحسنت، أما أيسر هذا

(١) مشكاة الأنوار: ص ٧١-٧٢ ب ٢ ف ٣.

(٢) كامل الزيارات: ص ١٢ ب ٢ ح ١.

(٣) أي الإمام الجواد عليه السلام.

(٤) كامل الزيارات: ص ١٢ ب ٢ ح ٣.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣٣٨-٣٣٩ ب ٤ ح ١٩٣٤٩.

تأتي قبر رسول الله ﷺ أما إنه يسمعك من قريب ويبلغه عنك من بعيد»^(١).

وعن النبي ﷺ قال: «من زارني في حياتي أو بعد موتي كان في جوارتي يوم القيامة»^(٢).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي وكنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليّ السلام فإنه يبلغني»^(٤).

وقال الحسين بن علي عليه السلام لرسول الله ﷺ: «يا أبتاه ما جزاء من زارك؟»

فقال ﷺ: «يا بني من زارني حيا أو ميتا كان حقا علي أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه»^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن زيارة قبر رسول الله ﷺ تعدل حجة مع رسول الله ﷺ مبرورة»^(٦).

(١) كامل الزيارات: ص ١٢ ب ٢ ح ٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣٣٦ ب ٣ ح ١٩٣٤٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ١٤٣ ب ١ ح ٢٧.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣ ب ٢ ح ١.

(٥) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٧٧ باب ثواب زيارة النبي ﷺ ... ح ٣١٥٩.

(٦) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣٣٥ ب ٣ ح ١٩٣٤١.

٦٠

من روايات النبي ﷺ

كلمات رسول الله ﷺ ورواياته الشريفة نور للبشرية جمعاء، يلزم على المسلمين وغيرهم أن يعملوا بها، ويزينوا بيوتهم ومحلاتهم وأسواقهم ودوائرهم وكل مرافق الحياة بها، وخاصة كلمات قصاره وهي فصل الخطاب.

قال قيس بن عاصم: وفدت على رسول الله ﷺ في جماعة من بني تميم... فقلت: يا رسول الله عطنا موعظة نتفع بها.

فقال: «يا قيس إن مع العز ذلاً.. وإن مع الحياة موتاً.. وإن مع الدنيا آخرة.. وإن لكل شيء حسيباً.. وعلى كل شيء رقيباً.. وإن لكل حسنة ثواباً.. ولكل سيئة عقاباً..» الحديث^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»^(٢).

وقال ﷺ: «ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى».

وقال ﷺ: «خير الزاد التقوى».

وقال ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله عز وجل».

وقال ﷺ: «خير ما ألقى في القلب اليقين».

وقال ﷺ: «الارتباب من الكفر».

وقال ﷺ: «السكر جمر النار».

وقال ﷺ: «الخمر جماع الآثام».

(١) راجع إرشاد القلوب: ج ١ ص ٣٦ ب ٥.

(٢) انظر من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٦-٣٨١ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي لم يسبق إليها

وقال عليه السلام : « شر المكاسب كسب الربا ».

وقال عليه السلام : « شر المآكل أكل مال اليتيم ظلماً ».

وقال عليه السلام : « السعيد من وعظ بغيره ».

وقال عليه السلام : « الشقي من شقي في بطن أمه ».

وقال عليه السلام : « أرى الربا الكذب ».

وقال عليه السلام : « سباب المؤمن فسوق ، قتال المؤمن كفر ، أكل لحمه من معصية

الله عزوجل ، حرمة ماله كحرمة دمه ».

وقال عليه السلام : « من يكظم الغيظ يأجره الله عزوجل ».

وقال عليه السلام : « من يصبر على الرزية يعوضه الله ».

وقال عليه السلام : « لا يلسع المؤمن من جحر مرتين ».

وقال عليه السلام : « لا يجني على المرء إلا يده ».

وقال عليه السلام : « الشديد من غلب نفسه ».

وقال عليه السلام : « ليس الخبز كالمعاينة ».

وقال عليه السلام : « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم سبتها وخميسها ».

وقال عليه السلام : « المجالس بالأمانة ».

وقال عليه السلام : « سيد القوم خادمهم ».

وقال عليه السلام : « لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكاً ».

وقال عليه السلام : « ابدأ بمن تعول ».

وقال عليه السلام : « المسلم مرآة لأخيه ».

وقال عليه السلام : « الناس كأسنان المشط سواء ».

وقال عليه السلام : « أي داء أدوى من البخل ».

وقال عليه السلام : « الحياء خير كله ».

وقال عليه السلام : « اليمين الفاجرة تذر الديار من أهلها بلاقع ».

وقال ﷺ : «أعجل الشر عقوبة البغي».

وقال ﷺ : «أسرع الخير ثواباً البر».

وقال ﷺ : «المسلمون عند شروطهم».

وقال ﷺ : «أرحم من في الأرض يرحمك من في السماء».

وقال ﷺ : «من قُتل دون ماله فهو شهيد».

وقال ﷺ : «العائد في هبته كالعائد في قبته».

وقال ﷺ : «لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن فوق ثلاث».

وقال ﷺ : «من لا يرحم لا يرحم».

وقال ﷺ : «الندم توبة».

وقال ﷺ : «الدال على الخير كفاعله».

وقال ﷺ : «حبك للشيء يعمي ويصم».

وقال ﷺ : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

وقال ﷺ : «لا يؤوي الضالة إلا الضال».

وقال ﷺ : «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

وقال ﷺ : «الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها

اختلف».

وقال ﷺ : «مطل الغني ظلم».

وقال ﷺ : «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة».

وقال ﷺ : «استنزلوا الرزق بالصدقة».

وقال ﷺ : «ادفعوا البلاء بالدعاء».

وقال ﷺ : «جُبِلَت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء

إليها».

وقال ﷺ : «ما نقص مال من صدقة».

وقال عليه السلام: «لا صدقة وذو رحم محتاج».

وقال عليه السلام: «الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان».

وقال عليه السلام: «عفو الملك أبقى للملك».

وقال عليه السلام: «هبة الرجل لزوجته تزيد في عفتها».

وقال عليه السلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن أسرع الثواب على الخير اللين، وإن أسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وأن يعير الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤذي جلسيه بما لا يعنيه»^(٢).

وقال عليه السلام: «أنا زعيم بيت في أعلى الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في رياض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً»^(٣).

وقال عليه السلام: «قال حبيبي جبرئيل: إن مثل هذا الدين كمثل شجرة ثابتة، الإيمان أصلها، والصلاة عروقها، والزكاة ماؤها، والصوم سعتها، وحسن الخلق ورقها، والكف عن المحارم ثمرها، فلا تكمل شجرة إلا بالثمر، كذلك الإيمان لا يكمل إلا بالكف عن المحارم»^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا ابن آدم، لا ينسينك ذنب الناس عن ذنبك، ولا نعمة الناس عن نعمة الله عليك، ولا تقنط الناس من رحمة الله وأنت ترجوها لنفسك»^(٥).

(١) انظر من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٧٦-٢٨١ ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجزة التي لم يسبق إليها ح ٥٧٦٢-٥٨٣٢.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ٧١-٧٢ ب ٢ ف ٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٣٧ ب ١٣٥ ح ١٦١٨٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٨٨ ب ٩٢ ح ٤٠.

(٥) مشكاة الأنوار: ص ٧٢ ب ٢ ف ٣.

وقال النبي ﷺ : « ثلاث من لقي الله بهن دخل الجنة من أي باب شاء ، من حسن خلقه ، وخشي الله في المغيب والمحضر ، وترك المراء وإن كان محقاً »^(١).

وقال رسول الله ﷺ : « اتق الله حيث كنت ، وخالق الناس بخلق حسن ، وإذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحوها »^(٢).

وقال ﷺ : « أول عنوان صحيفة المؤمن بعد موته ما يقول الناس فيه ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وأول تحفة المؤمن أن يغفر له ولمن تبع جنازته .

ثم قال ﷺ : يا فضل ، لا يأتي المسجد من كل قبيلة إلا وافدها ، ومن كل أهل بيت إلا نجيبها .

يا فضل ، إنه لا يرجع صاحب المسجد بأقل من إحدى ثلاث : إما دعاء يدعو به يدخله الله به الجنة ، وإما دعاء يدعو به ليصرف الله به عنه بلاء الدنيا ، وإما أخ يستفيده في الله عز وجل .

ثم قال ﷺ : ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله عز وجل .

ثم قال : يا فضل ، لا تزهدوا في فقراء شيعتنا ؛ فإن الفقير منهم ليشفع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر .

ثم قال : يا فضل ، إنما سمي المؤمن مؤمناً ؛ لأنه يؤمن على الله فيجيز الله أمانه .

ثم قال : أما سمعت الله تعالى يقول في أعدائكم إذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾^(٣) »^(٤).

(١) وسائل الشيعية : ج ١٢ ص ٢٣٦ ب ١٣٥ ح ١٦١٨١ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٦٨ ص ٣٨٩ ب ٩٢ ح ٤٦ .

(٣) سورة الشعراء : ١٠٠-١٠١ .

(٤) الأملاني للطوسي : ص ٤٦-٤٧ المجلس ٢ ح ٢٦-٥٧ .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يا أبا ذر، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير لك من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، والنظر إلى وجه العالم خير لك من عتق ألف رقبة»^(١).
إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة^(٢).



وهذا آخر ما أردنا بيانه في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قم المقدسة
محمد الشيرازي

(١) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٥٢-١٥٣ ب ١٤٥ ح ١٠٥٢٩.

(٢) للتفصيل انظر (موسوعة الكلمة) كلمة الرسول الأعظم ﷺ، لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي
مكتبة ط دار العلوم.

الفهرس

٥	 المقدمة
٧	 ١: النسب الشريف
٨	 ٢: الولادة المباركة
٩	 ٣: رؤيا آمنة ؑ
١١	 ٤: إرهاصات الولادة
١٣	 ٥: أيام الرضاعة
١٦	 ٦: كفالة عبد المطلب وأبي طالب ؑ
١٨	 ٧: مع مجير الراهب
٢١	 ٨: الاستسقاء برسول الله ﷺ
٢٤	 ٩: حلف الفضول
٢٥	 ١٠: الزواج المبارك
٢٨	 ١١: الحجر الأسود
٢٩	 ١٢: غار حراء
٣١	 ١٣: المبعث الشريف
٣٤	 ١٤: القرآن الكريم
٣٧	 ١٥: هجرة الحبشة
٤١	 ١٦: عام الحزن
٤٢	 ١٧: رحلة الطائف
٤٥	 ١٨: بيعة العقبة الأولى والثانية
٤٨	 ١٩: الهجرة النبوية
٥٢	 ٢٠: حروب النبي ﷺ
٥٧	 ٢١: من أخلاق النبي ﷺ وآدابه

٢٢: قصص عن أخلاق النبي ﷺ	٦٥
٢٣: الشورى والاستشارة	٦٩
٢٤: العلم والعلماء	٧٧
٢٥: التعددية	٨٠
٢٦: الحريات الإسلامية	٨٢
٢٧: حقوق المعارضة	٨٤
٢٨: المرأة	٨٧
٢٩: اللاعنف	٨٩
٣٠: الزهد	٩١
٣١: الرحمة المهداة	٩٢
٣٢: الشعائر الدينية	٩٤
٣٣: الصلاة	٩٩
٣٤: مع العصاة والمذنبين	١٠١
٣٥: الرضا بما قدره الله	١٠٤
٣٦: إنه ﷺ خير البشر	١٠٥
٣٧: تحمل الصعاب	١٠٧
٣٨: الحث على الزواج	١١١
٣٩: مع الشباب	١١٧
٤٠: في تناول الفقراء	١١٨
٤١: الحياء والعفة	١٢١
٤٢: مخالفة الهوى	١٢٣
٤٣: تغيير الأسماء القبيحة	١٢٤
٤٤: التعامل مع الكفار	١٢٧
٤٥: لا للعصبيات	١٣٣
٤٦: التسامح	١٤٠
٤٧: تكريم الإنسان	١٤٧
٤٨: حق الناس	١٤٩

١٥٠	٤٩: حق الرعية.....
١٥١	٥٠: حق الحيوان.....
١٥٣	٥١: إكرام الوفود.....
١٥٦	٥٢: قصة الغدير.....
١٦٠	٥٣: العترة الطاهرة.....
١٦٤	٥٤: جيش أسامة.....
١٦٦	٥٥: استشهاد النبي ﷺ.....
١٦٧	٥٦: من الخطب الأخيرة.....
١٦٨	٥٧: في بيت فاطمة عليها السلام.....
١٧٠	٥٨: تجهيز النبي ﷺ.....
١٧٢	٥٩: زيارة الرسول ﷺ.....
١٧٥	٦٠: من روايات النبي ﷺ.....
١٨١	الفهرس.....

مؤلفات الإمام الشيرازي الراحل رحمته الله

حول الرسول الأعظم النبي الأكرم محمد بن عبد الله عليه السلام

- أسبوع المولد الشريف
- أول حكومة إسلامية في المدينة المنورة
- باقة عطرة في أحوال خاتم النبيين عليه السلام
- البعثة النبوية الشريفة
- حكومة الرسول عليه السلام والإمام أمير المؤمنين عليه السلام
- رسول الإسلام عليه السلام في مكة
- رسول الإسلام عليه السلام في المدينة، الجزء ١-٣
- السيرة الفواحة
- كذري کوتاه بر زندكي وزمان حضرت محمد عليه السلام / فارسي
- محمد عليه السلام والقرآن
- من حياة الرسول الأعظم عليه السلام
- من سيرة النبي الأكرم عليه السلام
- المولد النبوي الشريف
- هكذا حج رسول الله عليه السلام
- ولأول مرة في تاريخ العالم ج ١ و ٢
- ولكم في رسول الله عليه السلام أسوة

مِنْ حِكَايَةِ

الْإِمَامِ الرَّافِعِيِّ الْمُؤْمِنِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مِنْ حَيَاةِ

الْإِمَامِ الرَّافِعِيِّ الْمُؤْمِنِيِّ عليه السلام

المرجع الديني الراحل

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

أعلى الله درجاته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ

صدق الله العلي العظيم

سورة الفاتحة

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أما بعد، فهذا هو الجزء الثاني من سلسلة (من حياة المعصومين) صلوات الله عليهم أجمعين، ويتضمن إشارات مختصرة لجوانب من حياة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بإتباعه ومشايعته، وقال: «يا علي، أنت وشيعتك هم الفائزون»^(١).

أسأل الله تعالى التوفيق والقبول، إنه سميع مجيب.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

١٤١٠هـ

١

النسب الشريف

الاسم المبارك:

هو الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

الكنية الشريفة:

كنيته عليه السلام: أبو الحسن، وأبو الحسين، وأبو تراب، وأبو السبطين.

الألقاب الطاهرة:

لقبه عليه السلام: أمير المؤمنين، والمرتضى، والوصي، وحيدر، ويعسوب الدين، والكرار.

والده:

والد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: هو أبو طالب عليه السلام مؤمن قريش، وقد صرح بإيمانه في مواقفه الشجاعة التي دافع فيها عن رسول الله ﷺ وفي أبياته العديدة التي قالها في حق النبي محمد ﷺ.

وكان أبو طالب عليه السلام من أوائل من أسلم على يد رسول الله ﷺ هو وبنوه وأكثر أخوته وأخواته. أي أولاد عبد المطلب - وذلك بدعوة من النبي ﷺ، كما

قال:

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا^(١)
ولكنه لم يجاهر بإسلامه بأمر النبي ﷺ لكي يستطيع من حمايته ﷺ في
قبال مشرقي قريش ، لما كان يتمتع به أبو طالب من منزلة كبيرة عندهم.
كما أمر النبي ﷺ حمزة والعباس عليهما السلام بإخفاء إيمانهم في بدو بعثته ،
على تفصيل ذكرناه في بعض كتبنا^(٢).

وأبو طالب عليه السلام هو أخو عبد الله والد النبي ﷺ لأمه وأبيه.
وقد كفل أبو طالب عليه السلام رسول الله ﷺ صغيراً ، وقام بنصره وذبح عنه
كبيراً ، ومنعه من مشرقي قريش ، وصبر على نصره والقيام بأمره ، حتى أن
قريشاً لم تطمع في رسول الله ﷺ مادام أبو طالب عليه السلام في الحياة ، ولم يؤمر
النبي ﷺ بالهجرة إلا بعد وفاته.
قال الإمام الصادق عليه السلام :

« أول جماعة كانت أن رسول الله ﷺ كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن
أبي طالب عليه السلام معه ، إذ مر به أبو طالب وجعفر معه ، قال - لابنه جعفر - : يا بني
صِل جناح ابن عمك ، فلما أحسه رسول الله ﷺ تقدمهما ، وانصرف أبو
طالب مسروراً وهو يقول :

إن علياً وجعفرأ ثقتي عند ملم الزمان والكرب
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي^(٣)

(١) أبو طالب حامي الرسول ﷺ : ص ٥٢ و ٥٩ الطبعة الرابعة ١٣٨٠ هـ ، مطبعة الآداب - النجف الأشرف.

(٢) انظر كتاب : (من المساجد والمزارات في الحرمين الشريفين) ، (من حياة الرسول الأعظم ﷺ) ، للإمام الشيرازي قدس سره .

(٣) بحار الأنوار : ج ٣٥ ص ٦٨ ب ٣ ح ٢.

وكان أبو طالب عليه السلام يحث ابنه علياً عليه السلام ويحضه على نصره النبي صلى الله عليه وآله. قال علي عليه السلام: «قال لي: يا بني، الزم ابن عمك؛ فإنك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل - ثم قال لي -:

إن الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته على يديكا»^(١)

وروى الكراجكي: إن أبا جهل بن هشام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله ومعه حجر يريد أن يرميه به إذا سجد، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وآله رفع أبو جهل يده فيست على الحجر، فرجع وقد التصق الحجر بيده، فقال له أشياعه من المشركين: أجنبت؟

قال: لا، ولكني رأيت بيني وبينه كهية الفحل يخطر بذنبه.

فقال في ذلك أبو طالب عليه السلام هذه الآيات:

أفيقوا بني غالب وانتهوا	عن الغي في بعض ذا المنطق
والا فإنني إذا خائف	بواثق في داركم تلتقي
تكون لغابركم عبدة	ورب المغارب والمشرق
كما ذاق من كان من قبلكم	ثمود وعاد فمن ذا بقي
غداة أتتهم بها صرصر	وناقة ذي العرش إذ تستقي
فحل عليهم بها سخطة	من الله في ضربة الأزرق
غداة يعرض بعرقوبها	حسام من الهند ذورونق
وأعجب من ذاك في أمركم	عجائب في الحجر المصق
بكف الذي قام من جبنه	إلى الصابر الصادق المتقي
فأبيسه الله في كفه	على رغم ذي الخائن الأحمق ^(٢)

ومما يدل على إيمان أبي طالب عليه السلام بنبوته محمد صلى الله عليه وآله بل وبولاية ولده علي

عليه السلام ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن فاطمة بنت أسد (رحمها الله) جاءت إلى أبي طالب صلى الله عليه وآله تبشره بمولد النبي

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٧٥ اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب.

(٢) كنز الفوائد: ج ١ ص ١٧٢ فصل في ذكر شيء من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وبأمر آياته.

عليه السلام فقال لها أبو طالب: اصبري لي سبباً أتيك بمثله إلا النبوة..

- وقال عليه السلام -: السبب ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأmir المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة^(١).

والدته^(٢):

أم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد المطلب، وهي أول هاشمية تزوجها هاشمي.

وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الأم، حيث ربي النبي صلى الله عليه وآله في حجرها، وكان شاكراً لبرها وكان صلى الله عليه وآله يسميها أمي، وكانت تفضله على أولادها.

وكانت من السابقات إلى الإسلام، وهاجرت إلى المدينة مع الفواطم، ولما توفيت كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه وأمر من يحفر قبرها، فلما بلغوا لحدها حفره بيده واضطجع فيه، وقال: «اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد - ثم قال صلى الله عليه وآله -: إنها كانت من أحسن خلق الله صنيعاً إليَّ بعد أبي طالب»^(٣).

(١) معاني الأخبار: ص ٤٠٣ باب نوادر المعاني ح ٦٨.

(٢) للتفصيل انظر كتاب (من المساجد والمزارات في الحرمين الشريفين) للإمام الشيرازي رحمه الله.

(٣) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٧٩-١٨٠ ب ٣.

٢

النفطة الطاهرة

خلق الله عز وجل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من نفس النور الذي خلق منه محمداً صلى الله عليه وآله ، فعن سلمان الفارسي رحمه الله قال : سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق الله عز وجل آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم عليه السلام قسم ذلك النور جزئين ، فجاء أنا وجزء علي »^(١). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا علي ، خلُق الناس من شجر شتى ، وخلقنا أنا وأنت من شجرة واحدة ، أنا أصلها وأنت فرعها ، والحسن والحسين أغصانها ، وشيعتنا ورقها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الله الجنة »^(٢). كما أن نفطة الإمام عليه السلام انعقدت من ثمار الجنة - ففي خبر طويل - : « إن فاطمة بنت أسد عليها السلام رأت النبي صلى الله عليه وآله يأكل تمرًا له رائحة تزداد على كل الأطياب من المسك والعنبر ، من نخلة لا شماريخ لها ، فقالت : ناولني أنل منها . قال : لا تصلح إلا أن تشهدي معي أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله . فشهدت الشهادتين فناولها ، فأكلت فازدادت رغبته وطلبت أخرى لأبي طالب عليه السلام ، فعاهدها أن لا تعطيها إلا بعد الشهادتين .. فلما جن عليه الليل اشتم أبو طالب عليه السلام نسيماً ما اشتم مثله قط ، فأظهرت ما معها فالتمسها منها فأبت عليه إلا أن يشهد الشهادتين ، فلم يملك نفسه أن شهد الشهادتين ، غير أنه سألها أن تكتم عليه لئلا تعيره قريش ، فعاهدته على ذلك فأعطته ما معها ، وآوى إلى زوجته فعلقته بعلي عليه السلام في تلك الليلة ... ولما حملت بعلي عليه السلام ازداد حسنهما ، فكان يتكلم في بطنها ... »^(٣).

(١) العملة : ج ٢٠٩ ف ٢٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ٢ ص ٧٣ ب ٣١ ح ٣٤٠.

(٣) المناقب : ج ٢ ص ١٧٢ فصل في آثار حمله وكيفية ولادته.

الولادة المباركة

وُلد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في الكعبة المشرفة، ولم يولد بها ولن يُولد فيها غيره، إكراماً من الله عز وجل له عليه السلام. وكانت ولادته عليه السلام يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة.

قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: «رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكُتُب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي». قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز وجل.

ثم خرجت بعد الرابع وببيدها أمير المؤمنين عليه السلام ثم قالت: «إني فضلت على من تقدمني من النساء؛ لأن آسية بنت مزاحم عليها السلام عبت الله عز وجل سراً في موضع لا يجب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران عليها السلام هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنيّاً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرواقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سميه علياً فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه»^(١).

٤

الاسم الشريف

إن الله عزوجل هو الذي اختار اسم (علي) لأمير المؤمنين عليه السلام ، كما ظهر مما مر من الحديث الشريف ، حيث قال الهاتف : «يا فاطمة ، سميه علياً فهو علي ، والله العلي الأعلى يقول : إني شققتُ اسمه من اسمي»^(١) .
وكذلك حينما توجه أبو طالب عليه السلام إلى السماء منادياً : «يا رب ، اختر لهذا المولود اسماً» .

ففي الحديث : «أنه لما ولد علي عليه السلام أخذ أبو طالب عليه السلام بيد فاطمة عليها السلام - بنت أسد - وعلي عليه السلام على صدره ، وخرج إلى الأبطح ونادى :

يا رب يا ذا الغسق الدجي والقمر المبتلج المضي
بين لنا من حكمك المقضي ماذا ترى في اسم ذا الصبي
قال : فجاء شيء يدب على الأرض كالسحاب حتى حصل في صدر أبي طالب فضمه مع علي إلى صدره ، فلما أصبح إذا هو بلوح أخضر فيه مكتوب :

خصصتما بالولد الزكي والطاهر المنتجب الرضي
فاسمه من شامخ علي علي اشتق من العلي
قال : فعلقوا اللوح في الكعبة ، وما زال هناك حتى أخذه هشام بن عبد الملك^(٢) .

وقد أشرنا إلى بعض أسماء الإمام عليه السلام وكناه وألقابه ، وكلها تدل على عظيم فضله ومقامه عند الله عزوجل .

(١) الأماشي للصديق : ص ١٣٢-١٣٣ المجلس ٢٧ ح ٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٣٥ ص ١٨-١٩ ب ١ ضمن ح ١٤ .

عن عباية بن ربعي، قال: قلت لعبد الله بن عباس: لِمَ كُنِيَ رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أبا تراب؟.

قال: لأنه صاحب الأرض، وحجة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها، وإليه سكونها، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشعبة علي عليه السلام من الثواب والزلفى والكرامة يقول: يا ليتني كنت ترابياً، أي يا ليتني من شعبة علي، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾»^(١) ^(٢).

النبي صلى الله عليه وآله يريبه عليه السلام ويغذيه

في الحديث: «إن فاطمة بنت أسد عليها السلام ولدت علياً عليه السلام ولرسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثون سنة، وأحبه رسول الله صلى الله عليه وآله حباً شديداً. وقال لها: اجعلي مهده بقرب فراشي. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يلي أكثر تربيته، وكان يطهر علياً عليه السلام في وقت غسله، ويؤجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره، ويقول: هذا أخي ووليي، وناصري وصفيي، وذخري وكهفي، وظهري وظهيري، ووصيي وزوج كريمي، وأميني على وصيتي وخليفتي، وكان يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها»^(١).

وفي الحديث: «أنه انفتح البيت من ظهره ودخلت فاطمة فيه، ثم عادت الفتحة والتصقت وبقيت فيه ثلاثة أيام، فأكلت من ثمار الجنة، فلما خرجت قال علي عليه السلام - لأبي طالب عليه السلام - : السلام عليك يا أبة ورحمة الله وبركاته، ثم تنح وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) الآيات. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قد أفلحوا بك، أنت والله أميرهم، تديرهم من علمك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك والله يهتدون».. ووضع رسول الله صلى الله عليه وآله لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عينا...»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٩-١٠ ب ١ ضمن ح ١١.

(٢) سورة المؤمنون: ١.

(٣) المناقب: ج ٢ ص ١٧٤ فصل في آثار حملته وكيفية ولادته.

وقال علي عليه السلام في خطبته المسماة بالقاصعة:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حَجَرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنِي عَرَفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ إِتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ ﷺ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ»^(١).

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال:

«أَنَا أَدِيبُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدِيبِي، أَمَرَنِي رَبِّي بِالسَّخَاءِ وَالْبِرِّ، وَنَهَانِي عَنِ الْبَخْلِ وَالْجَفَاءِ، وَمَا شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْبَخْلِ وَسُوءِ الْخُلُقِ، وَإِنَّهُ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الطِّينَ الْعَسَلُ»^(٢).

(١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٩٢ ومن خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة، وهي تتضمن ذم إبليس (لعنه الله) على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام، وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٣١ ب ٩ ضمن ح ٣٥.

أول المسلمين والمؤمنين

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام أول من أسلم وآمن بنبوة رسول الله ﷺ من الرجال والنساء. ولم يسجد لصنم قط.

وقد دل على ذلك ما تواتر عند الفريقين، مضافاً إلى شواهد من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وأقوال أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، وأقوال الصحابة والمحدثين والمؤرخين، ما تكل الأعلام وتعجز عن تسطيره.

شواهد من القرآن:

عن ابن عباس في قوله تعالى جل ذكره: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١)، قال:

سابق هذه الأمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

وعن ابن عباس:

(إنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، سبق والله كل أهل الإيمان إلى الإيمان، ثم قال: والسابقون كذلك يسبق العباد يوم القيامة إلى الجنة)^(٣).

وعن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾^(٤)، قال: نزلت في علي عليه السلام، سبق الناس كلهم بالإيمان بالله وبرسوله ﷺ، وصلى القبلتين، وبابيع البيعتين، وهاجر الهجرتين، ففيه نزلت هذه الآية^(٥).

(١) سورة الواقعة: ١٠-١١.

(٢) تفسير فوات الكوفي: ص ٤٦٣ ومن سورة الواقعة ح ٦٠٥.

(٣) المناقب: ج ٢ ص ٥ فصل في المسابقة بالإسلام.

(٤) سورة التوبة: ١٠٠.

(٥) شواهد التنزيل: ج ١ ص ٣٣٦ ومن سورة التوبة ح ٣٤٦.

وروى أصحابنا عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾،
نزلت في رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهما أول من صلى وركع^(١).

وعن ابن عباس، قال: مما نزل من القرآن خاصة في رسول الله ﷺ وعلي
عليه السلام وأهل بيته عليه السلام من سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢) نزلت في علي عليه السلام
خاصة، وهو أول مؤمن وأول مصل بعد رسول الله ﷺ^(٣).

وعن ابن عباس، في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ
الَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾^(٤) فأول من صلى مع رسول
الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام^(٥).

وعن ابن عباس - في خبر يذكر فيه كيفية بعثة النبي ﷺ - ثم قال: بينا رسول
الله ﷺ قائم يصلي مع خديجة عليها السلام إذ طلع عليه علي بن أبي طالب عليه السلام.
فقال له: «ما هذا يا محمد؟». قال: «هذا دين الله». فأمن به وصدقه، ثم كانا
يصليان ويركعان ويسجدان، فأبصرهما أهل مكة ففشوا الخبر فيهم أن محمداً قد
جن، فنزل:

﴿وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾^(٦).

وقال ابن مسعود: قال علي عليه السلام: «يا رسول الله، ما أقول في السجود في
الصلاة؟». فنزل: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾^(٨). قال: «فما أقول في الركوع؟».

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٠١ ب ٦٥ ح ١.

(٢) سورة البقرة: ٨٢.

(٣) شواهد التنزيل: ج ١ ص ١١٧ ومن سورة البقرة ح ١٢٧.

(٤) سورة المزمل: ٢٠.

(٥) المناقب: ج ٢ ص ١٤ فصل في المسابقة بالصلاة.

(٦) سورة القلم: ١-٢.

(٧) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٠٢ ب ٦٥ ضمن ح ١.

(٨) سورة الأعلى: ١.

فتزل: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(١)، فكان أول من قال ذلك^(٢).

شواهد من السنة النبوية

في (أسد الغابة): عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد صلت الملائكة عليّ وعلى عليّ عليه السلام سبع سنين؛ وذلك أنه لم يصل معي رجل غيره»^(٣).

وعن عمر بن الخطاب، قال: كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة وجماعة، إذ ضرب النبي ﷺ منكب علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى»^(٤).

وعن ابن عباس: قال النبي ﷺ: «أول من صلى معي عليّ عليه السلام»^(٥).

وعن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «يا علي، أنت أول المسلمين إسلاماً، وأول المؤمنين إيماناً»^(٦).

وعن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «علي أول من آمن بي وصدقني»^(٧).

وأخرج أبو نعيم في (حليته) قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «لك سبع خصال لا يحاجك أحد فيهن يوم القيامة: أنت أول المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم بالرعية، وأقسّمهم بالسوية، وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم يوم القيامة مزية»^(٨).

(١) سورة الواقعة: ٩٦ و ٩٧، سورة الحاقة: ٥٢.

(٢) المناقب: ج ٢ ص ١٥ فصل في المسابقة بالصلاة.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير: ج ٤ ص ١٨.

(٤) ينابيع المودة لذوي القربى، للقدوزي: ج ٢ ص ١٤٦ ب ٥٦ ذكر فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ح ٤٠٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٠٢ ب ٦٥ ضمن ح ١.

(٦) المناقب: ج ٢ ص ٦ فصل في المسابقة بالإسلام.

(٧) المناقب: ج ٢ ص ٦ فصل في المسابقة بالإسلام.

(٨) الصراط المستقيم: ج ١ ص ٣٣٠-٣٣١ ب ٩.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «سَبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ، لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَصَاحِبُ يَاسِينَ، وَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، فَهُمُ الصَّدِيقُونَ. وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُهُمْ»^(١).

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ صَلَّتْ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيٍّ سَبْعَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَسْلَمَ بَشَرٌ»^(٢).

وفي مناقب الخوارزمي، عن بريدة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قُمْ بِنَا يَا بَرِيدَةُ نَعُودُ فَاطِمَةَ» عليه السلام. فلما أن دخلنا عليها أبصرت أبابها دمعت عينها. قال عليه السلام: «مَا يَبْكِيكَ يَا ابْنَتِي؟».

قالت: «قِلَّةُ الطَّعْمِ، وَكَثْرَةُ الْهَمِّ، وَشِدَّةُ السَّقَمِ».

قال عليه السلام لها: «أَمَّا وَاللَّهِ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا تَرْغِبِينَ إِلَيْهِ. يَا فَاطِمَةُ، أَمَّا تَرْضَيْنِ أَنِّي زَوْجَتُكَ خَيْرَ أُمْتِي: أَقْدَمُهُمْ سَلَامًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا، وَاللَّهِ إِنْ أَبْنَيْكَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣).

وعن ابن مسكان، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أُمْتِي عَرَضَتْ عَلَيَّ فِي الْمِيثَاقِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي عَلِيٌّ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَنِي حِينَ بَعَثْتُ، وَهُوَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ، وَالْفَارُوقُ يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ»^(٤).

وعن أنس بن مالك، أنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنْ أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرُودًا عَلَيَّ أَوَّلُهَا إِسْلَامًا، وَإِنْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلُهَا إِسْلَامًا»^(٥).

(١) راجع بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية: ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٨٤ ومن سورة حم المؤمن ح ٨١٨.

(٣) كشف الغمة: ج ١ ص ١٤٩ في بيان أنه عليه السلام أفضل الأصحاب.

(٤) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤١ من سورة الأعراف ح ١١٥.

(٥) كنز الفوائد: ج ١ ص ٢٦٣ فصل من البيان عن أن أمير المؤمنين عليه السلام أول بشر سبق إلى الإسلام بعد خديجة عليها السلام.

أقوال أمير المؤمنين عليه السلام:

قال علي عليه السلام: «كنت أول الناس إسلاماً، بُعث عليه السلام يوم الاثنين وصليت معه يوم الثلاثاء، وبقيت معه أصلي سبع سنين حتى دخل نفر في الإسلام»^(١).
وفي (تاريخ بغداد)، و(الرسالة القوامية)، و(مسند الموصلي)، و(خصائص النطنزي)، أنه قال حبة العرنى: قال علي عليه السلام: «بُعث النبي عليه السلام يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء»^(٢).

وقال أحمد بن حنبل في (مسند العشرة)، وفي (الفضائل) أيضاً، والنسوي في (المعرفة)، والترمذي في (الجامع)، وابن بطة في (الإبانة): روى علي بن الجعد، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن حبة العرنى، قال: سمعت علياً يقول: «أنا أول من صلى مع رسول الله عليه السلام»^(٣).
وفي (مسند أبي يعلى) عن علي عليه السلام: «ما أعلم أحداً من هذه الأمة بعد نبينا عبد الله غيري»^(٤).

وفي (مسند أحمد بن حنبل)، عن عبد الله بن عباس، قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها غيري إلا كاذب مفتر، ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين»^(٥).

أقوال الصحابة:

في (تاريخ النسوي)، قال زيد بن أرقم: «أول من صلى مع رسول الله عليه السلام علي»^(٦).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٠٩ ب ٦٥ ح ٥.

(٢) المناقب: ج ٢ ص ٧ فصل في المسابقة بالإسلام.

(٣) المناقب: ج ٢ ص ١٥ فصل في المسابقة بالصلاة.

(٤) المناقب: ج ٢ ص ١٥ فصل في المسابقة بالصلاة.

(٥) كشف اليقين: ص ١٦٧ ف ٣ ب ١ المطلب الثاني، المبحث الثالث.

(٦) المناقب: ج ٢ ص ١٤ فصل في المسابقة بالصلاة.

وفي (جامع الترمذي) و(مسند أبي يعلى الموصلي)، عن أنس. و(تاريخ الطبري)، عن جابر، قالاً: بُعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام يوم الثلاثاء^(١).

قال أبو المؤيد: وبهذا الإسناد، عن محمد بن إسحاق: إن أول ذكر آمن برسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام، وصدق بما جاء به عن الله تعالى، وعمره يومئذ عشر سنين، وكان من نعمة الله عليه أنه ربي في حجره ﷺ^(٢).

وعن مروان وعبد الرحمن التميمي، قالوا: مكث الإسلام سبع سنين ليس فيه إلا ثلاثة: رسول الله، وخديجة، وعلي^(٣).

وعن جابر بن الحر، عن عبد الرحمن بن ميمون، عن أبيه، قال: سمعت ابن عباس يقول: أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال علي، ومن النساء خديجة (رضوان الله عليهم)^(٤).

وفي سنن ابن ماجه، وتفسير الثعلبي، عن عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه: أن علياً صلى مستخفياً مع النبي ﷺ سبع سنين وأشهر^(٥).

وقال ابن البيع في (معركة أصول الحديث): لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أن علي بن أبي طالب عليه السلام أول الناس إسلاماً^(٦).

(١) المناقب: ج ٢ ص ١٤ فصل في المسابقة بالصلاة.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٧٩ ما جاء في إسلامه وسبقه وسنه يومئذ.

(٣) المناقب: ج ٢ ص ٧ فصل في المسابقة بالإسلام.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢١١ ب ٦٥ ح ١٢.

(٥) المناقب: ج ٢ ص ١٦ فصل في المسابقة بالصلاة.

(٦) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٣٥ ب ٦٥.

٧

ليلة المبيت

روى المفسرون أن قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(١) أنزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت على الفراش.

وقال رسول الله ﷺ: «لو وزن عمل علي عليه السلام ليلة المبيت بأعمال الخلائق لرجح»^(٢).

وفي (الخصال): قال أئمة المؤمنين عليهم السلام في جواب اليهودي الذي سأل عما فيه من علامات الأوصياء: فقال فيما قال: «وأما الثانية يا أبا اليهود، فإن قريشاً لم تزل تخيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبي ﷺ حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم الدار دار الندوة وإبليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتي النبي ﷺ وهو نائم على فراشه فيضربوه جميعاً بأسيا فهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، فإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها فيمضي دمه هدرًا..

فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ فأنبأه بذلك، وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها والساعة التي يأتون فراشه فيها وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار، فأخبرني رسول الله ﷺ بالخبر وأمرني أن أضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً لنفسي بأن أقتل دونه. فمضى ﷺ لوجهه واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٧٢ ب ٩ ف ١٢.

موقنة في أنفسها أن تقتل النبي ﷺ فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس»^(١).

وروي: أن المشركين ضربوا علياً عليه السلام وحبسوه ساعة ثم تركوه^(٢).

وعن أنس بن مالك، قال: «لما توجه رسول الله ﷺ إلى الغار ومعه أبوبكر، أمر النبي ﷺ علياً عليه السلام أن ينام على فراشه ويتغشى ببردته. فبات علي عليه السلام موطناً نفسه على القتل، وجاءت رجال قریش من بطونها يريدون قتل رسول الله ﷺ، فلما أرادوا أن يضعوا عليه أسياهم لا يشكون أنه محمد فقالوا: أيقظوه ليجد ألم القتل ويرى السيوف تأخذه. فلما أيقظوه فأرأه علياً تركوه وتفرقوا في طلب رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٣)»^(٤).

وروى الفريقان: «أن ليلة بات علي بن أبي طالب عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: أني أخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بحياته؟»

فاختار كل منهما الحياة وأحبها، فأوحى الله تعالى إليهما:

«أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب عليه السلام أخيت بينه وبين محمد ﷺ فبات

على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبرئيل عليه السلام ينادي: بخ بخ

من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة، فأنزل الله عز وجل:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ

(١) الخصال: ج ٢ ص ٣٦٦-٣٦٧ امتحان الله عز وجل أوصياء الأنبياء في حياة الأنبياء في سبعة مواطن وبعد

وفاتهم في سبعة مواطن ح ٥٨

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣٩ ب ٦ ح ٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٤) الأمالي للطوسي: ص ٤٤٦-٤٤٧ المجلس ١٦ ح ٩٩٨.

بِإِعْبَادِ^(١)»^(٢).

وكان دعاء أمير المؤمنين ع ليلة المبيت على فراش النبي ﷺ :

«أَمْسَيْتُ اللَّهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمَامِكَ الْمُنِيعِ الَّذِي لَا يُطَاوِلُ وَلَا يُحَاوِلُ، مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاشِمٍ وَطَارِقٍ، مِنْ سَائِرِ مَنْ خَلَقْتَ وَمَا خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ، فِي جُنَّةٍ مِنْ كُلِّ مَخَوْفٍ بَلْبَاسٍ سَابِغَةٍ بِوَلَاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُحْتَجِباً مِنْ كُلِّ قَاصِدٍ لِي بِأَذِيَةٍ، بِجِدَارِ حَصِينِ الْإِخْلَاصِ فِي الْاعْتِرَافِ بِحَقِّهِمْ وَالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِهِمْ، مُوقِناً أَنَّ الْحَقَّ لَهُمْ وَمَعَهُمْ وَفِيهِمْ وَبِهِمْ، أَوْالِيٍّ مِنْ وَالِيٍّ وَأَجَانِبٍ مِنْ جَانِبِيٍّ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعِزَّنِي اللَّهُمَّ بِهِمْ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا أَتَّقِيهِ، يَا عَظِيمُ حُجَزَتِ الْأَعَادِي عَنِّي بِبَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنَّا جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»^(٣).

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٢٣ ومن سورة البقرة ح ١٣٣.

(٣) البلد الأمين: ص ٢٧-٢٨ ثم تدعو بدعاء العشرات عند المساء والصباح.

٨

الزواج المبارك

تزوج أمير المؤمنين علي عليه السلام بسيدة نساء العالمين الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولولاه لم يكن لها كفوف. وقد زوجّه الله في سماواته ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله بتزويجها.

وقد خطب فاطمة عليها السلام العديد من الصحابة فلم يزوجه النبي صلى الله عليه وآله أحداً، وقال صلى الله عليه وآله: «إن أمرها بيد ربها، وما أنا زوجتها بعلي بل الله زوجها»^(١). وقال صلى الله عليه وآله: «ما زوجت فاطمة إلا بعدما أمرني الله عزوجل بتزويجها»^(٢). وعن أبي عبد الله عليه السلام: «لولا أن الله خلق أمير المؤمنين لفاطمة عليها السلام ما كان لها كفوف على الأرض»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليه السلام، عن علي عليه السلام، قال: «لقد هممت بتزويج فاطمة عليها السلام ابنة محمد صلى الله عليه وآله، ولم أتجرأ أن أذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله، وإن ذلك ليختلج في صدري ليلي ونهاري حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: يا علي. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: هل لك في التزويج؟»

قلت: رسول الله أعلم. وإذا هو يريد أن يزوجني بعض نساء قریش وإني لخائف على فوت فاطمة، فما شعرت بشيء إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: أجب النبي صلى الله عليه وآله وأسرع. فما رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله أشد فرحاً منه اليوم. قال: فأتيته مسرعاً فإذا هو في حجرة أم سلمة، فلما نظر إليّ تهلل وجهه فرحاً وتبسم حتى نظرت إلى بياض أسنانه يبرق، فقال: أبشري يا علي؛ فإن الله عزوجل قد كفاني ما قد كان أهمني من أمر تزويجك.

(١) راجع كشف اليقين: ص ١٩٥ ب ٢ المبحث الثاني.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٠٤ ح ١٦.

(٣) بشارة المصطفى: ص ٢٦٧.

فقلت : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها فناولنيهما فأخذتهما وشممتهما ، فقلت : ما سبب هذا السنبل والقرنفل ؟ فقال : إن الله تبارك وتعالى أمر سكان الجنان من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها ، وأمر ريحها فهبت بأنواع العطر والطيب ، وأمر حور عينها بالقراءة فيها بسورة طه وطواسين ويس وحمعسق ، ثم نادى مناد من تحت العرش : ألا إن اليوم يوم وليمة علي بن أبي طالب عليه السلام ، ألا إني أشهدكم أني قد زوجت فاطمة بنت محمد من علي بن أبي طالب رضاً مني بعضهما لبعض .

ثم بعث الله تبارك وتعالى سحابة بيضاء فقطرت عليهم من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها ، وقامت الملائكة فنثرت من سنبل الجنة وقرنفلها ، هذا مما نثرت الملائكة . ثم أمر الله تبارك وتعالى ملكاً من ملائكة الجنة يقال له : راحيل . وليس في الملائكة أبلغ منه . فقال : اخطب يا راحيل . فخطب بخطبة لم يسمع بمثلها أهل السماء ولا أهل الأرض ، ثم نادى مناد : ألا يا ملائكتي وسكان جنتي باركوا على علي بن أبي طالب حبيب محمد ، وفاطمة بنت محمد فقد باركت عليهما ، ألا إني قد زوجت أحب النساء إليّ من أحب الرجال إليّ بعد النبيين والمرسلين . فقال راحيل الملك : يا رب ، وما بركتك فيهما بأكثر مما رأينا لهما في جناتك ودارك . فقال عزوجل : يا راحيل ، إن من بركتي عليهما أن أجمعهما على محبتي واجعلهما حجة على خلقي ، وعزتي وجلالي لأخلقن منهما خلقاً ، ولأنشأن منهما ذرية أجعلهم خزاني في أرضي ، ومعادن لعلمي ، ودعاة إلى ديني ، بهم أحتج على خلقي بعد النبيين والمرسلين .

فأبشر يا علي ؛ فإن الله عزوجل أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً ، وقد زوجتك ابنتي فاطمة على ما زوجك الرحمن ، وقد رضيت لها بما رضي الله لها ، فدونك أهلك فإنك أحق بها مني . ولقد أخبرني جبرئيل عليه السلام أن الجنة

مشتاقة إليكما، ولولا أن الله عزوجل قدر أن يخرج منكما ما يتخذة على الخلق حجة لأجاب فيكما الجنة وأهلها، فنعم الأخ أنت، ونعم الختن أنت، ونعم الصاحب أنت، وكفأك برضا الله رضا.

قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله، بلغ من قدري حتى أني ذكرت في الجنة وزوجني الله في ملائكته. فقال: إن الله عزوجل إذا أكرم وليه وأحبه أكرمه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فحبها الله لك يا علي.

فقال علي عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾^(١).
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: آمين^(٢).

وعن جابر بن عبد الله، قال: لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام، أتاه أناس من قريش فقالوا: إنك زوجت علياً بمهر خسيس!
فقال: «ما أنا زوجت علياً ولكن الله عزوجل زوجة ليلة أسرى بي عند سدرة المنتهى، أوحى الله إلى السدرة أن انثري ما عليك فنثرت الدر والجوهر والمرجان، فابتدر الحور العين فالتقطن فهن يتهادينه ويتفاخرن ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله». فلما كانت ليلة الزفاف أتى النبي صلى الله عليه وآله ببغلة الشهباء وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة عليها السلام: «اركبي». وأمر سلمان أن يقودها والنبي صلى الله عليه وآله يسوقها، فبينما هو في بعض الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وجبة فإذا هو بجبرئيل في سبعين ألفاً وميكائيل في سبعين ألفاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما أهبطكم إلى الأرض؟». قالوا: «جئنا نرف فاطمة إلى علي بن أبي طالب».
فكبر جبرئيل وكبر ميكائيل وكبرت الملائكة وكبر محمد صلى الله عليه وآله، فوقع التكبير على العرائس من تلك الليلة^(٣).

(١) سورة النمل: ١٩، سورة الأحقاف: ١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٠١-١٠٣ ب ٥ ح ١٢.

(٣) دلائل الإمامة: ص ٢٣-٢٤ خبر ليلة الزفاف.

المؤاخاة

الأخوة من الأسس التي سنّها رسول الله ﷺ في المجتمع الإسلامي، فجعل المسلمين بعضهم أخوة بعض، والمؤمنين كذلك، وكذلك المسلمات والمؤمنات أخوات. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١).

وقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين مرةً، وآخى بين المهاجرين والأنصار مرة ثانية، ولم يختار لنفسه أخاً غير علي عليه السلام فقال له في كل منهما: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(٢).

وربما يستفاد من بعض التواريخ أن النبي ﷺ آخى بين المسلمين ثلاث مرات بل أكثر.

فمضافاً إلى ما سبق روي أنه ﷺ آخى بين الأنصار والأنصار أيضاً. وروي أن النبي ﷺ كان بالنخيلة وحوله سبعمائة وأربعون رجلاً، فنزل جبرئيل وقال: «إن الله تعالى آخى بين الملائكة، وبينني وبين ميكائيل، وبين إسرافيل وبين عزرائيل، وبين دردايل وبين راحيل»، فأخى النبي ﷺ بين أصحابه^(٣).

كما آخى رسول الله ﷺ بين المسلمين يوم بيعة العشيرة بمكة، ويوم الثاني عشر من شهر رمضان في العام الثاني من الهجرة في المدينة المنورة، ويوم المباهلة الرابع والعشرين من ذي الحجة في العام العاشر من الهجرة، وغيرها. وكان ﷺ

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٠٩ ملك في سورة الديك.

(٣) المناقب: ج ٢ ص ١٨٥ فصل في الإخوة.

في كل مرة يترك أمير المؤمنين عليه السلام ولا يؤاخي بينه وبين أحد، فاعتم أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك فقال عليه السلام: «يا رسول الله، بأبي أنت وأمي لم لا تؤاخي بيني وبين أحد؟». فقال رسول الله ﷺ: «والله يا علي ما حبستك إلا لنفسي، أما ترضى أن تكون أخي وأنا أخوك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت وصيي ووزير وخليفتي في أمتي، تقضي ديني، وتنجز عداوتي، وتتولى عليّ غسلي ولا يليه غيرك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». فاستبشر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك^(١).

وعن زيد بن أرقم، قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «إني مؤاخ بينكم كما أخى الله تعالى بين الملائكة»، ثم قال لعلي عليه السلام: «أنت أخي ورفيقي» ثم تلا هذه الآية: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٢) الأخلاء في الله ينظر بعضهم إلى بعض^(٣).

وعن حذيفة بن اليمان، قال: أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كان يؤاخي بين الرجل ونظيره، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «هذا أخي». قال حذيفة: فرسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له شبيه ولا نظير، وعلي عليه السلام أخوه^(٤).

وعن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٥) أخى رسول الله ﷺ بين الأشكال والأمثال. فأخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن، وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري،

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٠٩.

(٢) سورة الحجر: ٤٧.

(٣) كشف الغمة: ج ١ ص ٣٢٨ في ذكر المواخاة له عليه السلام.

(٤) كشف الغمة: ج ١ ص ٣٢٩ في ذكر المواخاة له عليه السلام.

(٥) سورة الحجرات: ١٠.

وبين أبي ذر وابن مسعود، وبين سلمان وحذيفة، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي الدرداء وبلال، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمار، وبين عائشة وحفصة، وبين زينب بنت جحش وميمونة، وبين أم سلمة وصفية، حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم^(١).

وعن أنس، قال: لما كان يوم المباهلة آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وعليه السلام واقف يراه ويعرف مكانه ولم يؤاخ بينه وبين أحد. فانصرف علي باكي العين فافتقده النبي ﷺ فقال: «ما فعل أبو الحسن؟». قالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله. قال: «يا بلال، اذهب فائتني به». فمضى بلال إلى علي عليه السلام وقد دخل منزله باكي العين، فقالت فاطمة عليها السلام: «ما يبكيك، لا أبكى الله عينيك». قال: «يا فاطمة، آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني، ولم يؤاخ بيني وبين أحد». قالت عليها السلام: «لا يحزنك الله، لعله إنما ادخرك لنفسه». فقال بلال: «يا علي، أجب النبي ﷺ». فأتى علي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «ما يبكيك يا أبا الحسن؟». فقال: «واخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني، ولم تؤاخ بيني وبين أحد». قال: «إنما ذخرتك لنفسي، ألا يسرك أن تكون أخا نبيك». قال: «بلى يا رسول الله أنى لي بذلك». فأخذه بيده فأرقاه المنبر فقال: «اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا أنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فعلي مولاه». قال: فانصرف علي عليه السلام قرير العين، فاتبعه عمر فقال: بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مسلم^(٢).

(١) المناقب: ج ٢ ص ١٨٥ فصل في الإخوة.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٣٢٨ في ذكر المواخاة له عليه السلام.

أخلاق الإمام عليه السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام قمةً في الأخلاق الحسنة والمعاشرة الطيبة، كما كان رسول الله ﷺ تماماً، فكان يُكرم الجميع ويقضي حوائجهم، حتى بالنسبة إلى قاتله فإنه أكرمه أحسن الإكرام.

هدايا إلى قاتله

في التاريخ أن أمير المؤمنين عليه السلام أخبر ابن ملجم بأنه قاتله، ولكن لم يمنعه ذلك من إكرامه، حيث أمر عليه السلام له بخلعة سنية وعمامتين وفرسين وسيفين ورحلين، فسار ابن ملجم إلى بلده^(١).

وقال ابن ملجم لقطام عند ما أرادت منه أن يقتل علياً عليه السلام: ويلك إنه عليه السلام قد أعزني وأكرمني وأحبني ورفعني وآثرني على غيري، فلا يكون ذلك جزاؤه مني أبداً. ولكنها خدعته حتى ارتكب ما ارتكب من عظيم الجرم^(٢).

ومرة أراد ابن ملجم من أمير المؤمنين عليه السلام حاجة، فقضاها له، حيث خرج ابن ملجم وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأخبره بما جاء إليه لأجله، وسأله أن يكتب إلى ابن المنتجب كتاباً ليعينه على استخلاص حقه، فأمر كاتبه فكتب له ما أراد، ثم أعطاه فرساً من جياد خيله، فخرج^(٣).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٦٣ ب ١٢٧.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٦٦ ب ١٢٧.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٦٧ ب ١٢٧.

سخاء الإمام عليه السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام أسخى الناس بعد رسول الله ﷺ ، حتى قال في حقه معاوية : « لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبناً لأنفق تبره قبل تبنيه »^(١).

وقد أعتق الإمام عليه السلام ألف عبد من كسب يده ، ولم يقل لسائل : لا ، قط . وكان عليه السلام يصوم ويطوي ويؤثر بزاده ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ فَوْقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ الآيات^(٢).

وروى المفسرون^(٣) أنه عليه السلام لم يكن يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانية ، فنزل فيه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٤).

وروي أنه عليه السلام كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجراً^(٥).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام هشاً بشاً يتبسم في وجوه المؤمنين ، حتى قال معاوية لقيس بن سعد : رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاكة ، قال قيس : نعم كان رسول الله ﷺ يمزح ويبسم إلى أصحابه^(٦).

(١) شرح نهج البلاغة : ج ١ ص ٢٢ القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله .

(٢) سورة الإنسان : ٨ - ١٢ .

(٣) تفسير العياشي : ج ١ ص ١٥٦ من سورة البقرة ح ٥٠٢ .

(٤) سورة البقرة : ٢٧٤ .

(٥) شرح نهج البلاغة : ج ١ ص ٢٢ القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله .

(٦) راجع بحار الأنوار : ج ٤١ ص ١٤٧ ب ١٠٧ .

صف لي علياً عليه السلام

في (إرشاد القلوب) قال: دخل ضرار بن ضمرة الليثي على معاوية، فقال له: صف لي علياً؟.

فقال: أ ولا تعفيني عن ذلك.

فقال: لا أعفيك.

فقال: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنف بالليل ووحشته. كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، ويناجي ربه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب. كان والله فينا كأحدنا، يدنينا إذا سألناه، وكنا مع دنوه منا وقربنا منه لا نكلمه لهيبته، ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، فإن تبسم ظهر أسنانه مثل اللؤلؤ المنظوم. يقرب أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله^(١)، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغازت نجومه، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تملل السقيم، ويبكي بكاء الحزين، فكأنني الآن أسمعه وهو يقول: «يا دنيا، يا دنيا، أ بي تعرضت، أم إليَّ تشوقت، هيهات هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وأملك حقير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، وعظم المورد». فسالت دمة معاوية على لحيته فنشفها بكمه، واختنق القوم بالبكاء، ثم قال: كان والله أبو الحسن علي كذلك، فكيف صبرك عنه يا ضرار؟.

قال: صبر من ذبح ولدها على صدرها، فهي لا ترقى عبرتها، ولا تسكن حرارتها. ثم قام فخرج وهو باك.

(١) أي لا يطمع بأن يصدر منه باطل.

فقال معاوية: أما إنكم لو تفقدوني لما كان فيكم من يثني عليّ هذا الثناء.
فقال بعض من كان حاضراً: صاحب على قدر صاحبه^(١).
قال الشاعر صفي الدين الحلي رحمته الله^(٢):

جمعت في صفاتك الأضداد	فلهذا عزت لك الأنداد
زاهد حاكم حلیم شجاع	ناسك فاتك فقير جواد
شيم ما جمعن في بشر	قط ولا حاز مثلهن العباد

وأطفأ السراج

عن الحارث الهمداني، قال: سامرت أمير المؤمنين عليه السلام. فقلت: يا أمير المؤمنين، عرضت لي حاجة.
قال: «فرأيتني لها أهلاً؟»
قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

(١) إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٢١٨ في فضائل ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغزواته عليه السلام.
(٢) صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي قاسم بن أحمد بن نصر بن عبد العزيز ابن سرايا بن باقي بن عبد الله بن العريض الحلبي الطائي السنبسي، من بني سنبس بطن من طي. شاعر من الطراز الأول، فاق شعره بجزالة اللفظ ورقة المعنى، وكان إماماً من أئمة الأدب ومعدوداً من علماء الشيعة المشاركين في الفنون. ولد ٥ ربيع الآخر سنة ٦٧٧هـ ونشأ في الحلة بين الكوفة وبغداد. اشتغل بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في التجارة ثم يرجع إلى بلاده، وفي غضون ذلك يمدح الملوك والأعيان وانقطع مدة إلى ملوك ماردين وله في مدائحهم الغرر، وامتدح الناصر محمد بن قلاوون، والمؤيد إسماعيل بحماسة. ثم رحل إلى القاهرة عام ٧٢٦هـ فمدح السلطان الملك الناصر. توفي رحمته الله ببغداد عام ٧٥٠هـ. وله عدة مآثر، منها: ١- منظومة في علم العروض، ٢- العاقل الحالي، رسالة في الزجل والموالي، ٣- الخدمة الجليلة، رسالة في وصف الصيد بالبنق، ٤- درر النحور في مدائح الملك المنصور، وهي القصائد (الأترقيات) تحوي ٢٩ قصيدة مرتبة على حروف المعجم، وأول أبياتها كأخرها من الحروف وكل قصيدة منها ٢٩ بيتاً، ٥- ديوان شعره، ٦- رسالة الدار عن محاورات الفار، ٧- الرسالة المهمة كتبها إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٣هـ، ٨- الرسالة الثومية، أنشأها بماردين سنة ٧٠٠هـ، ٩- الكافية، هي بديعته الشهيرة الحاوية لمائة واحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع في ١٤٥ بيتاً من بحر (البسيط) يمدح بها النبي الأعظم عليه السلام.

قال : « جزاك الله عني خيراً ».

ثم قام إلى السراج فأغشاها وجلس ، ثم قال : « إنما أغشيت السراج لئلا أرى ذل حاجتك في وجهك فتكلم ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحوائج أمانة من الله في صدور العباد فمن كتبها له عبادة ، ومن أفشاها كان حقاً على من سمعها أن يعينه »^(١).

أتبخل أنت؟

عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام : « أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيغة ، وكان الرجل ممن يرجو نوافله ويؤمل نائله ورफده ، وكان لا يسأل علياً عليه السلام ولا غيره شيئاً . فقال رجل لأمر المؤمنين عليه السلام : والله ما سألك فلان ، ولقد كان يجزئه من الخمسة الأوساق وسق واحد .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لا كثر الله في المؤمنين ضربك ، أعطي أنا وتبخل أنت ! ، لله أنت إذا أنا لم أعط الذي يرجوني إلا من بعد المسألة ثم أعطيه بعد المسألة فلم أعطه ثمن ما أخذت منه ؛ وذلك لأنني عرضته أن يبذل لي وجهه الذي يعفره في التراب لربي وربّه عند تعبده له وطلب حوائجه إليه ، فمن فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدق الله عز وجل في دعائه له حيث يتمنى له الجنة بلسانه ، ويبخل عليه بالخطام من ماله ، وذلك أن العبد قد يقول في دعائه : اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، فإذا دعا لهم بالمغفرة فقد طلب لهم الجنة ، فما أنصف من فعل هذا بالقول ولم يحققه بالفعل »^(٢).

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ص ٣٦ ب ١٠٢ ح ١٣ .

(٢) الكافي : ج ٤ ص ٢٢-٢٣ باب من أعطى بعد المسألة ح ١ .

لقد أغنيته

وعن أحمد بن أبي المقدام العجلي، قال: يروى أن رجلاً جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال له: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة. فقال: «اكتبها في الأرض؛ فإنني أرى الضر فيك بيناً». فكتب في الأرض: أنا فقير محتاج. فقال علي عليه السلام: «يا قنبر، اكسه حلتين». فأنشأ الرجل يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها	فسوف أكسوك من حسن الثنا حللاً
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة	ولست تبغي بما قد نلت به بدلاً
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه	كالغيث يحيي نداء السهل والجبل
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به	فكل عبد سيجزى بالذي فعلاً

فقال عليه السلام: «أعطوه مائة دينار».

فقال له: يا أمير المؤمنين، لقد أغنيته.

فقال عليه السلام: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنزل الناس منازلهم». ثم قال علي عليه السلام: «إني لأعجب من أقوام يشترون الممالك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم»^(١).

كيف أصبحت؟

قال الصادق عليه السلام: «مرض أمير المؤمنين عليه السلام فعاده قوم، فقالوا له كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟. فقال: أصبحت بشراً!».

فقالوا له: سبحان الله هذا كلام مثلك؟!

فقال: يقول الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢) فالخير الصحة والغنى، والشر المرض والفقر، ابتلاء واختباراً^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٣٤-٣٥ ب ١٠٢ ح ٧، والبحار: ج ٧١ ص ٤٠٧-٤٠٨ ب ٣٠ ح ٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٣) الدعوات: ص ١٦٨ ب ٣ فصل في صلاة المريض وصلاحه وأدبه ودعائه عند المرض ح ٤٦٩.

حلم الإمام وعفوه عليه السلام

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام أحلم الناس بعد رسول الله ﷺ ، وفي (شرح النهج) : وأما الحلم والصفح فكان عليه السلام أحلم الناس عن ذنب ، وأصفحهم عن مسيء ، وقد ظهر ذلك يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له وأشدّهم بغضاً ، فصفح عنه .

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فسب الإمام عليه السلام ، فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً وصفح عنه ، وقال : « اذهب فلا أرينك » ، لم يزد على ذلك .

وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة وكان له عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً .

ولما ظفر بعائشة أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم وقلدهن بالسيوف ، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به ، وتأففت وقالت : هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي ، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن وقلن لها : إنما نحن نسوة .

وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف وشتموه ولعنوه ، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ونادى مناديه في أقطار العسكر : « ألا لا يتبع مول ، ولا يجhez على جريح ، ولا يقتل مستأسر ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن » . ولم يأخذ أثقالهم ، ولا سبى ذراريهم ، ولا غنم شيئاً من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو ، وتقبل سنة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة ؛ فإنه عفا والأحقاد لم تبرد والإساءة لم تنس .

وفي صفين لما ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقالت رؤساء الشام له : اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً ! سألهم علي عليه السلام

وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأً كما مات ابن عفان! فلما رأى عليه السلام أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال عليه السلام: «لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٣-٢٤ القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله.

علم الإمام عليه السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد منحه الله عز وجل العلم اللدني مضافاً إلى ما أخذه من النبي ﷺ ، وكان عليه السلام يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني»^(١)، ولا يجرؤ أحد على هذا القول إلا المعصوم عليه السلام. وقد أجاب الإمام عليه السلام على ما يرتبط بالدين والدنيا والآخرة، والسموات والأرضين، وحتى أدق المسائل الحسائية، وأسرار العلوم، وما يرتبط بالأحكام الشرعية وتفسير القرآن، وأخبار الماضين والأمم السابقة، وقصص الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وما يرتبط بالجنة والنار، وعالم الجن والملك، مضافاً إلى إحاطته بسائر العلوم، وقد أسس علم النحو ووضع أصوله في كلمات معروفة وقال لأبي الأسود الدؤلي: «أنح هذا النحو»، فزاد عليها أبو الأسود حتى كان علم النحو.

روي أنه دخل أبو الأسود الدؤلي على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فرآه متفكراً. فقال له: فيما أنت متفكر؟ قال عليه السلام: «سمعت في بلدكم لحناً، وأردت أن أصنع في اللغة كتاباً». قال: فأتيت بعد أيام فألقى إليّ صحيفة فيها: «الكلام كله ثلاثة: اسم وفعل وحرف، والأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمّر وغيرهما، فانح هذا النحو»^(٢).

وعن ابن عباس: أن عمر بن الخطاب قال له: يا أبا الحسن، إنك لتعجل في

(١) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٢٨ ب ٤٩ ح ٢٠١٣٧.

(٢) الصراط المستقيم: ج ١ ص ٢٢٠ ب ٧ ف ١٩.

الحكم والفصل للشيء إذا سُئِلَ عنه. قال: فأبرز علي عليه السلام كفه وقال له: «كم هذا؟». فقال عمر: خمسة. فقال عليه السلام: «عَجَلْتَ أبا حفص». قال: لم يخف علي. فقال علي عليه السلام: «وأنا أسرع فيما لا يخفى علي»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من الباب»^(٢).

وقال عليه السلام: «أعلمكم علي»^(٣)، وقال عليه السلام: «أقضاكم علي»^(٤)

وقال سليم بن قيس: حدثني سلمان والمقداد، وحدثني بعد ذلك أبو ذر، ثم سمعته من علي بن أبي طالب عليه السلام، قالوا: إن رجلاً فاخر علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال رسول الله ﷺ لما سمع به لعلي عليه السلام: «فاخر العرب، فأنت فيهم أكرمهم ابن عم، وأكرمهم صهراً، وأكرمهم نفساً، وأكرمهم زوجةً، وأكرمهم أخاً، وأكرمهم عمّاً، وأكرمهم ولداً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً، وأقدمهم سلماً، وأعظمهم غناءً بنفسك ومالك، وأنت أقرؤهم لكتاب الله، وأعلمهم بستتي، وأشجعهم لقاءً، وأجودهم كفاً، وأزهدهم في الدنيا، وأشدّهم اجتهاداً، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأحبهم إلى الله وإليّ، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله وتصبر على ظلم قريش لك، ثم تجاهدهم في سبيل الله إذا وجدت أعواناً، فتقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت معي على تنزيله، ثم تُقتل شهيداً تخضب لحيتك من دم رأسك، قاتلك يعدل عاقر الناقة في البغض إلى الله والبعث منه»^(٥).

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «سلوني؛ فإنني لا أسأل عن شيء دون

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٤٧ ب ٩٣ ضمن ح ٥٣.

(٢) المناقب: ج ٢ ص ٣٤ فصل في المسابقة بالعلم.

(٣) الكافي: ج ٧ ص ٤٢٤ باب النوادر ح ٦.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٤٢ ب ٣ ح ٢١٢٣١.

(٥) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١ ب ٩١ ح ١.

العرش إلا أجبت فيه، لا يقولها بعدي إلا جاهل مدع أو كذاب مفتر»^(١).

وروي أن رسول الله ﷺ في آخر لحظات حياته قال لعلي عليه السلام: «ادن مني» فلما دنا منه أوماً إليه فأكب عليه، فناجاه رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قام فجلس ناحية حتى أغفى رسول الله ﷺ. فقال له الناس: ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن؟

فقال: «علمني ألف باب، فتح لي كل باب ألف باب، ووصاني بما أنا قائم به إن شاء الله». ثم ثقل ﷺ وحضره الموت وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر عنده، فلما قرب خروج نفسه قال له: «ضع رأسي يا علي في حجرك فقد جاء أمر الله عز وجل، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري، وصل علي أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى»^(٢).

وقال ابن عباس: «والله لقد أعطي علي بن أبي طالب عليه السلام تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر»^(٣).

وسئل النبي ﷺ عن علي عليه السلام، فقال ﷺ: «قُسِّمَتِ الحِكْمَةُ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ فَأَعْطِيَ عَلِيٌّ تِسْعَةَ أَجْزَاءٍ وَالنَّاسُ جِزْءًا وَاحِدًا»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «إن ها هنا - وأشار بيده إلى صدره - لعلماً جماً»^(٥).

وقال عليه السلام: «كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطاني، وإذا سكتَ ابتدأني»^(٦).

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٢٣١ ب ١ تحقيق في دفع شبهة ح ١٨٨.

(٢) الإرشاد: ج ١ ص ١٨٦ فصل.

(٣) كشف الغمة: ج ١ ص ١١٧ في فضل مناقبه وما أعدّه الله تعالى لمحبيه وذكر غزارة علمه وكونه أفضى الأصحاب.

(٤) شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٣٥ ومن سورة البقرة ح ١٤٦.

(٥) الأمالي للطوسي: ص ٢٠ المجلس ٢٣.

(٦) الأمالي للصدوق: ص ٢٤٣ المجلس ٤٢ ح ١٣.

قصة الأرغفة

في (الاختصاص): عن أبي عبد الله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام، قال: «اجتمع رجلان يتغديان، مع واحد ثلاثة أرغفة ومع واحد خمسة أرغفة، قال: فمر بهما رجل فقال: سلام عليكما. فقالا: وعليك السلام، الغداء رحمتك الله. فقعده وأكل معهما، فلما فرغ قام وطرح إليهما ثمانية دراهم. فقال: هذه عوض لكما بما أكلت من طعامكما.

قال: فتنازعا بها. فقال صاحب الثلاثة: النصف لي والنصف لك. وقال صاحب الخمسة: لي خمسة بقدر خمستي، ولك ثلاثة بقدر ثلاثتك. فأبيا وتنازعا حتى ارتفعا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فاقتصا عليه القصة.

فقال عليه السلام: إن هذا الأمر الذي أنتما فيه دني ولا ينبغي أن ترفعا فيه إلى حكم. ثم أقبل علي عليه السلام إلى صاحب الثلاثة فقال: أرى أن صاحبك قد عرض عليك أن يعطيك ثلاثة وخبزه أكثر من خبزك فارض به.

فقال: لا والله يا أمير المؤمنين لا أرضى إلا بمرّ الحق.

قال: فإنما لك في مرّ الحق درهم! فخذ درهماً وأعطه سبعة.

فقال: سبحان الله يا أمير المؤمنين عرض عليّ ثلاثة فأبيت وأخذ واحداً؟.

فقال: عرض ثلاثة للصالح فحلقت أن لا ترضى إلا بمرّ الحق، وإنما لك بمرّ

الحق درهم!.

قال: فأوقفني على هذا.

قال: أليس تعلم أن ثلاثتك تسعة أثلاث؟.

قال: بلى.

قال: أوليس تعلم أن خمسته خمسة عشر ثلثاً؟.

قال: بلى.

قال: فذلك أربعة وعشرون ثلثاً، أكلت أنت ثمانية وأكل الضيف ثمانية،

وأكل هو ثمانية، فبقي من تسعتك واحد أكل الضيف، وبقي من خمسة عشر سبعة أكلها الضيف، فله سبعة بسبعة ولك بواحدك الذي أكله الضيف واحد»^(١).

التاريخ الهجري

روي أنه: جمع عمر الناس فسألهم من أي يوم يكتب التاريخ؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك»، ففعله عمر^(٢).

دفاعاً عن المسلمين

قال بعض المؤرخين: لما اجتمعت جموع كثيرة في فارس لغزو المسلمين، وانتهى خبر ذلك إلى من بالكوفة من المسلمين، وفزع عمر لذلك فرعاً شديداً، ولم يعلم كيف يتصرف، استشار المسلمين وقال: إن الشيطان قد جمع لكم جموعاً وأقبل بها ليطفئ بها نور الله؟.

فأشار عليه طلحة بالمسير بنفسه، وقال عثمان: أرى أن تشخص أهل الشام من شامهم، وأهل اليمن من يمنهم، وتسيران في أهل هذين الحرمين وأهل المصرين الكوفة والبصرة، فتلقى جميع المشركين بجميع المؤمنين.

ولما رأى أمير المؤمنين علي عليه السلام أن الخطر قد أحدق بالمسلمين، قال: «إنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذرايهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذرايهم، وإن أشخصت أهل هذين الحرمين انتقضت عليك العرب من أطرافها، فأما ذكرك كثرة العجم ورهبتك من

(١) الاختصاص: ص ١٠٧-١٠٨ حديث محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام وعمه عبد الله بن موسى.

(٢) إقبال الأعمال: ص ٥٤٢.

جموعهم فإننا لم نكن نقاتل على عهد رسول الله ﷺ بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالبصيرة، وإن الأعاجم إذا نظروا إليك قالوا: هذا رجل العرب فإن قطعتموه فقد قطعتم العرب وكان أشد لقلبهم، ولكني أرى أن تقر هؤلاء في أمصارهم وتكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا على ثلاث فرق: فلتقم فرقة منهم على ذراريتهم، ولتقم فرقة على أهل عهدهم لئلا ينتقضوا، ولتسر فرقة منهم إلى إخوانهم مدداً لهم».

فقال عمر: أجل هذا هو الرأي وقد كنت أحب أن أتابع عليه، وجعل يكرر قول علي وينسقه إعجاباً به واختياراً له^(١).

(١) راجع الإرشاد: ج ١ ص ٢٠٧-٢١٠ فصل.

عبادة الإمام عليه السلام

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام أعبد الخلق بعد رسول الله ﷺ ، فإن العبودية على درجات المعرفة بالله عز وجل ، وقد قال النبي ﷺ : «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت»^(١).

وكان عليه السلام أكثر الناس صلاةً وصوماً ، وتضرعاً وخشوعاً . وكان عليه السلام أشدهم خوفاً من الله عز وجل ، حتى أنه يُغْمى عليه من مخافته ، وكانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده ، وكان يصلي في الليلة ألف ركعة . قال أمير المؤمنين عليه السلام في النهج : «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَمَلَكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَمَلَكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَمَلَكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ»^(٢).

وقال علي عليه السلام : «ما تركت صلاة الليل منذ سمعت قول النبي ﷺ : صلاة الليل نور». فقال ابن الكواء : ولا ليلة الهرير؟ قال : «ولا ليلة الهرير»^(٣). وعن أم سعيد سرية علي عليه السلام سألوها عن صلاة علي عليه السلام في شهر رمضان؟ فقالت : رمضان وشوال سواء يحبي الليل كله^(٤).

وفي مستدرک الوسائل : كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون . فيقال له : ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول : «جاء وقت أمانة الله

(١) تأويل الآيات الظاهرة : ص ١٤٥ سورة النساء ، ص ٢٢٧ سورة يونس .

(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم ٢٣٧ .

(٣) - ١٤٠ الأثر ، للسيد هاشم البحراني : ج ٢ ص ١٧٨ ب ٢٠ ح ١١ .

التي عرضها على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فلا أدري أحسن أداء ما حملت أم لا»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «والله ما أكل علي بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا حراماً قط حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران كلاهما لله رضا إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله ﷺ نازلة قط إلا دعاه ثقة به، وما أطاق أحد عمل رسول الله ﷺ من هذه الأمة غيره، وإن كان لعمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه، ولقد اعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار مما كد بيديه ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة، وما كان لباسه إلا الكرايس، إذا فضل شيء عن يده دعا بالجلم فقطعه، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شياً به في لباسه وفقه من علي بن الحسين عليه السلام، ولقد دخل أبو جعفر عليه السلام ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه قد اصفر لونه من السهر، ورمصت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخزم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، وقال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة له، فإذا هو يفكر فالتفت إلي بعد هنيهة من دخولي. فقال: يا بني، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام. فأعطيته فقرأ فيها شيئاً سيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٩٣-٩٤ ب ٢ ضمن ح ٤٢١٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٩١-٩٢ ب ٢٠ ح ٢١٥.

١٣

زهد الإمام عليه السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ، فكان حاكماً على أكبر دولة في العالم آنذاك، تضم ما يقارب خمسين دولة من دول اليوم، وهو يلبس الخشن ويأكل الجشب ويقول: «يا دنيا غرِّي غيري».

وكانت الدنيا في عينه أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. وكانت الحكومة عنده لا تساوي نعلًا قيمتها ثلاثة دراهم إلا أن يقيم حقاً أو يدفع باطلاً. ولم يشبع عليه السلام من طعام قط.

وقال عليه السلام: «لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟! فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى»^(١).

وخطب عليه السلام الناس يوماً فقال: «والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت من فيئكم إلا هذه». قال: وأخرج قارورة من كم قميصه وأشار إليها، وقال: «أهداها إليَّ دهقان»، ثم دفعها لخازن بيت المال^(٢).

وأنه عليه السلام أتى بفالزوج، فوضع بين يديه، فقال عليه السلام: «إنك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، لكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده»^(٣).

وقال عمار بن ياسر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا علي، إن الله تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هي أحب إليه منها، زهدك فيها وبغضها إليك،

(١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٦٠ ومن خطبة له عليه السلام.

(٢) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لابن الدمشقي: ج ١ ص ٢٨٤ ب ٤٣.

(٣) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لابن الدمشقي: ج ١ ص ٢٨٥ ب ٤٣.

وحبب إليك الفقراء فرضيت بهم أتباعاً ورضوا بك إماماً»^(١).

وفي الحديث: إن علياً عليه السلام كان يكنس بيت المال كل يوم جمعة ثم ينضحه بالماء، ثم يصلي فيه ركعتين ثم يقول: «تشهدان لي يوم القيامة»^(٢).

وعن سويد بن غفلة، قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام العصر، فوجدته جالساً بين يديه صحيفة فيها لبن حازر أجدر ريحه من شدة حموضته، وفي يده رغيف أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسر بيده أحياناً فإذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه. فقال: «ادن فأصب من طعامنا هذا». فقلت: إني صائم. فقال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من منعه الصوم من طعام يشتهيهِ كان حقاً على الله أن يطعمه من طعام الجنة، ويسقيه من شرابها». قال: فقلت لجاريته - وهي قائمة بقريب منه -: ويحك يا فضة، ألا تتقين الله في هذا الشيخ، ألا تنخلون له طعاماً مما أرى فيه من النخالة. فقالت: لقد تقدم إلينا أن لا ننخل له طعاماً. قال: «ما قلتَ لها؟». فأخبرته، فقال: «بأبي وأمي من لم ينخل له صلى الله عليه وآله طعام، ولم يشبع صلى الله عليه وآله من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله عز وجل»^(٣).

وعن زاذان، قال: انطلقت مع قنبر إلى علي عليه السلام. فقال: قم يا أمير المؤمنين فقد خبات لك خبيثة. قال: «فما هو؟». قال: قم معي. فقام وانطلق إلى بيته فإذا بأسنة مملوءة جامات من ذهب وفضة. فقال: يا أمير المؤمنين، إنك لا تترك شيئاً إلا قسمته، فادخرت هذا لك. قال علي عليه السلام: «لقد أحبيت أن تدخل بيتي ناراً كثيرة». فسل سيفه فضربها فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه أو ثلثه، ثم قال: «اقسموه بالحصص». ففعلوا فجعل يقول:

«هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ١٦٢ في وصف زهده في الدنيا وسنته في رفضها وقناعته باليسير منها وعبادته.

(٢) الغارات: ج ١ ص ٣١ سيرته عليه السلام في المال.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٣١ ب ٩٨ ضمن ح ١٣.

يا بيضاء ويا صفراء غري غيري». قال: وفي البيت مسال وإبر. فقال: «اقسموا هذا». فقالوا: لا حاجة لنا فيه. قال: وكان يأخذ من كل عامل مما يعمل. فقال: «والذي نفسي بيده لتأخذن شره مع خيره»^(١).

وقال هارون بن عنترة، قال: حدثني أبي قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام بالخورنق وهو يرعد تحت سمل قطيفة. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال: «والله ما أرزأكم من أموالكم شيئاً، وإن هذه لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها»^(٢).

وخرج الإمام عليه السلام يوماً إلى السوق ومعه سيفه لبيعه. فقال: «من يشتري مني هذا السيف، فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي من إزار لما بعته»^(٣).

وكان عليه السلام قد ولي على عكبرا رجلاً من ثقيف، قال: قال له علي عليه السلام: «إذا صليت الظهر غداً فعد إلي».

فعدت إليه في الوقت المعين، فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه، فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز ماء، فدعا بوعاء مشدود مختوم، فقلت في نفسي: لقد أمني حتى يخرج إليّ جوهرًا، فكسر الختم وحلّه فإذا فيه سويق، فأخرج منه فصبه في القدح وصب عليه ماء فشرب وسقاني، فلم أصبر فقلت: يا أمير المؤمنين، أتصنع هذا في العراق وطعامه كما ترى في كثرته؟!

فقال: «أما والله ما أختم عليه بخلاً به، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن ينقص فيوضع فيه من غيره، وأنا أكره أن أدخل بطني إلا طيباً، فلذلك أحترز

(١) الغارات: ج ١ ص ٣٦-٣٨ سيرته ع في المال.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ١٧٣ وفي وصف زهده في الدنيا وسنته في رفضها وقناعته باليسير منها وعبادته.

(٣) كشف اليقين: ص ٨٧ ف ٣ ب ١ المطلب الأول المبحث الخامس.

عليه كما ترى ، فإياك وتناول ما لا تعلم حله»^(١).

وروي : أن أمير المؤمنين عليه السلام كان في بعض حيطان فذك وفي يده مسحاة ، فهجمت عليه امرأة من أجمل النساء . فقالت : يا ابن أبي طالب ، إن تزوجتني أغنيك عن هذه المسحاة ، وأدلك على خزائن الأرض ، ويكون لك الملك ما بقيت . قال عليه السلام لها : «فمن أنتِ حتى أخطبك من أهلك؟» . قالت : أنا الدنيا . فقال عليه السلام : «ارجعي فاطلبي زوجاً غيري فلست من شأني» ، وأقبل على مسحاته^(٢).

وعن الأحنف بن قيس ، قال : دخلت على علي عليه السلام وقت إفطاره ، إذ دعا بجراب محتوم فيه سوق الشعير . قلت له : يا أمير المؤمنين ، خفت أن يؤخذ منه فختمت فيه؟ . قال عليه السلام : «لا ، ولكنني خفت أن يلينه الحسن أو الحسين بسمن أو زيت» . قلت : هما حرام عليك؟ . قال عليه السلام : «لا ، ولكن يجب على الأئمة أن يغتذوا بغداء ضعفاء الناس وأفقرهم ؛ كيلا يشكو الفقير من فقره ، ولا يطغى الغنى لغناه»^(٣).

وروي أن علياً عليه السلام كان معتكفاً في مسجد الكوفة فجاء أعرابي وقت إفطاره فأخرج علي عليه السلام من جراب سوق شعير فأعطاه منه شيئاً . فلم يأكله الأعرابي فعقده في طرف عمامته ، فجاء إلى دار الحسين عليه السلام فأكل معهما . فقال لهما : رأيت شيخاً غريباً في المسجد لا يجد غير هذا السوق فترحمت عليه ، فأحمل من هذا الطعام إليه ليأكله . فبكيا وقالوا : «إنه أبونا أمير المؤمنين علي عليه السلام يجاهد نفسه بهذه الرياضة»^(٤).

(١) بحار الأنوار : ج ٤٠ ص ٣٣٥ ب ٩٨ ضمن ج ١٥ .

(٢) المناقب : ج ٢ ص ١٠٢ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة .

(٣) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي : ج ١ ص ٤٤٧-٤٤٨ ب ٥١ ح ١٦ نشر دار الأسوة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٦ هـ .

(٤) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي : ج ١ ص ٤٤٨ ب ٥١ ح ١٧ نشر دار الأسوة ، ط ١ .

وروي: أنه ترصدَّ غداء عمرو بن حريث، فأتت فضة بجراب مختوم فأخرج منه خبزاً متغيراً خشناً. فقال عمرو: يا فضة، لو نخلت هذا الدقيق وطيبته. قالت: كنت أفعل فنهاني، وكنت أصنع في جرابه طعاماً طيباً فختم جرابه. ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام فته في قصعة وصب عليه الماء، ثم ذرَّ عليه الملح وحسر عن ذراعته، فلما فرغ قال: «يا عمرو، لقد هانت هذه - ومدَّ يده إلى محاسنه - وخسرت هذه أن أدخلها النار من أجل الطعام وهذا يجزئي»^(١).

وعن محلى بن خليفة: أنه دخل مع عدي بن حاتم على علي بن أبي طالب عليه السلام عشية في بعض مقامه بصفين ومعه عشاء. قال: فلقيناه وإذا بين يديه شنة فيها ماء قراح، وكسرات من خبز شعير وملح، لم يخلط به غيره. قال: فقال له عدي: إني لأرثي لك يا أمير المؤمنين؛ إنك لتظل نهارك طاوياً مجاهداً، وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورك. فرفع رأسه وقال: «يا عدي،

الغنى في النفوس والفقر فيها	إن تجزت فقل ما يجزيها
علل النفس بالقنوع ولا	طلبت منك فوق ما يكفيها
ليس فيما مضى ولا في الذي	لم يأت من لذة لمستحليها
إنما أنت طول عمرك ما	عمرت بالساعة التي أنت فيها ^(٢)

وعن جندب: أن علياً عليه السلام قدم إليه لحم غث. فقليل له: نجعل لك فيه سمناً؟ فقال عليه السلام: «إنا لا نأكل أدمين جميعاً»^(٣).

وروي أن علياً عليه السلام تزوج امرأة فوجدت له بيتاً، فأبى أن يدخله^(٤).

هذا وكان بعض الصحابة في زمن عثمان وقبله قد بنوا الدور، وشيدوا القصور، واختزنوا الأموال، وخلفوها بعدهم..

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٢٩٨ ب ٧٢ ج ١٩٩٤٤.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٧٧.

(٣) المناقب: ج ٢ ص ٩٩ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

(٤) المناقب: ج ٢ ص ١٠٠ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

روى المسعودي : أنه في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال ، فكان لعثمان يوم قُتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار ، وألف ألف درهم ، وقيمة ضياعه في وادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار ، وخلف إبلاً وخيلاً كثيرة.

وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف ألف فرس وألف أمة.

وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ، ومن ناحية السراة أكثر من ذلك.

وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس ، وله ألف بعير ، وعشرة آلاف من الغنم ، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً.

وخلف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفئوس ، غير ما خلف من الأموال والضياع.

وبنى الزبير داره بالبصرة وبنى أيضاً بمصر والكوفة والإسكندرية ، وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة وشيّد داره بالمدينة ، وبنّاها بالجص والآجر والساج.

وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها ، وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرفات.

وخلف يعلى ابن منبه خمسين ألف دينار وعقاراً وغير ذلك ما قيمته ثلاثمائة ألف درهم^(١).

إلى غيرها وغيرها مما هو كثير.

(١) راجع تاريخ ابن خلدون : ج ١ ص ٢٠٤-٢٠٥.

عدل الإمام عليه السلام

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام أعدل الناس بعد رسول الله ﷺ ، فكان يساوي بين الناس في العطاء ويأخذ هو كأحدهم ، وكان لا يظلم في عهده أحد إلا أخذ له بحقه .

وكان عليه السلام يقسم جميع ما في بيت المال على المسلمين ثم يأمر به فيكنس ثم يصلي فيه رجاء أن يشهد له .

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له يتبرأ من الظلم : «وَاللَّهِ لَأَنْ أُبَيَّتَ عَلَيَّ حَسَكُ السَّعْدَانِ مُسَهِّدًا ، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ ، وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلَى قُفُولُهَا ، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا . وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرْكَمٍ صَاعًا ، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شَعَثَ الشُّعُورِ ، غُبَرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ ، كَانَمَا سُودَتْ وَجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكَّدًا ، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنُّ أَنْيَ أُبَيِّعُهُ دِينِي ، وَاتَّبَعْتُ قِيَادَهُ مُفَارِقًا طَرِيقَتِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا ، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنْفٍ مِنْ أَلْمِهَا ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسَمِهَا . فَقُلْتُ لَهُ : ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ ، أَتَنْتُ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلْعِيهِ ، وَتَجْرُنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعَظْمِيهِ ، أَتَنْتُ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَتْنُ مِنْ لَظْيٍ»^(١).

وفي البحار :

(١) نهج البلاغة ، الخطب : ٢٢٤ ومن كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم .

قدم على أمير المؤمنين عليه السلام عقيل. فقال عليه السلام للحسن عليه السلام: «أكسر عمك». فكساه قميصاً من قمصه ورداء من أرديته، فلما حضر العشاء فإذا هو خبز وملح. فقال عقيل: ليس إلا ما أرى! فقال عليه السلام: «أو ليس هذا من نعمة الله وله الحمد كثيراً». فقال: أعطني ما أقضي به ديني، وعجل سراحي حتى أرحل عنك». قال عليه السلام: «فكم دينك يا أبا يزيد؟». قال: مائة ألف درهم. قال عليه السلام: «لا والله ما هي عندي ولا أملكها، ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فأواسيكه، ولولا أنه لا بد للعيال من شيء لأعطيتك كله». فقال عقيل: بيت المال في يدك وأنت تسوفني إلى عطائك، وكم عطاؤك! وما عساه يكون ولو أعطيتني كله. فقال عليه السلام: «ما أنا وأنت فيه إلا بمنزلة رجل من المسلمين - وكانا يتكلمان فوق قصر الإمارة مشرفين على صناديق أهل السوق، فقال له علي - إن أبيت يا با يزيد ما أقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق فأكسر أقفاله وخذ ما فيه». فقال: وما في هذه الصناديق؟. قال عليه السلام: «فيها أموال التجار». قال: أتأمروني أن أكسر صناديق قوم قد توكلوا على الله وجعلوا فيها أموالهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أتأمروني أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكلوا على الله وأقفلوا عليها، وإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي وخرجنا جميعاً إلى الحيرة فإن بها تجاراً مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله». فقال: أو سارقاً جئت. قال عليه السلام: «تسرق من واحد خير من أن تسرق عن المسلمين جميعاً»^(١).

وفي حديث: أن عقيلاً لما سأل عطاءه من بيت المال. قال له أمير المؤمنين عليه السلام: «تقيم إلى يوم الجمعة». فأقام فلما صلى أمير المؤمنين عليه السلام الجمعة قال لعقيل: «ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين؟». قال: بش الرجل ذاك. قال عليه السلام: «فأنت تأمرني أن أخون هؤلاء وأعطيك»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٣-١١٤ ب ١٠٧ ضمن ح ٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٤ ب ١٠٧ ضمن ح ٢٣.

ولا يخفى أن هذه التصرفات من عقيل كانت لكي يعرف الناس بعدل أخيه أمير المؤمنين عليه السلام.

وعن علي بن أبي رافع، قال: كنت على بيت مال علي بن أبي طالب عليه السلام وكاتبه، وكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة. قال - فأرسلت إليَّ بنت علي بن أبي طالب عليه السلام. فقالت لي: «بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام عقد لؤلؤ وهو في يدك، وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به في أيام عيد الأضحى». فأرسلتُ إليها عارية مضمونة مردودة يا بنت أمير المؤمنين. فقالت: «نعم، عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام». فدفعته إليها وإن أمير المؤمنين عليه السلام رآه عليها فعرفه. فقال لها: «من أين صار إليك هذا العقد؟».

فقالت: استعرت من علي بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين؛ لأتزين به في العيد ثم أردته.

قال: فبعث إليَّ أمير المؤمنين عليه السلام فجثته. فقال لي: «أتخون المسلمين يا ابن أبي رافع؟».

فقلت له: معاذ الله أن أخون المسلمين.

فقال عليه السلام: «كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير إذني ورضاهم؟».

فقلت: يا أمير المؤمنين، إنها ابنتك وسألتني أن أعيرها إياه تتزين به، فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة فضمنته في مالي، وعليَّ أن أردته سليماً إلى موضعه.

قال: «فردته من يومك وإياك أن تعود لمثل هذا فتتالك عقوبتي»^(١).

(١) تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ١٥١-١٥٢ ب ١٠ ح ٣٧.

شجاعة الإمام علي عليه السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ ، فلم يفر في موطن قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحداً إلا قتله ، ولا صارع أحداً إلا صرعه ، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت إلى ثانية ، وكانت ضرباته وتراً ، إذا علا قد ، وإذا اعترض قط ، ولا دُعي إلى مبارزة فنكل .

وقد رباه والده أبو طالب عليه السلام على الشجاعة حيث كان يقول له بأن بيت في مكان النبي ﷺ أيام حصار الشعب ، ليدفع الخطر عن رسول الله ﷺ .

وظهرت شجاعته العالية في مبيته على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة موطناً نفسه على الأخطار ، غير هباب ولا حزين ، والنفر من قريش محيطون بالدار ليفتكوا بمن في الفراش .

وظهرت شجاعته البالغة أيضاً لما سار بالفواطم بعد الهجرة جهاراً من مكة وليس معه إلا ابن أم أيمن وأبو واقد الليثي وهما لا يغنيان شيئاً ، فلحقه ثمانية فرسان من قريش أمامهم جناح مولى حرب بن أمية ، فأهوى إليه جناح بالسيف وهو فارس وعلي عليه السلام راجل ، فحاد علي عليه السلام عن ضربته ، وضربه لما انحى على كتفه فقطعه نصفين حتى وصلت الضربة إلى قربوس فرسه وانهمز الباقون .

وفي يوم بدر قتل علي عليه السلام الوليد بن عتبة ، وشرك في قتل عتبة ، وقتل جماعة من صناديد المشركين حتى روي أنه قتل يوم بدر نصف المقتولين أو أزيد من النصف بواحد ، وقتل باقي المسلمين مع الملائكة المسومين النصف الثاني .

وفي يوم أحد قتل علي عليه السلام أصحاب اللواء جميعهم وهم تسعة وانهمز بقتلهم المشركون ، ولولا مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ لتم النصر الشامل للمسلمين ، وجميع من قُتل يوم أحد من المشركين ثمانية وعشرون ، قتل علي

عليه السلام منهم ثمانية عشر. ثم أخذ الإمام عليه السلام يدافع وبكل شجاعة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكلما هجموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرقهم وقتل فيهم حتى عجب جبرائيل من مواساته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «يا رسول الله، إن هذه للمواساة - ونادى -

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وفي وقعة الخندق لما أقحم عمرو بن عبد ود وجماعة معه خيلهم وعبروا الخندق، جاء علي عليه السلام ومعه نفر حتى أخذ عليهم الثغرة التي أقحموا خيلهم منها، ولم يجسر على ذلك أحد غيره. ولما طلب عمرو المبارزة جبن المسلمون كلهم وسكتوا كأنما على رؤوسهم الطير، فجعل عمرو يؤنبهم ويوبخهم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من لعمرو وقد ضمنت له على الله الجنة؟»، فلم يقم إليه أحد إلا علي عليه السلام، فقال: «أنا له يا رسول الله»، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول له: «اقعد فإنه عمرو» حتى فعل ذلك ثلاثاً، ثم خرج علي عليه السلام إليه وقتل عمراً وانهزم من معه، فلحقهم علي عليه السلام وقتل بعضهم وانكسرت بذلك شوكة المشركين وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق: «لمبارزة علي لعمرو بن عبد ود أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة»^(١).

وفي يوم خيبر كان علي عليه السلام أرمداً لا يبصر سهلاً ولا جبلاً، فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم اثنين غيره من المهاجرين فرجعا منهزمين، أحدهما يجنب أصحابه ويجنبونه، الآخر يؤنب أصحابه ويؤنبونه. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله عليه». فدعا بلقي عليه السلام فتفل في عينيه فبرثا وأعطاه الراية، فلقبه مرحب وعلى رأسه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة، فضربه علي عليه السلام ففقد الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه، وسمع أهل العسكر صوت تلك الضربة، واقتلع باب الحصن وجعله جسراً على الخندق، وكان يغلقه أكثر من عشرين رجلاً.

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٦٦٤ سورة الصف وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

وفي غزوة حنين ثبت علي عليه السلام مع النبي ﷺ وقد هرب عنه الناس غير عشرة، تسعة منهم من بني هاشم هو أحدهم وفيهم العباس وابنه، وقتل علي عليه السلام أبا جرول وأربعين من المشركين غيره، وانهزم المشركون بقتله وقتلهم، ورجع المسلمون من هزيمتهم بثباته. وهكذا في سائر الغزوات والحروب التي خاضها مع رسول الله ﷺ. وكذلك في الحروب التي فرضت عليه بعد رسول الله ﷺ في يوم الجمل وصفين والنهروان، حيث باشر الحرب بنفسه وقتل صناديد الأعداء وأبطالهم. ففي يوم الجمل تناول علي عليه السلام الراية بيده اليسرى وذو الفقار في يمينه يديه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته، فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين. فلم يجب أحداً منهم ولا رد إليهم بصره، وظل ينحط ويزأر زئير الأسد حتى فرق من حوله وتبادروه، وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله ولا يرد حواراً، ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضر بهم بالسيف قدماً قدماً، والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة حتى خضب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته، فاعصو صب به أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام، وقالوا: إنك إن تصب يذهب الدين فأمسك ونحن نكفيك. فقال: «والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة»^(١). ومن مواقفه بصفين ما كان يوم الهرير، قال بعض الرواة: فوالله الذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبياً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب علي عليه السلام، إنه قتل في ما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنيًا فيقول: «معذرة إلى الله وإليكم من هذا»، فكنا نأخذه ونقومه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف، فلا والله ما ليث أشد نكاية منه بعدوه.

(١) راجع شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٥٧ من أخبار يوم الجمل.

هكذا يكون الحاكم الإسلامي

الحاكم الإسلامي يختلف تماماً عن سائر الحكام والملوك الذين عرفتهم البشرية، حيث إنهم يكتزون الذهب والفضة ويسرقون أموال الشعب، ولكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يُقسم كل ما في بيت المال حتى لا يبقى شيئاً، وربما أنفق ما عنده أيضاً، وفي الحديث أنه عليه السلام قُتل وهو مديون!! كما كان رسول الله ﷺ مديوناً عند وفاته.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قدمت رسول الله ﷺ وعليه دين، وقُتل أمير المؤمنين عليه السلام وعليه دين، ومات الحسن عليه السلام وعليه دين، وقُتل الحسين عليه السلام وعليه دين»^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قبض علي عليه السلام وعليه دين ثمانمائة ألف درهم، فباع الحسن عليه السلام ضيعةً له بخمسمائة ألف فقضاها عنه، وباع ضيعةً له بثلاثمائة ألف فقضاها عنه»^(٢).

ما شأنكم؟

كان الإمام عليه السلام في حكومته العادلة بعيداً كل البعد عن الدنيا وزخارفها، وعن الظلم والاستبداد، وعن كل ما ربما يؤدي إلى ذلك، حتى أنه لم يقبل بأخذ الحراس ومن أشبهه.

ورد أنه كان بعض أصحابه يخرجون خلفه ليحرسوه من الأعداء، فلما رآهم

(١) لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٨٢ باب الدين والقرض ح ٣٦٨٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٢٢٢ ب ٢ ح ٢٣٧٦٨.

على تلك الحالة قال عليه السلام: «ما شأنكم؟».

فأخبروه، فدعا لهم وتبسم ضاحكاً، وقال: «جئتم تحفظوني من أهل السماء أم من أهل الأرض؟».

قالوا: من أهل الأرض.

قال: «ما يكون شيء في السماء إلا هو في الأرض»^(١)، وما يكون شيء في الأرض إلا هو في السماء»^(٢)، ثم تلا ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(٣)، ثم أمرهم أن يأتوا منازلهم ولا يعودوا لمثلها^(٤).

إن هذا المال ليس لي ولا لك

قدم على أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن زمعة - وهو من شيعة - في خلافته يطلب منه مالاً. فقال عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فِئَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ؛ فَإِنْ شَرَكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَازَةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ»^(٥).

وجاء إليه عليه السلام عاصم بن ميثم وهو يقسم مالاً. فقال: يا أمير المؤمنين، إني شيخ كبير مثقل. قال عليه السلام: «والله ما هو بكدي ولا بترائي عن والدي، ولكنها أمانة أوعيتها. ثم قال: - رحم الله من أعان شيخاً كبيراً مثقلاً»^(٦).

ودخل عليه عليه السلام عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال، فطفئ السراج وجلس في ضوء القمر، ولم يستحل أن يجلس في الضوء بغير استحقاق^(٧).

(١) أي إن من هو في السماء ناظر إلى من هو في الأرض.

(٢) أي إنه مقدر في السماء.

(٣) سورة التوبة: ٥١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٦٣ ب ١٢٧.

(٥) نهج البلاغة، الخطب: ٢٣٢ ومن كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة.

(٦) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٥ ب ١٠٧ ضمن ح ٢٣.

(٧) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٦ ب ١٠٧ ضمن ح ٢٣.

وقد أمر أمير المؤمنين عليه السلام عمار بن ياسر وعبيد الله بن أبي رافع وأبا الهيثم بن تيهان: أن يقسموا فيئاً بين المسلمين، وقال لهم: «اعدلوا فيه ولا تفضلوا أحداً على أحد». فحسبوا فوجدوا الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثة دنانير، فأعطوا الناس، فأقبل إليهم طلحة والزبير ومع كل واحد منهما ابنه، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاثة دنانير. فقال طلحة والزبير: ليس هكذا كان يعطينا عمر، فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم؟ قالوا: بل هكذا أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام. فمضيا إليه فوجداه في بعض أمواله قائماً في الشمس على أجير له يعمل بين يديه. فقالا: ترى أن ترتفع معنا إلى الظل. قال عليه السلام: «نعم».

فقالا له: إنا أتينا إلى عمالك على قسمة هذا الفيء، فأعطوا كل واحد منا مثل ما أعطوا سائر الناس. قال عليه السلام: «وما تريدان؟». قالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر. قال عليه السلام: «فما كان رسول الله ﷺ يعطيكما». فسكتا، فقال عليه السلام: «أليس كان ﷺ يقسم بالسوية بين المسلمين من غير زيادة». قالا: نعم. قال عليه السلام: «أفسنة رسول الله ﷺ أولى بالإتباع عندكما أم سنة عمر؟». قالا: سنة رسول الله ﷺ، ولكن يا أمير المؤمنين لنا سابقة وغناء وقرابة؛ فإن رأيت أن لا تسوينا بالناس فافعل.

قال عليه السلام: «سابقتكما أسبق أم سابقتي؟». قالا: سابقتك.

قال عليه السلام: «فقرابتكما أقرب أم قرابتي؟». قالا: قرابتك.

قال عليه السلام: «فغناؤكما أعظم أم غنائي؟». قالا: بل أنت يا أمير المؤمنين أعظم غناء.

قال عليه السلام: «فو الله ما أنا وأجيري هذا في هذا المال إلا بمنزلة واحدة»، وأومى بيده إلى الأجير الذي بين يديه^(١).

١٧

مع المظلوم دائماً

كان أمير المؤمنين عليه السلام نموذجاً للدفاع عن المظلوم والأخذ بحقه، والوقوف بوجه الظالم وردعه عن ظلمه، وما أكثر القصص في هذا الباب:

عن عاصم بن حمزة السلولي، قال: سمعت غلاماً بالمدينة وهو يقول: يا أحكم الحاكمين، احكم بيني وبين أُمي.

فقال له عمر بن الخطاب: يا غلام، لم تدعو على أُمك؟

فقال: يا أمير، إنها حملتني في بطنها تسعة أشهر وأرضعتني حولين، فلما ترعرعتُ وعرفتُ الخير من الشر، ويميني عن شمالي، طردتني وانتفت مني وزعمت أنها لا تعرفني!.

فقال عمر: أين تكون الوالدة؟.

قال: في سقيفة بني فلان.

فقال عمر: عليٌّ بأم الغلام.

قال: فأتوا بها مع أربعة إخوة لها، وأربعين قسامة يشهدون لها أنها لاتعرف الصبي، وأن هذا الغلام غلام مدع ظلوم غشوم يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأن هذه جارية من قريش لم تتزوج قط، وأنها بخاتم ربها.

فقال عمر: يا غلام، ما تقول؟.

فقال: يا أمير، هذه والله أُمي حملتني في بطنها تسعة أشهر وأرضعتني حولين، فلما ترعرعت وعرفت الخير من الشر، ويميني من شمالي، طردتني وانتفت مني وزعمت أنها لا تعرفني.

فقال عمر: يا هذه، ما يقول الغلام؟.

فقلت: يا أمير، والذي احتجب بالنور فلا عين تراه، وحق محمد وما ولد، ما أعرفه ولا أدري من أي الناس هو، وإنه غلام مدع يريد أن يفضحني في عشيرتي، وإني جارية من قريش لم أتزوج قط، وإني بخاتم ربي.
فقال عمر: ألكِ شهود؟

فقلت: نعم هؤلاء.

فتقدم الأربعةون القسامة فشهدوا عند عمر أن الغلام مدع يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأن هذه جارية من قريش لم تتزوج قط، وأنها بخاتم ربه.
فقال عمر: خذوا هذا الغلام وانطلقوا به إلى السجن حتى نسأل عن الشهود، فإن عدلت شهادتهم جلدته حد المفتري.

فأخذوا الغلام ينطلق به إلى السجن، فتلقاهم أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الطريق، فنادى الغلام: يا ابن عم رسول الله ﷺ، إنني غلام مظلوم.
وأعاد عليه الكلام الذي كلم به عمر، ثم قال: وهذا عمر قد أمر بي إلى الحبس!!

فقال علي عليه السلام: «ردوه إلى عمر».

فلما ردوه قال لهم عمر: أمرت به إلى السجن فردتموه إليَّ.
فقالوا: يا أمير، أمرنا علي بن أبي طالب عليه السلام أن نرده إليك، وسمعناك وأنت تقول: لا تعصوا لعلي عليه السلام أمراً.

فبينما هم كذلك إذ أقبل علي عليه السلام فقال: «عليَّ بأم الغلام».

فأتوا بها، فقال علي عليه السلام: «يا غلام، ما تقول؟».

فأعاد الكلام، فقال علي عليه السلام لعمر: «أ تأذن لي أن أقضي بينهم».

فقال عمر: سبحان الله، وكيف لا وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:

أعلمكم علي بن أبي طالب.

ثم قال للمرأة: «يا هذه، ألكِ شهود».

قالت: نعم. فتقدم الأربعة قسامة فشهدوا بالشهادة الأولى. فقال علي عليه السلام: «لأقضين اليوم بقضية بينكما هي مرضاة الرب من فوق عرشه علمنيها حبيبي رسول الله ﷺ - ثم قال لها - ألك ولي؟».

قالت: نعم هؤلاء إخوتي.

فقال لإختوها: «أمري فيكم وفي أختكم جائز؟».

فقالوا: نعم يا ابن عم محمد ﷺ، أمرك فينا وفي أختنا جائز.

فقال علي عليه السلام: «أشهد الله وأشهد من حضر من المسلمين أنني قد زوجت هذا الغلام من هذه الجارية بأربعمائة درهم والنقد من مالي، يا قنبر علي بالدراهم».

فأتاه قنبر بها فصبها في يد الغلام، قال: «خذها فصبها في حجر امرأتك، ولا تأتنا إلا وبك أثر العرس» يعني الغسل.

فقام الغلام فصب الدراهم في حجر المرأة، ثم تلبسها فقال لها: قومي.

فنادت المرأة: النار، النار يا ابن عم محمد، تريد أن تزوجني من ولدي هذا، والله ولدي زوجني إخوتي هجيناً فولدت منه هذا الغلام، فلما ترعرع وشب أمروني أن أنتفي منه وأطرده، وهذا والله ولدي وفؤادي يتقلّى أسفاً على ولدي. قال: ثم أخذت بيد الغلام وانطلقت، ونادى عمر: وا عمراه، لولا علي لهلك عمر^(١).

سلها كيف فجرت

وفي رواية: أن امرأة أتت عمر فقالت: يا أمير، إني فجرت فأقم في حد الله عز وجل. فأمر برجمها، وكان علي أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً. فقال: «سلها كيف فجرت؟».

فسألها، فقالت: كنت في فلاة من الأرض فأصابني عطش شديد، فرفعت لي خيمة فأتيته فأصبت فيها رجلاً أعرابياً، فسألته ماءً أبى عليّ أن يسقيني إلا أن أمكّنه من نفسي، فوليت منه هاربة، فاشتد بي العطش حتى غارت عيناى وذهب لساني، فلما بلغ مني العطش أتيته فسقاني ووقع عليّ.

فقال علي عليه السلام: «هذه التي قال الله عزوجل: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(١)، هذه غير باغية ولا عادية فخل سبيلها». فقال عمر: لولا علي لهلك عمر^(٢).

أهي حامل؟

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه نظر إلى امرأة يُسار بها. فقال: «ما هذه؟». قالوا: أمر بها عمر لترجم؛ لأنها حملت من غير زوج.

قال: «أو هي حامل؟». قالوا: نعم. فاستنقذها من أيديهم ثم جاء إلى عمر، فقال له: «إن كان لك سبيل عليها فليس لك سبيل على ما في بطنها».

فقال عمر: لولا علي لهلك عمر^(٣).

لا حد على المجنونة

أتى عمر بمجنونة وقد زنت، فأمر برجمها.

فقال له علي عليه السلام: «أما علمت أن القلم قد رفع عنها حتى تصح».

فقال: لولا علي لهلك عمر^(٤).

(١) سورة البقرة: ١٧٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٥-٣٦ باب ما يجب به التعزير والحد والرجم والقتل والنفي في الزنا ح ٥٠٢٥.

(٣) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٥٣ ف ٢ ح ١٥٨٤.

(٤) الاختصاص: ص ١١١ مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة في الطلاق.

ما بال هذه؟

عن علي عليه السلام، قال: لما كان في ولاية عمرأتي بامرأة حامل، فسألها عمر فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر أن ترجم. فلقبها علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: «ما بال هذه؟».

فقالوا: أمر بها الأمير أن ترجم.

فردها علي فقال: «أمرت بها أن ترجم؟».

فقال: نعم، اعترفت عندي بالفجور.

فقال: «هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها - ثم قال له علي عليه السلام - فلعلك انتهرتها أو أخفتها؟».

فقال: قد كان ذلك.

قال: «أو ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا حد على معترف بعد بلاء، إنه من قُيدت أو حُبست أو تُهددت فلا إقرار له».

فخلى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر^(١).

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ١١٢-١١٣ في فضل مناقبه وما أعده الله تعالى لمحبيه.

حق الرعية

حكومة أمير المؤمنين عليه السلام أفضل نموذج للحكومة الإسلامية التي ينعم فيها الشعب ويتمتع بكامل حقوقه. وكان عليه السلام يبين للناس حقوقهم عليه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ. فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْتُكُمْ عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا. وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُكُمْ»^(١).

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: خطب علي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي ﷺ فصلى عليه، ثم قال: «... إِنْ أَحَقَّ مَا يَتَعَاهَدُ الرَّاعِي مِنْ رَعِيَّتِهِ أَنْ يَتَعَاهَدَهُمُ بِالَّذِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي وَظَائِفِ دِينِهِمْ، وَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَأْمُرَكُمْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْ نَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكَمُ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنْ نَقِيمَ أَمْرَ اللَّهِ فِي قَرِيبِ النَّاسِ وَبَعِيدِهِمْ لَا نَبَالِي فِيمَنْ جَاءَ الْحَقُّ عَلَيْهِ...»^(٢).

وعن رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب عليه السلام على مدرج سابور، فقال: «لَا تَضْرِبَنَّ رَجُلًا سَوْطًا فِي جَبَايَةِ دَرَاهِمٍ، وَلَا تَتَّعِنَنَّ لَهُمْ رِزْقًا، وَلَا كَسَوَةَ شَتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ، وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا تَقِيمَنَّ رَجُلًا قَائِمًا فِي طَلَبِ دَرَاهِمٍ».

قلت: يا أمير المؤمنين، إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك!

(١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٣٤ ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج.

(٢) الغارات: ج ٢ ص ٣٤٢ غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار.

قال: «وإن رجعت، ويحك إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل»^(١).

مقتطفات من كتابه إلى مالك الأشتر

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى مالك الأشتر النخعي لما ولاه مصر:

«وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ، وَتَعَرِّضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطْبِ. فَأَعْظِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ.

وقال عليه السلام: وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.

وقال عليه السلام: إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

وقال عليه السلام: «أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ».

وقال عليه السلام: «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي

الْعَدْلُ، وَاجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَثُونَةً فِي الرِّخَاءِ، وَأَقْلَرُ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِنْحَافِ، وَأَقْلَرُ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأُ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفُ صَبْرًا عِنْدَ مِلْمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ وَمِثْلُكَ مَعَهُمْ.

وقال عليه السلام: «وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ أَطْلُبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عِيوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مِنْ سِتْرِهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتِرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتِرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تَحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

وقال عليه السلام: «أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتَرٍ، وَتَغَابِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ؛ فَإِنَّ السَّاعِي غَاشٍ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وقال عليه السلام: «وَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَثُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا، وَإِنْ أَحَقَّ مِنْ حُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنْ أَحَقَّ مِنْ سَاءِ ظَنِّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ.

وقال عليه السلام: «وَأَكْثَرُ مَدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةِ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ»^(١).

(١) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

لا قصاص قبل الجناية

للعقوبات الإسلامية قوانين عادلة وحكيمة تفوق القوانين الجزائية فهي أعدلتها وأحسنها على الإطلاق، على تفصيل ذكرناه في بعض كتبنا^(١)، ومن مصاديقها عدم جواز القصاص قبل الجناية، وعدم الأخذ بسوء النية. نعم سيُحاسب ويُعاقب الشخص حتى على نيته يوم القيامة، وربما يُعاقب أيضاً، أما في الدنيا فلا يجازى بذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام يوماً لقاتله ابن ملجم: «أنت والله قاتلي لا محالة، وستخضب هذه من هذه - وأشار إلى لحيته ورأسه - ولقد قرب وقتك وحن زمانك!!». فقال ابن ملجم: والله يا أمير المؤمنين، إنك أحب إليّ من كل ما طلعت عليه الشمس! ولكن إذا عرفت ذلك مني فسيرني إلى مكان تكون ديارك من دياري بعيدة.

فقال عليه السلام: «كن مع أصحابك حتى آذن لكم بالرجوع إلى بلادكم»، ثم أمرهم بالنزول في بني تميم، فأقاموا ثلاثة أيام، ثم أمرهم بالرجوع إلى اليمن، فلما عزموا على الخروج مرض ابن ملجم مرضاً شديداً فذهبوا وتركوه، فلما برئ أتى أمير المؤمنين عليه السلام وكان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ويسارع في قضاء حوائجه، وكان عليه السلام يكرمه ويدعوه إلى منزله ويقربه!! وكان مع ذلك يقول له: «أنت قاتلي»، ويكرر عليه الشعر:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

(١) انظر كتاب: (الفقه: القانون)، و(الفقه: الحدود والتعزيرات)، و(الفقه: القصاص) للإمام الشيرازي

وكان يقول ابن ملجم له: يا أمير المؤمنين، إذا عرفت ذلك مني فاقتلني.
فيقول: «إنه لا يحل ذلك أن أقتل رجلاً قبل أن يفعل بي شيئاً».

فسمعت الشيعة ذلك، فوثب مالك الأشتر والحارث بن الأعور وغيرهما من
الشيعة فجردوا سيوفهم وقالوا: يا أمير المؤمنين، أنت إمامنا وولينا وابن عم نبينا
فمرنا بقتله.

فقال لهم: «اغمدوا سيوفكم بارك الله فيكم، ولا تشقوا عصا هذه الأمة،
أترون أنني أقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً»^(١).

رفقاً بالجنين

هناك شروط كثيرة لإجراء الحدود الشرعية ذكرناها في الفقه، وعلى الحاكم
أن لا يتسرع في إجرائها، بل يترك المذنب وشأنه^(٢)، فرمما تاب إلى الله عزوجل
ولم يرجع.

أما عنف الحاكم والأخذ بمجرد الظنة وما أشبه فلا يجوز، كما كان بعض من
غضب الخلافة في منتهى العنف والخشونة على الناس، فإنه ليس من الإسلام في
شيء.

عن أبي بصير، بسنده قال: أتت امرأة مجح أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت: يا
أمير المؤمنين، إنني زنت فطهرني طهرك الله؛ فإن عذاب الدنيا أيسر من عذاب
الآخرة الذي لا ينقطع.

فقال عليه السلام لها: «مما أطهرك؟».

فقالت: إنني زنت.

فقال عليه السلام لها: «أو ذات بعل أنت أم غير ذلك؟».

(١) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٦٢ ب ١٢٧.

(٢) هذا في الحدود وهي المرتبطة بحق الله عزوجل.

فقالت: بل ذات بعل.

فقال عليه السلام لها: «أفحاضراً كان بعلك إذ فعلت ما فعلت أم غائباً كان عنك؟». فقالت: بل.. حاضراً.

فقال عليه السلام لها: «انطلقني فضعي ما في بطنك، ثم اثني أطهركِ». فلما ولت عنه المرأة، فصارت حيث لا تسمع كلامه، قال عليه السلام: «اللهم إنها شهادة». فلم يلبث أن أتته، فقالت: قد وضعت فطهرني. قال: فتجاهل عليها، فقال عليه السلام: «أطهركِ يا أمة الله مما ذا؟». فقالت: إني زנית فطهرني.

فقال عليه السلام: «وذات بعل إذ فعلت ما فعلت؟». قالت: نعم. قال عليه السلام: «وكان زوجك حاضراً أم غائباً؟». قالت: بل حاضراً. قال عليه السلام: «فانطلقني وأرضعيه حولين كاملين كما أمركِ الله». قال: فانصرفت المرأة، فلما صارت من حيث لا تسمع كلامه، قال عليه السلام: «اللهم إنهما شهادتان».

قال: فلما مضى حولان أنت المرأة، فقالت: قد أرضعته حولين، فطهرني يا أمير المؤمنين. فتجاهل عليها وقال عليه السلام: «أطهركِ مما ذا؟». فقالت: إني زנית فطهرني.

قال عليه السلام: «وذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟». فقالت: نعم. قال عليه السلام: «وبعلك غائب عنك إذ فعلت ما فعلت أو حاضر؟». قالت: بل حاضر.

قال عليه السلام: «فانطلقني فاكفليه، حتى يعقل أن يأكل ويشرب، ولا يتردى من سطح، ولا يتهور في بئر».

قال: فانصرفت وهي تبكي، فلما ولت فصارت حيث لا تسمع كلامه، قال عليه السلام: «اللهم إنها ثلاث شهادات».

قال: فاستقبلها عمرو بن حريث المخزومي، فقال لها: ما يبكيكِ يا أمة الله، وقد رأيتكِ تختلفين إلى علي عليه السلام، تسألينه أن يطهركِ؟.

فقالت: إني أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فسألته أن يطهرني، فقال: اكفلي ولدكِ حتى يعقل أن يأكل ويشرب، ولا يتردى من سطح، ولا يتهور في بئر، وقد خفت أن يأتي علي الموت ولم يطهرني.

فقال لها عمرو بن حريث: ارجعي إليه فأنا أكفله.

فرجعت فأخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بقول عمرو.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام وهو متجاهل عليها: «ولم يكفل عمرو ولدكِ؟». فقالت: يا أمير المؤمنين، إني زنت فطهرني.

فقال عليه السلام: «وذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟». قالت: نعم.

قال عليه السلام: «أفغائباً كان بعلكِ إذ فعلت ما فعلت أم حاضراً؟».

فقالت: بل حاضراً.

قال: فرفع رأسه إلى السماء، وقال عليه السلام: «اللهم إنه قد ثبت لك عليها أربع شهادات، وإنك قد قلت لنبيك ﷺ فيما أخبرته به من دينك: يا محمد من عطل حداً من حدودي، فقد عاندني وطلب بذلك مضادتي، اللهم فإني غير معطل حدودك، ولا طالب مضادتك، ولا مضيع لأحكامك، بل مطيع لك، ومتبع سنة نبيك ﷺ». قال: فنظر إليه عمرو بن حريث وكأنا الرمان يفقأ في وجهه، فلما رأى ذلك عمرو قال: يا أمير المؤمنين، إني إنما أردت أكفله، إذ ظننت أنك تحب ذلك، فأما إذا كرهته فإني لست أفعل.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أبعد أربع شهادات بالله، لتكفلنه وأنت صاغر».

فصعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر فقال: «يا قنبر، ناد في الناس: الصلاة جامعة»، فنأى قنبر في الناس، فاجتمعوا حتى غص المسجد بأهله، وقام أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إن إمامكم خارج

بهذه المرأة إلى هذا الظهر، ليقيم عليها الحد إن شاء الله، فعزم عليكم أمير المؤمنين لما خرجتم وأنتم متكرون، ومعكم أحجاركم، لا يتعرف أحد منكم إلى أحد، حتى تنصرفوا إلى منازلكم إن شاء الله».

قال: ثم نزل، فلما أصبح الناس بكرة خرج بالمرأة، وخرج الناس متكرين، مثلثمين بعمائمهم وبأرديتهم، والحجارة في أرديتهم وفي أكمامهم، حتى انتهى بها والناس معه إلى الظهر بالكوفة، فأمر أن يحفر لها حفيرة، ثم دفنها فيها، ثم ركب بغلته وأثبت رجله في غرز الركاب، ثم وضع إصبعيه السبابتين في أذنيه، ثم نادى بأعلى صوته: «يا أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى عهد إلى نبيه ﷺ عهداً عهدته محمد ﷺ إليّ بأنه لا يقيم الحد من الله عليه حد، فمن كان عليه حد مثل ما عليها فلا يقيم عليها الحد».

قال: فانصرف الناس يومئذ كلهم، ما خلا أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحد يومئذ وما معهم غيرهم^(١).

اذهب حتى نسأل عنك

عن أحمد بن محمد بن خالد، رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: أتاه رجل بالكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين، إني زيت فطهرني. قال عليه السلام: «من أنت؟». قال: من مزينة.

قال عليه السلام: «أقرأ من القرآن شيئاً؟». قال: بلى.

قال عليه السلام: «فاقرأ». فقرأ فأجاد.

فقال عليه السلام: «أبك جنة؟». قال: لا.

قال عليه السلام: «فاذهب حتى نسأل عنك». فذهب الرجل ثم رجع إليه بعد،

فقال: يا أمير المؤمنين، إني زيت فطهرني.

فقال عليه السلام: «ألك زوجة؟». قال: بلى.

قال عليه السلام: «فمقيمة معك في البلد؟». قال: نعم.

قال: فأمره أمير المؤمنين عليه السلام فذهب، وقال عليه السلام: «حتى نسأل عنك».

فبعث إلى قومه فسأل عن خبره. فقالوا: يا أمير المؤمنين، صحيح العقل.

فرجع إليه الثالثة فقال له مثل مقالته، فقال عليه السلام له: «اذهب حتى نسأل عنك».

فرجع إليه الرابعة فلما أقر، قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: «احتفظ به»، ثم

غضب ثم قال عليه السلام: «ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش

فيفضح نفسه على رؤوس الملأ، أفلا تاب في بيته، فوالله لتوبته فيما بينه وبين

الله، أفضل من إقامتي عليه الحد».

ثم أخرجه ونادى في الناس: «يا معشر المسلمين، اخرجوا ليقام على هذا

الرجل الحد، ولا يعرفن أحدكم صاحبه»، فأخرجه إلى الجبان. فقال: يا أمير

المؤمنين، أنظرني أصلي ركعتين. ثم وضعه في حفرة واستقبل الناس بوجهه،

فقال عليه السلام: «يا معاشر المسلمين، إن هذا حق من حقوق الله عز وجل، فمن كان

لله في عنقه حق فلينصرف، ولا يقيم حدود الله من في عنقه لله حد». فانصرف

الناس وبقي هو والحسن والحسين عليهما السلام، فأخذ حجراً فكبر ثلاث تكبيرات، ثم

رماه بثلاثة أحجار في كل حجر ثلاث تكبيرات، ثم رماه الحسن عليه السلام مثل ما

رماه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم رماه الحسين عليه السلام فمات الرجل، فأخرجه أمير

المؤمنين عليه السلام فأمر فحفر له وصلى عليه ودفنه.

فقيل: يا أمير المؤمنين، ألا تغسله؟.

فقال عليه السلام: «قد اغتسل بما هو طاهر إلى يوم القيامة، لقد صبر على أمر

عظيم»^(١).

٢٠

مع المنافقين

كان تعامل أمير المؤمنين عليه السلام مع المنافقين كتعامل رسول الله ﷺ معهم، فعفا عنهم وأصفح، ولم يعاقبهم ولم يمنعهم من حقوقهم، بل أحسن إليهم. وكان الإمام عليه السلام لم يبدأ بحرب أحد منهم إلا من بدأ هو بحربه وحرب المسلمين.

وكان المنافقون يتمتعون في حكومته العادلة بكامل حرياتهم المشروعة. خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «سلوني؛ فإني لا أسأل عن شيء دون العرش إلا أجبت فيه، لا يقولها بعدي إلا جاهل مدع أو كذاب مفتر». فقام رجل من جانب مسجده في عنقه كتاب كأنه مصحف، وهو رجل آدم ضرب طوال، جعد الشعر كأنه من مهودة العرب، فقال رافعاً صوته لعلي عليه السلام: أيها المدعي ما لا يعلم! والمقلد ما لا يفهم! أنا السائل فأجب.

فوثب به أصحاب علي عليه السلام وشيعته من كل ناحية فهموا به، فنهروهم علي عليه السلام فقال لهم: «دعوه ولا تعجلوه؛ فإن الطيش لا تقوم به حجج الله، ولا به تظهر براهين الله».

ثم التفت عليه السلام إلى الرجل وقال له: «سل بكل لسانك وما في جوانحك فإني أجيبك، إن الله تعالى لا تعتلج عليه الشكوك، ولا يهيجه وسن»^(١).

مع الكفار والمشركين

كان تعامل أمير المؤمنين عليه السلام كتعامل رسول الله ﷺ مع الكفار والمشركين وأهل الذمة والمعاهدين. حيث كان ينظر إليهم نظرة إنسانية ويعاملهم بأفضل ما يمكن. ففي (نهج البلاغة) - في كتابه إلى الأشر النخعي - قال عليه السلام:

«وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من آذى ذمياً فكأنما آذاني»^(٢).

وفي كتاب (الجعفریات) - باب من ظلم ذمياً وأخذ شيئاً من أموالهم، وباب الاستئذان على أهل الذمة -: عن علي عليه السلام، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شيئاً من أموال أهل الذمة ظلماً فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين»^(٣). وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا على نساء أهل الذمة إلا بإذن»^(٤).

هذا وقد خاطب عليه السلام المشركين بالأخوة، كما قال في جواب اليهودي الذي سأله عن بعض المسائل: «يا أخا اليهود...»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٧ ص ١٤٧ الكتب والرسائل رقم ٦٠ ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيوش.

(٣) الجعفریات: ص ٨١ باب من ظلم ذمياً وأخذ شيئاً من أموالهم.

(٤) الجعفریات: ص ٨١-٨٢ باب الاستئذان على أهل الذمة.

ولاية أمير المؤمنين عليه السلام

ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام والاعتقاد بإمامته من أهم الواجبات والفرائض، وقد جعلها الله تعالى المتمم لنعمته والمكمل لدينه، وبها رضي الباري الإسلام لنا ديناً.

قال عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(١).

عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي إلى السماء قال لي العزيز الجبار: يا محمد، إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها، واشتقت لك اسماً من أسمائي، لا أذكر في مكان إلا ذكرت معي، فأنا محمود وأنت محمد. ثم اطلعت الثانية اطلاعة فاخترت منها علياً، واشتقت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي. يا محمد، خلقت و خلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام أشباح نور من نوري، وعرضت ولايتكم على السماوات وعلى الأرضين ومن فيهن، فمن قبل ولايتكم كان عندي من الأظفرين، ومن جحدتها كان عندي من الكفار. يا محمد، لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم»^(٢)، الخبر.

وعن سالم الحنط، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٦١-٣٦٢ ب ١١ ح ٦١.

عَرَبِيٍّ مُبِينٍ»^(١)؟ قال: «هي الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾^(٣)، قال: «هي الولاية»^(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ﴾^(٥)، قال: «النبأ العظيم الولاية». وسألته عن قوله: ﴿هَذَاكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾^(٦)، قال: «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»^(٧).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «بني الإسلام على خمس، على: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»^(٨).

وكان النبي ﷺ يؤكد دائماً على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وفي مختلف المناسبات، من يوم الدار^(٩) إلى آخر لحظة من حياته الشريفة، وكان من أهمها يوم الغدير على ما سيأتي.

قال النبي ﷺ: «يا علي، أنت ولي كل مؤمن بعدي»، وهذا حديث رواه الفريقان^(١٠).

وقال ﷺ: «يا علي، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنك لأفضل الخليفة بعدي. يا علي، أنت وصيي وإمام أمتي، من أطاعك أطاعني، ومن عصاك

(١) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤١٢ باب فيه نكت ونف من التنزيل في الولاية ح ١.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٥٤ سورة الروم مكية.

(٥) سورة النبأ: ٢-١.

(٦) سورة الكهف: ٤٤.

(٧) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٣٥٢ ب ٦٧ ح ٧١.

(٨) الكافي: ج ٢ ص ١٨ باب دعائم الإسلام ح ١.

(٩) حيث نزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ - سورة الشعراء: ٢١٤..

(١٠) ينابيع المودة للقندوزي: ج ٢ ص ٨٦ ب ٥٦ ح ١٦٥، نشر دار الأسوة، الطبعة الأولى عام ١٤١٦ هـ.

عصاني»^(١).

وقال عليه السلام: «من سرّه أن يجوز على الصراط كالريح العاصف، ويلج الجنة بغير حساب، فليتل وليي ووصيي وصاحبي وخليفتي على أهلي وأمتي علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن سرّه أن يلج النار فليترك ولايته، فو عزة ربي وجلاله إنه لباب الله الذي لا يؤتى إلاّ منه، وإنه الصراط المستقيم، وإنه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٩٠ ب ٦١ ح ٢.

(٢) الأمالي للصدوق: ص ٢٨٨ المجلس ٤٨ ح ٤.

مكانة القرآن الكريم

كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على دور القرآن الكريم، وضرورة الأخذ به، والاهتمام بعلومه، والعمل بأوامره، وتطبيقه في الحياة، حتى قال عليه السلام في آخر وصيته: «الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم»^(١).

وقام الإمام عليه السلام بجمع علوم القرآن وتفسيره وتأويله في كتاب خاص توارثه الأئمة من أهل البيت عليه السلام واحداً بعد واحد، وهو موجود اليوم عند الإمام المهدي المنتظر عليه السلام. وعندما سمع الإمام عليه السلام بلحن البعض في القراءة وضع علم النحو، كما سبق.

عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً عليه السلام يخطب وهو يقول: «سلوني، فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به. واسألوني عن كتاب الله، فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أ بليل نزلت أم نهار، أم في سهل أم في جبل»^(٢).

وخطب عليه السلام فقال: «لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلا وأنا عالم متى أنزلت وفيمن أنزلت»^(٣).

وقال علي عليه السلام: «إن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به»^(٤).

وقال عليه السلام: «كفى بالقرآن داعياً»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٤٧ ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليه السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٧٩ ب ٩٣ ح ٦١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ١٣٦ من خطب الإمام علي أيضاً.

(٤) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٨ ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا، وفيه يذم أهل الرأي، ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٠ ق ١ ب ٤ ف ٤ حقيقة القرآن ح ١٩٦٦.

وقال عليه السلام في القرآن: «نور لمن استضاء به، وشاهد لمن خاصم به، وفلج لمن حاج به، وعلم لمن وعى، وحكم لمن قضى»^(١).

وقال عليه السلام في القرآن: «هو الذي لا تزيع به الأهواء، ولا تلتبس به الشبه والآراء»^(٢).

وقال عليه السلام في القرآن: «هو الفصل ليس بالهزل، هو الناطق بسنة العدل، والأمر بالفضل، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، هو وحي الله الأمين، وحبله المتين، وهو ربيع القلوب، وينابيع العلم، وهو الصراط المستقيم، هو هدى لمن أتم به، وزينة لمن تحلى به، وعصمة لمن اعتصم به، وحبل لمن تمسك به»^(٣).

وقال عليه السلام: «القرآن أفضل الهدايتين»^(٤).

وقال عليه السلام في القرآن: «اتبعوا النور الذي لا يطفأ، والوجه الذي لا يبلى، واستسلموا وسلموا لأمره، فإنكم لن تضلوا مع التسليم»^(٥).

وقال عليه السلام: «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب»^(٦).

وقال عليه السلام: «من اتخذ قول الله دليلاً هُدي إلى التي هي أقوم»^(٧).

وقال عليه السلام: «ما جالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان في عمى»^(٨).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٠ ق ١ ب ٤ ف ٤ حقيقة القرآن ح ١٩٦٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٠ ق ١ ب ٤ ف ٤ حقيقة القرآن ح ١٩٦٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٠-١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ حقيقة القرآن ح ١٩٦٩.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ هداية القرآن ح ١٩٧١.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ هداية القرآن ح ١٩٧٢.

(٦) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٧٦ ومن خطبة له عليه السلام وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ هداية القرآن ح ١٩٧٤.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ هداية القرآن ح ١٩٧٥.

وقال عليه السلام: «لن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه»^(١).

وقال عليه السلام: «إذا دعاك القرآن إلى خلة جميلة فخذ نفسك بأمثالها»^(٢).

وقال عليه السلام: «تمسك بجبل القرآن وانتصحه، وحلل حلاله، وحرّم حرامه، واعمل بعزائمه وأحكامه»^(٣).

وقال عليه السلام: «سلوا الله الإيمان واعملوا بموجب القرآن»^(٤).

وقال عليه السلام: «ما آمن بما حرّمه القرآن من استحلّه»^(٥).

وقال عليه السلام: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلّا رسمه، ولا من الإسلام إلّا اسمه، مساجدهم يومئذ عامرة من البنى، خالية عن الهدى»^(٦).

وقال عليه السلام: «تدبروا آيات القرآن واعتبروا به؛ فإنه أبلغ العبر»^(٧).

وقال عليه السلام: «عليكم بهذا القرآن، أحلّوا حلاله وحرّموا حرامه، واعملوا بحكمه، وردّوا متشابهه إلى عالمه؛ فإنه شاهد عليكم، وأفضل ما به توسلتم»^(٨).

وقال عليه السلام: «أهل القرآن أهل الله وخاصته»^(٩).

وقال عليه السلام: «ليكن سميرك القرآن»^(١٠).

وقال عليه السلام: «ليس لأحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن غنى»^(١١).

(١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٤٧ ومن خطبة له عليه السلام.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ العمل بالقرآن ح ١٩٧٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ العمل بالقرآن ح ١٩٧٨.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ العمل بالقرآن ح ١٩٧٩.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ العمل بالقرآن ح ١٩٨٠.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ العمل بالقرآن ح ١٩٨١.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ التدبير في القرآن ح ١٩٨٥.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ التدبير في القرآن ح ١٩٨٦.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ أهل القرآن ح ١٩٨٧.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ أهل القرآن ح ١٩٨٨.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١١ ق ١ ب ٤ ف ٤ أهل القرآن ح ١٩٨٩.

منزلة أهل البيت عليه السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام كأخيه رسول الله ﷺ يؤكد كثيراً على مكانة أهل البيت عليه السلام وضرورة التمسك بهم، كما كان يؤكد على ضرورة الإقتداء بهدي النبي ﷺ وطاعته.

عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا أهل بيت قد أذهب الله عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن»^(١).

وقال علي عليه السلام: «يا أيها الناس، إنه لم يكن لله سبحانه حجة في أرضه أوكد من نبينا محمد ﷺ، ولا حكمة أبلغ من كتابه القرآن العظيم، ولا مدح الله تعالى منكم إلا من اعتصم بحبله واقتدى بنبيه، وإنا هلك من هلك عندما عصاه، وخالفه واتبع هواه، فلذلك يقول عز من قائل:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)»^(٣).

وقال عليه السلام: «أسعد الناس من عرف فضلنا، وتقرب إلى الله بنا، وأخلص حبنا، وعمل بما إليه ندبنا، وانتهى عما عنه نهينا، فذاك منا وهو في دار المقامة معنا»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١١٦ ب ٧ ح ٢٩، والبحار: ج ٣٨ ص ٦٢ ب ٥٩ ضمن ح ١.

(٢) سورة النور: ٦٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٠ ق ١ ب ٤ ف ٣ ح ١٩٦١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٥ ق ١ ب ٥ ف ١ في ضرورة الإمامة ووصف من عرفهم ح ١٩٩٥.

وقال عليه السلام: «من مات على فراشه وهو على معرفة حق ربه ورسوله وحق أهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله سبحانه، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت نيته مقام إصلاته سيفه؛ فإن لكل شيء أجلاً لا يعدوه»^(١).
وقال عليه السلام: «ألا وإنا أهل البيت أبواب الحكم، وأنوار الظلم، وضياء الأمم»^(٢).

وقال عليه السلام: «أين تتيهون، ومن أين تؤتون، وأنى تؤفكون، وعلامَ تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمة الصدق، وألسنة الحق؟»^(٣).
وقال عليه السلام: «أنا وأهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء»^(٤).

وقال عليه السلام: «نحن دعاة الحق، وأئمة الخلق، وألسنة الصدق، من أطاعنا ملك، ومن عصانا هلك»^(٥).

وقال عليه السلام: «من تمسك بنا لحق ومن تخلف عنا محق»^(٦).

وقال عليه السلام: «من ركب غير سفينتنا غرق»^(٧).

-
- (١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٥ ق ١ ب ٥ ف ١ في ضرورة الإمامة ووصف من عرفهم ح ١٩٩٧.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٥ ق ١ ب ٥ ف ١ في فضائلهم ح ١٩٩٩.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٥ ق ١ ب ٥ ف ١ في فضائلهم ح ٢٠٠٠.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٦ ق ١ ب ٥ ف ١ في فضائلهم ح ٢٠٠٥.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٦ ق ١ ب ٥ ف ١ في فضائلهم ح ٢٠٠٨.
(٦) تحف العقول: ص ١١٦ آدابه عليه السلام لأصحابه وهي أربعمائة باب للدين والدنيا.
(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٦ ق ١ ب ٥ ف ١ التمسك بهم ح ٢٠٢٩.

آيات في فضل الإمام عليه السلام

هناك مئات الآيات الشريفة من القرآن الكريم نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام ، بل أكثر من ذلك ، وقد جمع بعض تلك الآيات سماحة الأخ في كتابه (علي في القرآن)^(١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «نزل القرآن أثلاثاً ، ثلث فينا وفي عدونا ، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام»^(٢).
وقال ابن عباس : نزلت في علي عليه السلام أكثر من ثلاثمائة آية^(٣).
ومن تلك الآيات :

قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) ، فإنه صراط علي عليه السلام.
وقوله سبحانه : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٥).

(١) من تأليفات سماحة آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي رحمته الله في كربلاء المقدسة ، ويقع في مجلدين ، ويشتمل على ٧١١ آية شريفة من القرآن الكريم نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، على ما جله في مصادر العامة وكتبهم المعتبرة ، تبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الإخلاص . فالجزء الأول يقع في ٥٠٣ صفحة قياس ١٧×٢٤ ويشتمل على ٢٤٨ آية كريمة من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف . والجزء الثاني يقع في ٦٨٨ صفحة قياس ١٧×٢٤ ويشتمل على ٤٦٣ آية كريمة من سورة مريم إلى سورة الإخلاص .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٦٢٧ باب النوادر ح ٢.

(٣) ينابيع المودة : ج ٢ ص ٤٠٦ ب ٥٩ في ثناء الصحابة والسلف على علي عليه السلام ح ٧٢ ، نشر دار الأسوة ، الطبعة الأولى عام ١٤١٦ هـ . قال القندوزي الحنفي : أخرج الطبراني ، عن ابن عباس قال : (نزلت في علي عليه السلام ثلاثمائة آية).

(٤) سورة الفاتحة : ٦ .

(٥) سورة المائدة : ٥٥ .

وقوله تعالى: ﴿وَتَعْبَهَا أَذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(١).

وقوله سبحانه: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٣).

وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥).

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٦).

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٧).

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ

(١) سورة الحاقة: ١٢.

(٢) سورة آل عمران: ٦١.

(٣) سورة البقرة: ٤٣.

(٤) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٥) سورة البقرة: ٢٧٤.

(٦) سورة النساء: ٥٩.

(٧) سورة المائدة: ٣.

(٨) سورة المائدة: ٥٤.

الْغَالِبُونَ»^(١).

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»^(٣).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا»^(٥).

عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ما في القرآن آية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٦) إلا وعلي عليه السلام أميرها وشريفها، وما من أصحاب محمد رجل إلا وقد عاتبه الله وما ذكر علياً إلا بخير. قال عكرمة: إني لأعلم لعلي عليه السلام منقبة لو حدثت بها لبعدت أقطار السماوات والأرض^(٧).

وفي روايات عديدة بأسناد مختلفة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله تعالى آية في القرآن فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾»^(٨) إلا وعلي أميرها وشريفها»^(٩).

(١) سورة المائدة: ٥٦.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

(٣) سورة هود: ١٧.

(٤) سورة الرعد: ٧.

(٥) سورة الإسراء: ٧١.

(٦) وردت في ٤٧ موضعاً من القرآن الكريم.

(٧) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٣٥٢ من سورة الكهف ح ٩١.

(٨) وردت في ٨٩ موضعاً من القرآن المجيد.

(٩) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٧٦.

روايات في فضل الإمام عليه السلام

لا يمكن لأحد أن يحصي فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، فلو كانت البحار مداداً والأشجار أقلاماً والخلق كتاباً لما تمكنوا من إحصائها.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾^(١).

ونشير إلى بعض تلك الفضائل التي وردت على لسان رسول الله ﷺ:

قال رسول الله ﷺ: «يا علي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، رواه الفريقان^(٢).

وقال ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه كيفما دار»، رواه الفريقان^(٣).

وقال ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم عليه السلام في علمه، وإلى نوح عليه السلام في تقواه، وإلى إبراهيم عليه السلام في حلمه، وإلى موسى عليه السلام في هيبته، وإلى عيسى عليه السلام في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب»، رواه الفريقان^(٤).

وقال ﷺ: «علي مني وأنا منه»، رواه الفريقان^(٥).

(١) سورة الكهف: ١٠٩.

(٢) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٠ كتاب فضائل الصحابة، من فضائل علي عليه السلام.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٤٤٩ نشر دار الفكر، بيروت - لبنان، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٤) ذخائر العقبى للطبري: ص ٩٣ نشر مكتبة القدسي، سنة ١٣٥٦. وهو مروي بألفاظ مختلفة.

(٥) السنن الكبرى للنسائي: ج ٥ ص ٤٥ فضائل علي عليه السلام ح ٨١٤٧، ص ١٢٦ ح ٨٤٥٢ و ٨٤٥٣.

و ٨٤٥٤ ص ١٢٨ ح ٨٤٥٩، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.

وقال عليه السلام: «من آذى علياً فقد آذاني»، رواه الفريقان^(١).

وقال عليه السلام لعلي عليه السلام: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي»، رواه الفريقان^(٢).

وقال عليه السلام: «من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي؛ فإنهم عترتي، خلّقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»، رواه الفريقان^(٣).

وقال عليه السلام: «من سبّ علياً فقد سبني»، رواه الفريقان^(٤).

وقال عليه السلام: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني»، رواه الفريقان^(٥).

وقال عليه السلام: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، رواه الفريقان^(٦).

وقال عليه السلام: «النظر إلى وجه علي عبادة»، رواه الفريقان^(٧).

وقال عليه السلام: «يا علي، طوبى لمن أحببك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك»، رواه الفريقان^(٨).

(١) مسند أحمد: ج ٣ ص ٤٨٣، نشر دار صادر - بيروت.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ج ٢ ص ٨٦ ب ٥٦ ح ١٥٩، نشر دار الأسوة، الطبعة الأولى عام ١٤١٦ هـ.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج ٩ ص ١٧٠ ذكر الأحاديث والأخبار الواردة في فضل علي عليه السلام.

(٤) المستدرک للحاكم: ج ٣ ص ١٢١ من سبّ علياً، نشر دار المعرفة - بيروت، عام ١٤٠٦ م.

(٥) كنز العمال: ج ١١ ص ٦١٤ ف ٣ ب ٢ فضائل علي عليه السلام، ح ٣٢٩٧٣، نشر مؤسسة الرسالة بيروت.

(٦) الجامع الصغير للسيوطي: ج ٢ ص ١٧٧ حرف العين ح ٥٥٩٤، نشر دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ.

(٧) مناقب الخوارزمي: ص ٣٦١ ف ٢٣ ح ٣٧٣، نشر مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ٢٤ عام ١٤١١ هـ.

(٨) مسند أبي يعلى الموصلي: ج ٣ ص ١٧٨-١٧٩ ح ١٦٠٢، نشر المأمون للتراث - دمشق، دار الثقافة العربية - دمشق.

وقال عليه السلام: «يا علي، لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»، رواه الفريقان^(١).

وقال عليه السلام لعلي عليه السلام: «إن الأمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي، وتُقتل على سنتي، من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وأن هذه ستُخضب من هذا، يعني لحيته من رأسه»، رواه الفريقان^(٢).

إنه عليه السلام خير البشر

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام خير البشر بعد رسول الله ﷺ.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان علي عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولى الناس بالناس»، حتى قالها ثلاثاً^(٣).

وعن سالم بن أبي الجعد، قال: سئل جابر بن عبد الله الأنصاري - وقد سقط حاجباه على عينيه - فقيل له: أخبرنا عن علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فرجع حاجبه بيده ثم قال: (ذاك خير البرية لا يبغضه إلا منافق، ولا يشك فيه إلا كافر)^(٤).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام مبتدئاً: «﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾»^(٥) هم أنت وشيعتك،

(١) روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري: أن كنا لنعرف المنافقين نحن معاصر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب... سنن الترمذي: ج ٥ ص ٢٩٨ مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ب ٨٣ ح ٣٨٠٠، نشر دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣ هـ.

وروى الحاكم في (المستدرک) بسنده عن أبي ذر: (ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلي بن أبي طالب). المستدرک للحاكم: ج ٣ ص ١٢٩ من علامات المنافق بغض علي، نشر دار المعرفة - بيروت، عام ١٤٠٦ م.

(٢) كنز العمال: ج ١١ ص ٢٩٧ فن الخوارج ح ٣١٥٦٢، نشر مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٨٠ وصية النبي ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام ح ٣٦.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٨ ص ١٨٢ ح ٨ ص ٢٢٤٤٨.

(٥) سورة البينة: ٧.

وميعادي وميعادكم الخوض إذا حشر الناس حيث أنت وشيعتك شباعاً مرويين،
غراً محجلين»^(١).

وفي رواية جابر: (كان أصحاب رسول الله ﷺ إذ أقبل علي قالوا: جاء
خير البرية)^(٢).

وعن مطر بن ميمون: أنه سمع أنس بن مالك يقول: حدثني سلمان
الفارسي: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن أخي ووزيرني وخير من أخلفه بعدي
علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٣).

وقال النبي ﷺ: «خير رجالكم علي بن أبي طالب، وخير شبابكم الحسن
والحسين، وخير نسائكم فاطمة بنت محمد»^(٤).

وروي عن سلمان أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير هذه الأمة علي بن
أبي طالب»^(٥).

وكان جابر بن عبد الله الأنصاري يدور في سكك الأنصار بالمدينة وهو
يقول: (علي خير البشر فمن أبى فقد كفر. يا معاشر الأنصار، أدّبوا أولادكم
على حبّ علي، فمن أبى فانظروا في شأن أمه)^(٦).

(١) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٠٥ مجلس في ذكر فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٩ ب ٥٦ ضمن ح ١٣.

(٣) مناقب الخوارزمي: ص ١١٢ ف ١٠ ح ١٢١، نشر مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة، الطبعة الثانية
عام ١٤١١هـ.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر: ج ٤١ ص ١٦٧ ترجمة الحسين بن علي رقم ١٥٦٦، نشر دار
الفكر، بيروت - لبنان، عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٥) شرح الأخبار، للقاضي النعمان المغربي: ج ١ ص ٤٣١-٤٣٢ ح ٧٦، نشر مؤسسة النشر الإسلامي -
قم المقدسة.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٩٣ باب تأديب الولد وامتحانه ح ٤٧٤٤.

حرب الجمل

أخبر رسول الله ﷺ في حديث رواه الفريقان بحرب أمير المؤمنين علي عليه السلام مع أهل الجمل وصفين ونهروان، وأن علياً عليه السلام على الحق ومن يحاربه على الباطل.

روى النسائي في (الخصائص) بسنده عن أبي سعيد الخدري: كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ، فخرج إلينا وقد انقطع شسع نعله. فرمى به إلى علي، فقال: «إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله». قال أبو بكر: أنا؟ قال: «لا». قال عمر: أنا؟ قال: «لا»، ولكن خاصف النعل»^(١).

وفي التاريخ: أنه لما قُتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار. وفيهم طلحة والزبير. فأتوا علياً عليه السلام لمبايعته.. فقالوا له: إنه لا بد للناس من إمام. قال عليه السلام: «لا حاجة لي في أمركم اختاروا من شئتم». فقالوا: ما نختار غيرك. وترددوا إليه مراراً، وقالوا له في آخر ذلك: إننا لا نعلم أحداً أحق به منك، ولا أقدم سابقةً، ولا أقرب قرابةً من رسول الله. فقال عليه السلام: «لا تفعلوا؛ فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً». فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

قال عليه السلام: «ففي المسجد؛ فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا في المسجد»^(٢). فبايعه جميع الناس وكان أول من بايعه من الناس طلحة والزبير.

(١) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ص ١٣ علي يقاتل على تأويل القرآن، ط مكتبة نيوى الحديثة.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٣ ص ٨١ ذكر بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، دار الكتب

وأكد عليهما أمير المؤمنين عليه السلام بأنه إن أحببتهما بايعا، وإلا فلا تبايعا، فقالا: بل نبايعك.. ثم بايعه الناس بأجمعهم. وقد بُوع عليه السلام يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

وكانت البيعة باختيار من الناس فلا إكراه لأحد، فإنه قال بعضهم قبل أن يبايع: لا نبايع حتى يبايع الناس، فقال عليه السلام: خلّوا سبيلهم. فلما بايع الناس بايع هؤلاء أيضاً باختيارهم.

وروي: أنهم لما أتوا علياً عليه السلام ليبايعوه، قال عليه السلام: «دعوني والتمسوا غيري؛ فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول». فقالوا: ننشدك الله، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى الإسلام، ألا ترى الفتنة، ألا تخاف الله!.

فقال عليه السلام: «قد أجبتكم، واعلموا أنني إن أجبتكم أركب بكم ما أعلم؛ فإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم».

ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد، فلما أصبحوا يوم البيعة - وهو يوم الجمعة - حضر الناس المسجد، وجاء علي عليه السلام فصعد المنبر. وقال:

«أيها الناس، عن ملأ وإذن إن هذا أمركم، ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر وكنت كارهاً لأمركم فأيتيم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي دونكم إلا مفاتيح ما لكم معي، وليس لي أن آخذ درهماً دونكم؛ فإن شئتم قعدت لكم وإلا فلا آخذ على أحد».

فقالوا: نحن على ما فارقتك عليه بالأمس.

فقال عليه السلام: «اللهم اشهد»^(١).

يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج: لما بوع علي عليه السلام كتب إلى معاوية: «أما بعد فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني، وبايعوني عن مشورة منهم

واجتماع. فإذا أتاك كتابي فبايع لي وأوفد إليَّ أشراف أهل الشام قبلك».

فلما قدم رسوله على معاوية وقرأ كتابه، بعث رجلاً من بني عميس وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام وفيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين! من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك. أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب؛ فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرها الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير أظفركما الله وخذل منافئكما).

فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سرَّ به وأعلم به طلحة وأقرأه إياه، فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام.

وجاء الزبير وطلحة إلى علي عليه السلام بعد البيعة بأيام. فقالا له: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها، وعلمت رأي عثمان كان في بني أمية، وقد ولاك الله الخلافة من بعده فولَّنا بعض أعمالك.

فقال عليهما: «ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي، واعلما أنني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي ومن قد عرفت دخيلته». فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس، فاستأذناه في العمرة.

فقال عليهما: «ما العمرة تريدان». فحلفا له بالله أنهما ما يريدان غير العمرة.

فقال عليهما: «ما العمرة تريدان، وإنما تريدان الغدرة ونكت البيعة».

فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكت بيعة يريدان، وما رأيهما غير العمرة.

قال عليهما: «فأعيدا البيعة لي ثانية». فأعادها بأشد ما يكون من الإيمان

والمواثيق. فأذن لهما، فلما خرجا من عنده قال لمن كان حاضراً: «والله

لاترونهما إلا في فتنة يقتتلان فيها». قالوا: يا أمير المؤمنين، فمر بردهما عليك. قال عليه السلام: «ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً».

ولما خرج الزبير وطلحة من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحداً إلا وقالوا له: ليس لعلي عليه السلام في أعناقنا بيعة!، وإنما بايعناه مكرهين! فبلغ علياً عليه السلام قولهما، فقال عليه السلام: «أبعدهما الله وأغرب دارهما، أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم، والله ما العمرة يريدان. ولقد أتاني بوجهي فاجرين، ورجعا بوجهي غادرين ناكثين. والله لا يلقاني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء يقتتلان فيها أنفسهما، فبعداً لهما وسحقاً»^(١).

ثم إن طلحة والزبير لما خرجا إلى البصرة قاما بتسيير عائشة معهما بحجة إسباغ الشرعية على بغيهما على أمير المؤمنين عليه السلام، وعندما وردوا البصرة قاموا بأعمال شنيعة مخالفة للدين والإنسانية أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له عندما جمع أصحابه في البصرة وهو يحرضهم على قتالهم، فكان مما قال عليه السلام: «عباد الله انهذوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم؛ فإنهم نكثوا بيعتي، وأخرجوا ابن خنيف عاملي بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة، وقتلوا السياجة، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدى، وقتلوا رجلاً صالحين، ثم تتبعوا منهم من نجا يأخذونهم في كل حائط وتحت كل رابية، ثم يأتون بهم فيضربون رقابهم صبراً»^(٢).

وقد أرسل أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل، وقال له: «لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ؛ فَإِنَّكَ إِن تَلَقَهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ، وَلَكِنَّ الْقَاصِدَ الزُّبَيْرَ؛ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٣٠-٢٣٢ أمر طلحة والزبير مع علي بن أبي طالب عليه السلام بعد بيعتهما له.

(٢) الإرشاد: ج ١ ص ٢٥٢-٢٥٣ فصل ومن كلامه عليه السلام حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرضهم على الجهاد.

عَرَبِيَّةً فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأُنْكِرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ»^(١).

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام، قال: «سألت ابن عباس (رضي الله عنه) عن ذلك. فقال: إني قد أتيت الزبير فقلت له. فقال: قل له: إني أريد ما تريد. كأنه يقول الملك، لم يزدني على ذلك، فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته»^(٢).

وقام الأعداء بتشكيل جيش في البصرة لمحاربة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فزحف علي عليه السلام بالناس غداة يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وعلى يمينته الأشتر وسعيد بن قيس، وعلى يسارته عمار وشريح بن هاني، وعلى القلب محمد بن أبي بكر وعدي بن حاتم، وعلى الجناح زياد بن كعب وحجر بن عدي، وعلى الكمين عمرو بن الحمق وجندب بن زهير، وعلى الرجالة أبو قتادة الأنصاري، وأعطى رايته محمد بن الحنفية. ثم أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم، ويقول لعائشة: «إن الله أمرك أن تقرّي في بيتك فاتقي الله وارجعي».

ويقول لطلحة والزبير: «خبأتما نساء كما وأبرزتما زوجة رسول الله ﷺ واستفزتماها».

فيقولان: إنما جئنا للطلب بدم عثمان، وأن يرد الأمر شورى. وألبست عائشة درعاً وضربت على هودجها صفائح الحديد، وألبس الهودج درعاً، وكان الهودج لواء أهل البصرة وهو على جمل يدعى: عسكراً^(٣).

(١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٣١ ومن كلام له عليه السلام لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستغيثه إلى طاعته قبل حرب الجمل.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ١٦٥.

(٣) المناقب: ج ٣ ص ١٥٣ فصل في حرب الجمل.

فجدّ الناس في القتال ، فنهاهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال : «اللهم إني أعذرت وأنذرت فكن لي عليهم من الشاهدين». ثم أخذ المصحف وطلب من يقرؤه عليهم ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(١) ، الآية .

فقال مسلم المجاشعي : ها أنا ذا .

فخوفه بقطع يمينه وشماله وقتله .

فقال : لا عليك يا أمير المؤمنين فهذا قليل في ذات الله .

فأخذه ودعاهم إلى الله فقطعت يده اليمنى ، فأخذه بيده اليسرى فقطعت ، فأخذه بأسنانه ، فقتل .

فقال عليه السلام : «الآن طاب الضراب» . وقال لمحمد بن الحنفية - والراية في يده - : «يا بني ، تزول الجبال ولا تزال ، عض على ناجذك ، أعر الله جمجمتك ، تد في الأرض قدميك ، ارم ببصرك أقصى القوم ، وغض بصرك ، واعلم أن النصر من الله» .

ثم صبر سويعة فصاح الناس من كل جانب من وقع النبال ..

فقال عليه السلام : «تقدم يا بني» . فتقدم وطعن طعناً منكراً^(٢) .

فأمر عليه السلام الأشر أن يحمل ، فحمل وقتل هلال بن وكيع صاحب ميمنة الجمل . ثم احتدم القتال بين الجيشين وكثرت القتلى من أصحاب الجمل ، فكان طلحة يحث الناس ويقول : عباد الله ، الصبر الصبر ؛ فإن بعد الصبر النصر والأجر . فقال له جندب بن عبد الله : النجاء النجاء ثكلتك أمك ، فوالله ما أجرت ولا نصرت ؛ ولكنك وزرت وخسرت . ثم صاح بأصحابه فاندعروا عنه ولو شاء أن يطعنه لطعنه^(٣) ..

(١) سورة الحجرات : ٩ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٣٢ ص ١٧٤-١٧٥ ب ٣ .

(٣) راجع شرح نهج البلاغة : ج ٩ ص ١١٤-١١٥ مقتل طلحة والزبير .

وبعدما رأى الناس كثرة القتلى. قالوا: يا عائشة، قُتل طلحة والزبير وجرح عبد الله بن عامر من يدي علي فصالحى علياً عليه السلام. فقالت: كبر عمرو عن الطوق، وجل أمر عن العتاب. ثم تقدمت فحزن علي عليه السلام وقال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ». فجعل يخرج واحد بعد واحد ويأخذ الزمام حتى قتل ثمان وتسعون رجلاً.

ثم شكت السهام الهودج حتى كأنه جناح نسر أو شوك قنفذ. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أراه يقا تلکم غیر هذا الهودج اعقروا الجمل». وفي رواية أخرى: «عرقوه؛ فإنه شيطان». وقال لمحمد بن أبي بكر: «انظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها».

فَعُرِّقَ رَجُلٌ مِنْهُ، فدخل تحته رجل ضبي، ثم عرقب رجل أخرى منه عبد الرحمن فوقع على جنبه، فقطع عمار نسعه فاتاه علي عليه السلام ودق رحمه على الهودج. وقال: «يا عائشة، أهكذا أمرک رسول الله ﷺ أن تفعلی».

فقالت: يا أبا الحسن، ظفرت فأحسن، وملكت فأسجح. فقال علي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: «شأنك وأختك، فلا يدنو أحد منها سواك».

فقال محمد: فقلت لها: ما فعلت بنفسك، عصيت ربك، وهتكت سترك، ثم أبحث حرمتك، وتعرضت للقتل.

فذهب بها إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي. فقالت: أقسمت عليك أن تطلب عبد الله بن الزبير جريحاً كان أو قتيلاً. فقال: إنه كان هدفاً للأشتر. فانصرف محمد إلى العسكر فوجده. فقال: اجلس يا مিশوم أهل بيته. فاتاها به فصاحت وبكت، ثم قالت: يا أخي، استأمن له من علي عليه السلام. فأتى محمد أمير المؤمنين عليه السلام فاستأمن له منه. فقال عليه السلام: «أمنته وأمنت جميع الناس».

كانت وقعة الجمل بالخرابة، ووقع القتال بعد الظهر وانقضى عند المساء،

فكان مع أمير المؤمنين عليه السلام عشرون ألف رجل، منهم: البديرون ثمانون رجلاً،
وممن بايع تحت الشجرة مائتان وخمسون، ومن الصحابة ألف وخمسمائة رجل.
وكانت عائشة في ثلاثين ألف أو يزيدون.

قال قتادة: قُتل يوم الجمل عشرون ألفاً. وقال الكلبي: قُتل من أصحاب
علي عليه السلام ألف راجل وسبعون فارساً، منهم: زيد بن صوحان، وهند الجملي،
وأبو عبد الله العبدي، وعبد الله بن رقية.

وقال أبو مخنف والكلبي: قتل من أصحاب الجمل من الأزد خاصة أربعة
آلاف رجل، ومن بني عدي ومواليهم تسعون رجلاً، ومن بني بكر بن وائل
ثمانمائة رجل، ومن بني حنظلة تسعمائة رجل، ومن بني ناجية أربعمائة رجل،
والباقى من أخلاط الناس إلى تمام تسعة آلاف إلا تسعين رجلاً^(١).

وهكذا حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وسفكوا دماء المسلمين، والإمام عليه السلام
يعظهم ولم يبدأهم بقتال.

وبعد انتهاء المعركة كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل الكوفة يخبرهم بما جرى
في البصرة، فكتب عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة.

سلام عليكم؛ فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإن الله حكّم عدل لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا
أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال. أخبركم عنا وعمن
سرنا إليه من جموع أهل البصرة، ومن تأشب إليهم من قريش، وغيرهم مع
طلحة والزبير ونكثهم صفقة أيمانهم، فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبر من
سار إليها وجماعتها، وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار.

فبعثت الحسن بن علي، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد، فاستنفرتكم بحق

الله وحق رسوله وحقني، فأقبل إليَّ إخوانكم سراعاً حتى قدموا عليَّ، فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء، وقمت بالحجة، وأقلت العثرة والزلة من أهل الردة من قريش وغيرهم، واستتبتهم من نكثهم بيعتي وعهد الله عليهم، فأبوا إلا قتالي وقاتل من معي والتمادي في البغي، فناهضتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثاً، وولي من ولي إلى مصرهم، وقتل طلحة والزبير على نكثهما وشقاقهما، وكانت المرأة عليهم أشأم من ناقة الحجر، فخذلوا وأدبروا، وتقطعت بهم الأسباب.

فلما رأوا ما حلَّ بهم سألوني العفو فقبلت منهم، وغمدت السيف عنهم، وأجريت الحق والسنة بينهم، واستعملت عبد الله بن العباس على البصرة، وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله.

وقد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفي لتسألوه فيخبركم عنا وعنهم، وردهم الحق علينا ورد الله لهم وهم كارهون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

حرب صفين

لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من الجمل نزل في الرحبة السادس من رجب، وخطب فقال: «الحمد لله الذي نصر وليه، وخذل عدوه، وأعز الصادق المحق، وأذل الناكث المبطل». ثم إنه عليه السلام دعا الأشعث بن قيس من ثغر أذربيجان، والأحنف بن قيس من البصرة، وجريز بن عبد الله البجلي من همدان، فأتوه إلى الكوفة.

فوجه جريز إلى معاوية يدعوه إلى طاعته، فلما بلغها توقف معاوية في ذلك حتى قدم شرحبيل الكندي، ثم خطب فقال: «أيها الناس، قد علمتم أنني خليفة عمر وخليفة عثمان، وقد قُتل عثمان مظلوماً وأنا وليه وابن عمه وأولى الناس بطلب دمه، فماذا رأيكم؟».

فقالوا: نحن طالبون بدمه.

فدعا عمرو بن العاص على أن يطعمه مصر، فكان عمرو يأمر بالحمل والخط مراراً. فقال له غلامه وردان: تفكر أن الآخرة مع علي والدنيا مع معاوية.

فانصرف جريز. فكتب معاوية إلى أهل المدينة: أن عثمان قُتل مظلوماً، وعليّ آوى قتلته؛ فإن دفعهم إلينا كفنا عنه وجعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين كما جعله عمر عند وفاته، فانهضوا رحمكم الله معنا إلى حربه».

وجاء أبو مسلم الخولاني بكتاب من معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيه: (وكان أنصحهم لله خليفته، ثم خليفة خليفته، ثم الخليفة الثالث المقتول ظلماً، فكلهم حسدت، وعليّ كلهم بغيت عرفنا ذلك، ثم نظرك الشرز، وقولك

الهجر، وتنفسك الصعداء، وإبطائك عن الخلفاء، وفي كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل المغشوش، ولم تكن لأحد منهم أشد حسداً منك لابن عمك، وكان أحقهم أن لا تفعل ذلك لقربته وفضله، فقطعت رحمه، وقبحت حسنه، فأظهرت له العداوة، وبطنت له بالغش، وألبت الناس عليه، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع الهائعة، ولا تدراً عنه بقول ولا فعل (!). فلما وصل الخولاني وقرأ الكتاب على الناس، قالوا: كلنا قاتلون ولأفعاله منكرون.

وكان جواب أمير المؤمنين عليه السلام: «وبعد، فإني رأيت قد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون من بيعتي، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله. وأما تلك التي تريدها؛ فإنها خدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لعلمت أنني من أبرأ الناس من دم عثمان، وقد علمت أنك من أبناء الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة».

ثم جمع معاوية جيشاً لمحاربة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأجمع عليه السلام على المسير وحض الناس على ذلك، فكان مما قال عليه السلام: «انفروا إلى بقية الأحزاب أولياء الشيطان، انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله».

ثم جاء رجل من عبس إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فسأل: «ما الخبر؟». فقال: إن في الشام يلعنون قاتلي عثمان، ويبكون على قميصه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما قميص عثمان بقميص يوسف، ولا بكاءهم عليه إلا كبكاء أولاد يعقوب». فلما فتح الكتاب وجده بياضاً، فحولق.

وكتب معاوية: (اتق الله يا علي وذر الحسد!)، فلطالما لم ينتفع به أهله، ولا تفسدن سابقة قدمك بشر من حديثك؛ فإن الأعمال بخواتيمها، ولا تعمدن بباطل في حق من لا حق له؛ فإنك إن تفعل ذلك فلا تضر إلا نفسك، ولن تحقق إلا عملك).

فأجابه عليه السلام بعد كلام: «عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب، ولم يخف العقاب، ولا يرجو الله وقاراً، ولم يخف حذاراً، فشأنك وما أنت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة، تجدد الله عزوجل في ذلك بالمرصاد. ثم قال في آخره:.. فأنا أبو الحسن قاتل جدك عتبة، وعمك شيبه، وأخيك حنظلة، الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي. ومن كلامه - متى ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلي، وبالسيف مخوفين، فالبث قليلاً يلحق الهيجاء جمل، فسيطلبك من تطلب، وتقرب منك من تستبعد. وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم، متسرلين سرايل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بدرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك، وما هي من الظالمين ببعيد».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قاتلت الناكثين، وهؤلاء القاسطين، وسأقاتل المارقين».

ثم ركب عليه السلام فرس النبي ﷺ وقصده في تسعين ألفاً. قال سعيد بن جبیر: منها تسعمائة رجل من الأنصار، وثمانمائة من المهاجرين. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: سبعون رجلاً من أهل بدر. ويقال: أكثر من مائة. وخرج معاوية في مائة وعشرين ألفاً، يتقدمهم مروان وقد تقلد بسيف عثمان، فنزل صفين في المحرم على شريعة الفرات. ومنعوا علياً عليه السلام وأصحابه الماء، فأنفذ علي عليه السلام شعث بن ربيعة الرياحي وصعصعة بن صوحان، فقالا في ذلك لطفاً وعنفاً. فقالوا: أنتم قتلتم عثمان عطشاً. فقال عليه السلام: «أرووا السيوف من الدماء ترووا من الماء، والموت في حياتكم مقهورين خير من الحياة في موتكم قاهرين».

وحملاً في سبعة عشر ألف رجل حملة رجل واحد ففرق بعضهم وانهزم الباقيون. فسيطر علي عليه السلام على الماء ثم أمر أن لا يمنعوا جيش معاوية من الماء.

وهكذا كان رسول الله ﷺ حيث أجاز للمشركين في يوم بدر أن يأخذوا من الماء بعد ما منعه منه.

وكان نزول علي عليه السلام بصفين لليالي بقين من ذي الحجة سنة ست وثلاثين. ولما اصطف الجيshan وعظهم أمير المؤمنين عليه السلام فلم ينفعهم، وبدأ أصحاب معاوية بالقتال وقتلوا بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فإذن الإمام عليه السلام بعد ذلك بمقاتلتهم.

ثم إن عليا عليه السلام أنفذ سعيد بن قيس الهمداني وبشر بن عمرو الأنصاري إلى معاوية ليدعواه إلى الحق، فانصرفا بعد ما احتجا عليه. ثم أنفذ شيب بن ربيعي الرياحي وعدي بن حاتم الطائي وبريدة بن قيس الأرجي وزباد بن حفص بمثل ذلك، فلم ينفع.

فتقاتلوا في ذي الحجة وأمسكوا في المحرم، فلما استهل صفر سنة سبع وثلاثين أمر علي عليه السلام فنودي بالشام والإعذار والإنذار، ثم عيى عسكره فجعل على ميمنته الحسن والحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى ليسرته محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وهاشم بن عتبة المرقال، وعلى القلب عبد الله بن العباس والعباس بن ربيعة بن الحارث والأشتر والأشعث، وعلى الجناح سعد بن قيس الهمداني وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ورفاعة بن شداد البجلي وعدي بن حاتم، وعلى الكمين عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق وعامر بن وائلة الكناني وقبيصة بن جابر الأسدي.

وجعل معاوية على ميمنته ذا الكلاع الحميري وحوشب ذا الظليم، وعلى اليسرة عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة، وعلى القلب الضحاك بن قيس الفهري وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى الساقة بسر بن أرطاة الفهري، وعلى الجناح عبد الله بن مسعدة الفزاري وهمام بن قبيصة النمري، وعلى الكمين أبا الأعور السلمي وحابس بن سعد الطائي.

فبعث علي عليه السلام إلى معاوية أن اخرج إليّ أبارزك، فلم يفعل، وقد جرى بين العسكرين أربعون وقعة يغلبها أهل العراق، أولها يوم الأربعاء بين الأشتر وحبيب بن مسلمة، والثاني بين المرقال وأبي الأعور السلمي، والثالث بين عمار وعمرو بن العاص، والرابع بين ابن الحنفية وعبيد الله بن عمر، والخامس بين عبد الله بن العباس والوليد بن عقبة، والسادس بين سعد بن قيس وذو الكلاع إلى تمام الأربعين وقعة آخرها ليلة الهرير.

ثم حث معاوية غلامه حريثاً أن يغتال علياً عليه السلام في قتله، فطير أمير المؤمنين عليه السلام قحفه في الهواء. وقتل من أهل العراق: عمير بن عبيد المحاربي، وبكر بن هوزة النخعي، وابنه حيان، وسعيد بن نعيم، وأبان بن قيس. فحمل علي عليه السلام فhezهم. فقال معاوية: كنت أرجو اليوم ظفراً. وبرز الأشتر وجعل يقتل واحداً بعد واحد. فقال معاوية في ذلك فبرز عمرو بن العاص في أربعمئة فارس إليه، وتبع الأشتر مائتا رجل من نخع ومذحج، وحمل الأشتر عليه فوقعت الطعنة في القربوس، فانكسر وخر عمرو صريعاً وسقطت ثناياه فاستأمنه. وخرج عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فبرز إليه حارثة بن قدامة السعدي فقتله. وخرج أبو الأعور السلمي فانصرف من طعنة زياد بن كعب الهمداني مجروحاً، وقتل بنو همدان خلقاً كثيراً من أهل الشام، فقال معاوية: بنو همدان أعداء عثمان.

ونادى خالد السدوسي: من يبايعني على الموت. فأجابته تسعة آلاف فقاتلوا حتى بلغوا فسطاط معاوية، فهرب معاوية فنهبوا فسطاطه. وأنفذ معاوية إليه فقال: يا خالد، لك عندي إمرة خراسان متى ظفرت، فاقصر ويحك عن فعالك هذا. فنكل عنها فقتل أصحابه في وجهه وحاربوا إلى الليل.

ثم أمر معاوية بتقديم سبعين راية، وبرز عمار في رايات، فقتل من أصحاب معاوية سبعمائة رجل، ومن أصحاب علي مائتا رجل.

وخرج حجل بن أثال العبسي فطلب البراز إليه ابنه أثال، فلما رآه قال:

انصرف إلى الشام؛ فإن فيها أموالاً جمّة. فقال ابنه: يا أبة، انصرف إلينا وجنة الخلد مع علي عليه السلام.

وعبى معاوية أربعة صفوف فتقدم أبو الأعور السلمي يحرضهم ويقول: يا أهل الشام، إياكم والفرار؛ فإنها سبة وعار، فدقوا على أهل العراق؛ فإنهم أهل فتنة ونفاق. فبرز سعيد بن قيس وعدي بن حاتم والأشعث والأشعث فقتلوا منهم ثلاثة آلاف ونيفاً وانهزم الباقيون. وبرز عبد الله بن جعفر في ألف رجل فقتل خلقاً حتى استغاث عمرو بن العاص. وأتى أويس القرني متقلداً بسيفين ويقال كان معه مرماة ومخلاة من الحصى، فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام وودعه وبرز مع رجاله ربيعة، فقتل من يومه، فصلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام ودفنه.

ثم إن عمار بن عبد الله جعل يقاتل ويقول:

نحن ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهم عن مقلبه
ويذهل الخليل عن خليله أو يرجع الحق إلى سبيله
فلم يزل يقاتل حتى قتل رحمه الله.

وبرز أمير المؤمنين عليه السلام ودعا معاوية، قال: «أسألك أن تحقن الدماء وتبرز إليّ وأبرز إليك، فيكون الأمر لمن غلب». فبهت معاوية ولم ينطق بحرف.. فحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الميمنة فأزالها، ثم حمل على الميسرة فطحنها، ثم حمل على القلب وقتل منهم جماعة. ثم انصرف أمير المؤمنين عليه السلام، ثم برز متكرراً فخرج عمرو بن العاص، مرتجراً:

يا قادة الكوفة من أهل الفتن يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
كسى بهذا حزناً مع الحزن أضربكم ولا أرى أبا الحسن
فتناكل عنه علي عليه السلام حتى تبعه عمرو، ثم ارتجز:

أنا الغلام القرشي المؤتمن الماجد الأبيض ليث كالشطن
يرضى به السادة من أهل اليمن من ساكني نجد ومن أهل عدن

أبو الحسين فاعلمن أبو الحسن

فولى عمرو هارباً فطعنه أمير المؤمنين عليه السلام فوقعت في ذيل درعه ، فاستلقى على قفاه وأبدى عورته ، فصفح عليه السلام عنه استحياءً وتكرماً .
فقال معاوية :

الحمد لله الذي عافاك واحمد استك الذي وقاك

وبرز علي عليه السلام ودعا معاوية فنكل عنه ، فخرج بسر بن أرطاة يطمع في علي فضربه أمير المؤمنين عليه السلام ، فاستلقى على قفاه وكشف عن عورته فانصرف عنه علي عليه السلام ، فقال : « ويلكم يا أهل الشام ، أما تستحيون من معاملة المخائث ، لقد علمكم رأس المخائث عمرو ، لقد روى هذه السيرة عن أبيه عن جده في كشف الأستار وسط عرصة الحروب » .

فلما رأى معاوية كثرة براز أمير المؤمنين عليه السلام أخذ في الخديعة ، فأنفذ عمرو إلى ربيعة رجالاته فوقعوا فيه . فقال : اكتب إلى ابن عباس وغره . ثم كتب معاوية إليه يذكر فيه : إنما بقي من قريش ستة : أنا ، وعمرو بالشام ناصبان ، وسعد وابن عمر بالحجاز ، وعلي وأنت بالعراق على خطب عظيم ، ولو بويع لك بعد عثمان لأسرعنا فيه . وكتب إلى علي عليه السلام : أما بعد ، فإننا لو علمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يحنها بعضنا إلى بعض ، وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا ما نرم به ما مضى ، ونصلح به ما بقي ، وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت علي ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس ؛ فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ، ولا تخاف من الفناء إلا ما أخاف ، وقد والله رقت الأجساد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض يستدل به عزيز ، ويسترق به حر .

فأجابه عليه السلام : « أما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت ألا ومن أكله الحق فإلى النار ، وأما طلبتك إلي الشام فإنني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس ، وأما استواؤنا في الخوف والرضا فلست أمضى على الشك

مني على اليقين، وليس أهل الشام على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة، وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن، وليس أمة كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا الطليق كالمهاجر، ولا الصريح كالصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، وفي أيدينا فضل النبوة الذي ذللتنا بها العزيز، ونعتتنا بها الذليل، وبعنا به الحر».

وأمر معاوية لابن الحديج الكندي أن يكتب الأشعث، والنعمان بن البشير أن يكتب قيس بن سعد في الصلح، ثم أنفذ عمرًا وعتبة وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما كلموه، قال: «أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه؛ فإن تجيئوا إلى ذلك فللرشد أصبتم وللخير وفقتم، وإن تأبوا لم تزدادوا من الله إلا بعداً». فقالوا: قد رأينا أن تنصرف عنا فنخلي بينكم وبين عراقكم، وتخلون بيننا وبين شامنا فنحن نخن دماء المسلمين. فقال عليه السلام: «لم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ».

ثم برز الأشتر وقال: سوا صفوفكم.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس، من يبع يربح في هذا اليوم، ألا إن خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير في عواقب الأمور، ألا إنها إحن بدرية، وضغائن أحدية، وأحقاد جاهلية. وقرأ: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَمَةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(١)».

فتقدم وهو يرتجز:

دبوا دبیب النمل لا تفوتوا وأصبحوا في حريكم وبيتوا
كيما تنالوا الدين أو تموتوا أولا فإنني طال ما عصيت

قد قلت لو جئتنا فجئت

فحمل في سبعة عشر ألف رجل فكسروا الصفوف، فقال معاوية لعمر:

اليوم صبر وغداً فخر.

فقال عمرو: صدقت يا معاوية، ولكن الموت حق والحياة باطل، ولو حمل علي في أصحابه حملة أخرى فهو البوار. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنة». فلم يزالوا يقاتلون حتى دخل وقعة الخميس وهي ليلة الهرير، وكان أصحاب علي عليه السلام يضربون الطبول من أربع جوانب عسكر معاوية ويقولون: علي المنصور. وهو يرفع رأسه إلى السماء ساعة بعد ساعة، ويقول: «اللهم إليك نقلت الأقدام، وإليك أفضت القلوب، ورفعت الأيدي، ومدت الأعناق، وطلبت الحوائج، وشخصت الأبصار، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين». وكان يحمل عليهم مرة بعد مرة ويدخل في غمارهم، ويقول: «الله الله في الحرم والذرية»، فكانوا يقاتلون أصحابهم بالجهل. فلما أصبح كان قتلى عسكره أربعة آلاف رجل، وقتلى عسكر معاوية اثنين وثلاثين ألف رجل. فصاحوا: يا معاوية، هلكت العرب. فاستغاث هو بعمرو، فأمره برفع المصاحف. فقال معاوية: يا عمرو، نفرأ أو نستأمن. قال: نرفع المصاحف على الرماح ونقرأ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾^(١)؛ فإن قبلوا حكم القرآن رفعنا الحرب ورافعنا بهم إلى أجل، وإن أبى بعضهم إلا القتال فللنا شوكتهم وتقع بينهم الفرقة، وأمر بالنداء فلسنا ولستم من المشركين ولا الجمعيين على الردة؛ فإن تقبلوها ففيها البقاء للفرقتين وللبلدة، وإن تدفعوها ففيها الفناء وكل بلاء إلى مدة.

فقال مسعر بن فدكي وزيد بن حصين الطائي والأشعث بن قيس الكندي: أجب القوم إلى كتاب الله. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ويحكم والله، إنهم ما رفعوا المصاحف إلا خديعة ومكيدة حين علوتموهم». وقال خالد بن معمر السدوسي:

«يا أمير المؤمنين ، أحب الأمور إلينا ما كفيينا مئونته». فقصد إليه عشرون ألف رجل يقولون: يا علي ، أجب إلى كتاب الله إذا دعيت ، وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بعثمان !. فقال : «فاحفظوا عني مقالتي ، فإني آمركم بالقتال فإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم». قالوا : فابعث إلى الأشتر ليأتيك.

فبعث عليه السلام يزيد بن هاني السبيعي يدعوه. فقال الأشتر: إني قد رجوت أن يفتح الله لا تعجلني. وشدد في القتال فقالوا: حرضته في الحرب ، فابعث إليه بعزيمتك ليأتيك وإلا والله اعتزلناك. قال عليه السلام : «يا يزيد ، عد إليه وقل له : أقبل إلينا ؛ فإن الفتنة قد وقعت». فأقبل الأشتر يقول لأهل العراق : يا أهل الذل والوهن ، أحين علوتم القوم وعلموا أنكم لهم قاهرون رفعوا لكم المصاحف خديعة ومكراً. فقالوا: قاتلناهم في الله. فقال: أمهلوني ساعة وأحسست بالفتح وأيقنت بالظفر. قالوا: لا. قال: أمهلوني عدوة فرسي. قالوا: إنا لسنا نطيعك ولا لصاحبك ، ونحن نرى المصاحف على رؤوس الرماح ندعى إليها. فقال: خدعتم والله فالتخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم.

فقام جماعة من بكر بن وائل فقالوا: يا أمير المؤمنين ، إن أجبت القوم أجبنا وإن أبيت أبينا. فقال عليه السلام : «نحن أحق من أجاب إلى كتاب الله ، وإن معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين وقرآن ، أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً ورجالاً».

فقال أهل الشام : فإننا قد اخترنا عمراً. فقال الأشعث وابن الكواء ومسر بن فدكي وزيد الطائي : نحن اخترنا أبا موسى. فقال أمير المؤمنين عليه السلام : «فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن». فقالوا: إنه قد كان يحذرنا مما قد وقعنا فيه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام : «إنه ليس بثقة ، قد فارقتني وقد خذل الناس ، ثم هرب مني حتى أمنت بعد شهر ، ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك». قالوا: والله ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس. قال عليه السلام : «فالأشتر». قال الأشعث:

وهل سعر الحرب غير الأشتر، وهل نحن إلا في حكم الأشتر.

قال الأعمش: حدثني من رأى علياً عليه السلام يوم صفين يصفق بيديه ويقول: «يا عجباً أعصى ويطاع معاوية - وقال - قد أيتّم إلا أبا موسى». قالوا: نعم. قال عليه السلام: «فاصنعوا ما بدا لكم، اللهم إني أبرأ إليك من صنيعهم». وقال الأحنف: إذا اخترتم أبا موسى فارقبوا ظهره.

فلما اجتمعوا كان كاتب علي عليه السلام عبيد الله بن أبي رافع، وكاتب معاوية عمير بن عباد الكلبي، فكتب عبيد الله: هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقال عمرو: اكتبوا اسمه واسم أبيه، هو أميركم فأما أميرنا فلا. فقال الأحنف: لا تمح اسم إمارة المؤمنين امح ترحه من الله. فقال علي عليه السلام: «الله أكبر سنة بسنة ومثل بمثل، وإني لكاتب يوم الحديبية» فقال عمرو: يا سبحان الله، تشبه بالكفار ونحن مؤمنون». فقال علي عليه السلام: «يا ابن النابغة، أو لم تكن للمشركين ولياً وللمؤمنين عدواً، أو لم تكن في الضلالة رأساً وفي الإسلام ذنباً». فكتبوا أن يحكموا بما في كتاب الله وينصرفوا والمدة سنة واحدة كاملة ويكون مجتمع الحكمين بدومة الجندل.

فلما اجتمعا قال عمرو: يا أبا موسى، أنت أولى أن تسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة، فسم لي فأني أقدر أن أباعك منك على أن تباعني. قال أبو موسى: أسمي لك عبد الله بن عمر فيمن اعتزله. فقال عمرو: فأني أسمي لك معاوية بن أبي سفيان. وفي رواية قال عمرو: إنهما ظالمان، وإن علياً أوى قتلة عثمان وإن معاوية خاذله، فنخلعهما ونبايع عبد الله بن عمر لزهادته واعتزاله عن الحرب. فقال أبو موسى: نعم ما رأيت. قال: فأني قد خلعت معاوية فاخلع علياً إن شئت، وإن شئت فاخلعه غداً فإنه يوم الاثنين.

قال: فلما أصبحا خرجا إلى الناس فقالا: قد اتفقنا. فقال أبو موسى لعمرو: تقدم واخلع صاحبك بحضرة الناس. فقال عمرو: سبحان الله، أتقدم

عليك وأنت في موضعك وسنك ، وفضلك مقدم في الإسلام والهجرة ، ووفد رسول الله ﷺ إلى اليمن ، وصاحب مقاسم أبي بكر ، وعامل عمر ، وحاكم أهل العراق ، فتقدم أنت فقدمه . فقال أبو موسى : إنا والله أيها الناس قد اجتهدنا رأينا لم نر أصلح للأمة من خلع هذين الرجلين ، وقد خلعت علياً ومعاوية كخلع خاتمي هذا . فقال عمرو : ولكنني خلعت صاحبه علياً كما خلع ، واثبت معاوية كخاتمي هذا وجعله في شماله^(١) .

وعن محمد بن عبد الله الرعيني بإسناده ، عن علي عليه السلام أنه قال : لما انصرف الناس من صفين خاض الناس في أمر الحكمين . فقال بعض الناس : ما يمنع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يأمر بعض أهل بيته فيتكلم ؟ . فقال للحسن : « قم يا حسن فقل في هذين الرجلين عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص » . فقام الحسن عليه السلام فقال : « أيها الناس ، إنكم قد أكثرتم في أمر عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، فإنما بُعثا ليحكمما بكتاب الله فحكمما بالهوى على الكتاب ، ومن كان هكذا لم يسم حكماً ولكنه محكوم عليه ، وقد أخطأ عبد الله بن قيس في أن أوصى إلى عبد الله بن عمر ، فأخطأ في ذلك في ثلاث خصال : في أن أباه لم يرضه لها ، وفي أنه لم يستأمره ، وفي أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين نفذوها لمن بعده . وإنما الحكومة فرض من الله ، وقد حكم رسول الله ﷺ سعداً في بني قريظة ، فحكم فيهم بحكم الله لا شك فيه ، فنفذ رسول الله ﷺ حكمه ، ولو خالف ذلك لم يجزه » ، ثم جلس .

ثم قال علي عليه السلام لعبد الله بن العباس : « قم فتكلم » . فقام وقال : (أيها الناس ، إن للحق أهلاً أصابوه بالتوفيق والناس بين راض به وراغب عنه ، وإنما بعث عبد الله بن قيس لهدى إلى ضلالة ، وبعث عمرو بن العاص لضلالة إلى الهدى ، فلما التقيا رجع عبد الله عن هداه ، وثبت عمرو على ضلالته . والله لئن

(١) المناقب : ج ٣ ص ١٦٣-١٨٥ فصل في حرب صفين ، وفصل في الحكمين والخوارج .

حكماً بالكتاب لقد حكماً عليه، وإن حكماً بما اجتماعاً عليه معاً ما اجتماعاً على شيء، وإن كانا حكماً بما سار إليه لقد سار عبد الله وإمامه علي، وسار عمرو وإمامه معاوية، فما بعد هذا من عيب ينتظر، ولكنهم سئموا الحرب وأحبوا البقاء ودفعوا البلاء، ورجا كل قوم صاحبه، ثم جلس.

ثم قال عليه السلام لعبد الله بن جعفر: «قم فتكلم». فقام عبد الله وقال: (أيها الناس، إن هذا الأمر كان النظر فيه إلى علي والرضا فيه لغيره، فجتتم بعدد الله بن قيس فقلتم لا نرضى إلا بهذا فارض به فإنه رضانا، وإيم الله ما استفدناه علماً، ولا انتظرنا منه غائباً، ولا أملنا ضعفه، ولا رجونا به صاحبه، ولا أفسدنا بما عملا العراق، ولا أصلحنا الشام، ولا أماتا حق علي، ولا أحييا باطل معاوية، ولا يذهب الحق رقية راق، ولا نفخة شيطان، وإنا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس)، وجلس^(١).

وهكذا انتهت حرب صفين ولكن معاوية كان يخطط دوماً لمحاربة أهل العراق، ويجمع الجيوش لذلك. فخطب أمير المؤمنين عليه السلام خطبة قبل استشهاده بقليل وقال: الجهاد الجهاد، وكان هكذا كعرض عسكري، ليمنع معاوية من شن هجوم على أهل العراق.

عن نوف البكالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه نادى بعد الخطبة بأعلى صوته: «الجهاد الجهاد عباد الله، ألا وإني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج». قال نوف: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد آخر وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم فتراجعت العساكر^(٢).

(١) المناقب: ج ٣ ص ١٩٣ فصل في الحكيم والخوارج.

(٢) المناقب: ج ٣ ص ١٩٤ فصل في الحكيم والخوارج.

حرب النهروان

لما دخل أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة بعد صفين جاء إليه الخوارج، منهم زرعة بن البزرج الطائي، وحر قوص بن زهير التميمي ذو النديّة. فقال: لا حكم إلاّ لله. فقال عليه السلام: «كلمة حق يراد بها باطل».

قال حر قوص: قتب من خطيئتك!، وارجع عن قصتك، واخرج بنا إلى عدونا - أي معاوية وأصحابه - نقاتلهم حتى نلقى ربنا.

فقال علي عليه السلام: «قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً، وأعطينا عليها عهداً وميثاقاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾»^(١) الآية».

فقال حر قوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه.

فقال علي عليه السلام: «ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي، وضعف في العقل، وقد تقدمت فنهيتكم عنه».

فقال ابن الكواء: الآن صبح عندنا أنك لست بإمام، ولو كنت إماماً لما رجعت. فقال علي عليه السلام: «ويلكم قد رجع رسول الله ﷺ عام الحديبية عن قتال أهل مكة».

ثم إن هؤلاء حرضوا الناس على قتال علي عليه السلام وقتال أصحابه، وشكلوا جيشاً من الخوارج للهجوم على المسلمين، وقالوا: (لا حكم إلاّ لله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق). وكانوا اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة والبصرة وغيرهما. ونادى مناديهم: إن أمير القتال شعث بن ربيعة، وأمير الصلاة عبد الله

ابن الكواء، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واستعرضوا الناس وقتلوا عبد الله بن خباب بن الارت، وكان عامل علي عليه السلام على النهروان.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا ابن عباس، امض إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه ولماذا اجتمعوا». فلما وصل إليهم قالوا: ويلك يا ابن عباس، أكفرت بربك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب! وخرج خطيبهم عتاب بن الأعرور الثعلبي فقال ابن عباس: من بنى الإسلام؟ فقال: الله ورسوله. فقال: النبي أحكم أموره ودخل بين حدوده أم لا؟ قال: بلى. قال: فالنبي بقي في دار الإسلام أم ارتحل؟ قال: بل ارتحل. قال: فأمر الشرع ارتحلت معه أم بقيت بعده؟ قال: بل بقيت. قال: وهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه. قال: نعم الذرية والصحابة. قال: أفعمروها أو خربوها؟ قال: بل عمروها. قال: فالآن هي معمورة أم خراب؟ قال: بل خراب. قال: خربها ذريته أم أمته؟ قال: بل أمته. قال: وأنت من الذرية أو من الأمة؟ قال: من الأمة. قال: أنت من الأمة وخربت دار الإسلام، فكيف ترجو الجنة؟!

وجرى بينهم كلام كثير، فحضر أمير المؤمنين عليه السلام في مائة رجل، فلما قابلهم خرج ابن الكواء في مائة رجل فقال عليه السلام: «أنشدكم الله هل تعلمون حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله، فقلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم - وذكر مقاله إلى أن قال - فلما أبيتهم إلا الكتاب أشرت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن؛ فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكمه، وإن أبيا فنحن منه برآء». فقالوا له: أخبرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال عليه السلام: «إنا لسنا الرجال حكمنا وإنما حكمنا القرآن، والقرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال». قالوا: فأخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال عليه السلام:

«ليعلم الجاهل ويثبت العالم، ولعل الله يصلح في هذه المدة لهذه الأمة».

وجرت بينهم مخاطبات فجعل بعضهم يرجع، فأعطى أمير المؤمنين عليه السلام راية الأمان مع أبي أيوب الأنصاري. فناداهم أبو أيوب: من جاء إلى هذه الراية أو خرج من بين الجماعة فهو آمن. فرجع منهم ثمانية آلاف رجل، فأمرهم أمير المؤمنين عليه السلام أن يتميزوا منهم، وأقام الباقون على الخلاف وقصدوا إلى النهروان. فخطب أمير المؤمنين عليه السلام واستنفرهم فلم يجيبوه فتمثل:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ثم استنفرهم فنفر ألفا رجل يقدمهم عدي بن حاتم، وهو يقول:

إلى شر خلق من شراة تحزبوا وعادوا إله الناس رب المشارق

فوجه أمير المؤمنين عليه السلام نحوهم، وكتب إليهم على يدي عبد الله بن أبي عقرب وفيها: «والسعيد من سعد به رعيته، والشقي من شقيت به رعيته، وخير الناس خيرهم لنفسه، وشر الناس شرهم لنفسه، وليس بين الله وبين أحد قرابة، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(١)». فلما أتاهم أمير المؤمنين عليه السلام فاستعطفهم فأبوا إلا قتاله وتنادوا: أن دعوا مخاطبة علي وأصحابه وبادروا الجنة. وصاحوا: الرواح الرواح إلى الجنة. وأمير المؤمنين عليه السلام يعبئ أصحابه ونهاهم أن يتقدم إليهم أحد.

فهجم القوم على جيش أمير المؤمنين عليه السلام وقتلوا بعض أصحابه، عند ذلك أمر علي عليه السلام بالدفاع.

وخرج من الخوارج أخنس بن العيزار الطائي فقتله أمير المؤمنين عليه السلام.

وخرج إلى أمير المؤمنين عليه السلام الوضاح بن الوضاح من جانب وابن عمه حرقوص من جانب، فقتل الوضاح وضرب ضربة على رأس الحرقوص فقطعه، ووقع رأس سيفه على الفرس فشرد وأرجله في الركاب حتى أوقعه في دولا ب

خراب.. فكان المقتولون من أصحاب علي عليه السلام: ربيعة بن وبر البجلي، ورفاعة بن وائل الأرحبي، والفياض بن خليل الأزدي، وكيسوم بن سلمة الجهني، وحبيب بن عاصم الأزدي إلى تمام تسعة، وانفلت من الخوارج تسعة. وكان ذلك لتسع خلون من صفر سنة ثمان وثلاثين.

عن عبد الله بن أبي رافع، وأبي موسى، وجندب، وأبي الوضاح، قال علي عليه السلام: «اطلبوا المخدج». فقالوا: لم نجده. فقال عليه السلام: «والله ما كذبت ولا كذبت. يا عجلان، ايتني ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله». فأتاه بالبغلة فركبها وجال في القتلى، ثم قال: «اطلبوه هاهنا». قال: فاستخرجوه من تحت القتلى في نهر وطن. وفي رواية أبي نعيم، عن سفيان، فقيط: قد أصبناه، فسجد لله تعالى عليه السلام.

إنه عليه السلام لم يبدأ بحرب

وكل هذه الحروب الثلاثة، لم يبدأ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بها، بل فرضوها عليه، ولما كان يصطف القوم، كان أمير المؤمنين عليه السلام ينصحهم بترك القتال، فلم يقبلوا، كما أنه عليه السلام لم يأذن أصحابه بالبدء بقتالهم حتى يبدأ القوم فبعد ذلك كان عليه السلام يأذن بالدفاع.

٣٠

اللين واللاعنف

كان منهج أمير المؤمنين عليه السلام في حياته السياسية وغيرها منهج اللين واللاعنف، وكان يعدّ اللين وعدم العنف ومصاديقهما من صفات المؤمن وعلائم المتقين، كما ورد ذلك في خطبة همام حيث قال علي عليه السلام: «فمن علامات أحدهم أنك ترى له: قوة في دين، وحزماً في لين ... وعلماً في حلم ... يمزج العلم بالحلم ... تراه ... سهلاً أمره ... مكظوماً غيظه ... يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، ليناً قوله...»^(١).

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار إلى أخيه المسلم بسلاحه لعنته الملائكة حتى ينحيه عنه»^(٢). وعن علي عليه السلام، قال: «إن رسول الله ﷺ مر على قوم وهم يتعاطون فيما بينهم سيفاً مسلولاً. فقال: من هؤلاء لعنهم الله»^(٣). وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم وزير الإيمان العلم، ونعم وزير العلم الحلم، ونعم وزير الحلم الرفق، ونعم وزير الرفق اللين»^(٤). وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث: رفيقاً بما يأمر به، رفيقاً بما ينهى عنه، عدلاً فيما يأمر به، عدلاً فيما ينهى عنه، عالماً بما يأمر به، عالماً بما ينهى عنه»^(٥).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون هينون لينون، كالجمال الأنوف إن استنخته أناخ»^(٦).

(١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٩٣ ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٤٨ ب ١٤٢ ح ١٠٥١٢.

(٣) الجعفریات: ص ٨٣ باب من أشهر السلاح.

(٤) الجعفریات: ص ٨٨ باب وجوب الاهتمام بأمور المسلمين وإعانتهم.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٨٦ ب ٢ ح ١٣٨٣٨.

(٦) الجعفریات: ج ١٧٠ باب صفة المؤمنين.

٣١

بيت المال

بيت المال هو رصيد اقتصادي للمسلمين ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام كرسول الله ﷺ أميناً على ثروات المسلمين وأموالهم ، فلم يتصرف في بيت المال إلا بما كان فيه رضا الله عز وجل ، ولم يدخر لنفسه شيئاً منها ، على عكس سائر الحكام ومن سموا أنفسهم بالخلفاء.

عن كليب ، قال : قدم على علي عليه السلام مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم ، فوجد فيه رغيفاً فكسره على سبعة ، وجعل على كل قسم منها كسرة ، ثم دعا أمراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطى أولاً^(١).

وعن أبي صالح السمان ، قال : رأيت علياً عليه السلام دخل بيت المال فرأى فيه شيئاً. فقال عليه السلام : «ألا أرى هذا ها هنا وبالناس إليه حاجة». فأمر به فقسم ، وأمر بالبيت فكنس ونضح فصلى فيه^(٢).

وعن زاذان ، قال : انطلقت مع قنبر إلى علي عليه السلام. فقال : قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيثة. قال عليه السلام : «فما هو؟». قال : قم معي. فقام وانطلق إلى بيته ، فإذا بأسنة مملوءة جامات من ذهب وفضة. فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك لاتترك شيئاً إلا قسمته ، فادخرت هذا لك. قال علي عليه السلام : «لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً كثيرة». فسل سيفه فضربها فانثرت من بين إناء مقطوع نصفه أو ثلثه ، ثم قال : «اقسموه بالخصص». ففعلوا فجعل يقول :

«هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

(١) كنز العمال ، للمتقي الهندي : ج ٥ ص ٧٧٣ ب ٢ آداب الإمارة ح ١٤٣٤٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر : ج ٤٢ ص ٤٧٦.

يا بيضاء ويا صفراء غري غيري»^(١).

وعن عبد الله بن أبي سفيان، قال: أهدى إلي دهقان من دهاقين السواد برداً وإلى الحسن أو الحسين برداً مثله. فقام علي عليه السلام يخطب بالمدائن يوم الجمعة عليهما. فبعث إليّ وإلى الحسين، فقال: «ما هذان البردان؟».

قال: بعث إليّ وإلى الحسين دهقان من دهاقين السواد. قال: فأخذهما فجعلهما في بيت المال^(٢).

وروي أنه عليه السلام رأى حبلاً في بيت المال. فقال: «أعطوه الناس». فأخذه بعضهم^(٣).

وعن أبي حكيم صاحب الحفاء، عن أبيه: أن علياً عليه السلام أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان. فقال عليه السلام: «اغدوا إلى العطاء الرابع، إني لست لكم بخازن».

قال: وقسم الحبال فأخذها قوم وردّها قوم^(٤).

ودخلت عليه أخته أم هاني بنت أبي طالب فدفع إليها عشرين درهماً. فسألت أم هاني مولاتها العجمية، فقالت: كم دفع إليك أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقالت: عشرين درهماً. فانصرفت مسخطة. فقال عليه السلام لها: «انصرفي رحمك الله، ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل على إسحاق»^(٥).

وبعث إليه من البصرة من غوص البحر بتحفة لا يدرى ما قيمته. فقالت له ابنته أم كلثوم: يا أمير المؤمنين، أتجمل به ويكون في عنقي. فقال عليه السلام لها: «يا با رافع، أدخله إلى بيت المال ليس إلى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأة من المسلمين

(١) الغارات: ج ١ ص ٣٦-٣٧ سيرته عليه السلام في المال.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر: ج ٤٢ ص ٤٧٨.

(٣) المناقب: ج ٢ ص ١١٢ فصل في المسابقة بالعدل والأمانة.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٤٢ ص ٤٧٧.

(٥) الاختصاص: ص ١٥١ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

إلا ولها مثل ما لك»^(١).

وولى عليه السلام بيت مال المدينة عمار بن ياسر وأبا الهيثم بن التيهان، فكتب: «العربي والقرشي والأنصاري والعجمي وكل من في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء». فأتاه سهل بن حنيف بمولى له أسود، فقال: كم يؤتى هذا؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «كم أخذت؟».

فقال: ثلاثة دنانير، وكذلك أخذ الناس.

فقال عليه السلام: «فأعطوا مولاه مثل ما أخذ ثلاثة دنانير»^(٢).

وسمع عليه السلام مقلتي في بيته فنهض، وهو يقول: «في ذمة علي بن أبي طالب مقلتي الكراكر». قال: ففزع عياله وقالوا: يا أمير المؤمنين، إنها امرأتك فلانة نخرت جزوراً في حيها، فأخذ لها نصيب منها، فأهدى أهلها إليها. قال: «فكلوا هنيئاً مريئاً»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٠٦ ب ٩١ ضمن ح ١١٧.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٩٤ ب ٣٥ ح ١٢٥٠٢.

(٣) الاختصاص: ص ١٥٣ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين عليه السلام.

الحياء والعفة

كان أمير المؤمنين عليه السلام في قمة الحياء والعفة، وكان يأمر المؤمنين بذلك. فإن المجتمع إذا تخلّى عن الحياء أصبح مجتمعاً فاسداً ضاراً مضراً، ويكون حينئذ أشبه شيء بالمجتمع الحيواني بل أخطر منه بكثير.

في الحديث: «إن علياً عليه السلام مرّ على بهيمة وفحل يسفدها على وجه الطريق فأعرض بوجهه. فقليل له: لم فعلت ذلك يا أمير المؤمنين؟».

فقال عليه السلام: إنه لا ينبغي لهم أن يصنعوا ما صنعوا وهو من المنكر، ولكن ينبغي لهم أن يواروه حيث لا يراه رجل ولا امرأة»^(١).

وهذه بعض روايات الإمام عليه السلام في الحياء أخذناها من (الغرر):

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثلاث هن جماع الدين: العفة، والورع، والحياء»^(٢).

وقال عليه السلام: «الإيمان شجرة أصلها اليقين، وفرعها التقى، ونورها الحياء، وثمرها السخاء»^(٣).

وقال عليه السلام: «غاية الحياء أن يستحيي المرء من نفسه»^(٤).

وقال عليه السلام: «على قدر الحياء تكون العفة»^(٥).

(١) الجعفرات: ص ٨٨ باب من له أن يأمر بالمعروف.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ق ١ ب ٢ ف ٥ قواعد الدين ح ١٣٩٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٧ ق ١ ب ٢ ف ٦ حقيقة الإيمان ح ١٤٤١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٦ ق ٣ ب ٢ ف ١ محاسبة النفس ح ٤٧٥٨.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٦ ق ٣ ب ٢ ف ٢ العفة ح ٥٤١٤.

وقال عليه السلام: «الحياء جميل»^(١).

وقال عليه السلام: «الحياء تمام الكرم».

وقال عليه السلام: «الحياء قرين العفاف».

وقال عليه السلام: «الحياء خلق جميل». وقال عليه السلام: «الحياء خلق مرضي».

وقال عليه السلام: «العقل شجرة ثمرها الحياء والسخاء».

وقال عليه السلام: «الحياء تمام الكرم وأحسن الشيم».

وقال عليه السلام: «الإيمان والحياء مقرونان في قرن ولا يفترقان».

وقال عليه السلام: «أعقكم أحياءكم».

وقال عليه السلام: «أعقل الناس أحياءهم»^(٢).

وقال عليه السلام: «أحسن ملابس الدين (الدنيا) الحياء».

وقال عليه السلام: «إن الحياء والعفة من خلائق الإيمان، وإنهما لسجية الأحرار، وشيمة الأبرار».

وقال عليه السلام: «تسربل الحياء، وأدرع الوفاء، واحفظ الإخاء، وأقلل محادثة النساء، يكمل لك السناء».

وقال عليه السلام: «سبب العفة الحياء».

وقال عليه السلام: «عليك بالحياء؛ فإنه عنوان النبل».

وقال عليه السلام: «كثرة حياء الرجل دليل إيمانه».

وقال عليه السلام: «نعم قرين السخاء الحياء».

وقال عليه السلام: «نعم قرين الإيمان الحياء».

وقال عليه السلام: «لا شيمة كالحياء». وقال عليه السلام: «لا إيمان كالحياء والسخاء».

وقال عليه السلام: «أفضل الحياء استحياؤك من الله».

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٦ ق ٣ ب ٢ ف ٢ فضيلة الحياء ح ٥٤٣١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٦ ق ٣ ب ٢ ف ٢ فضيلة الحياء ح ٥٤٣٢ - ٥٤٤٠.

وقال عليه السلام: «أحسن الحياء استحياؤك من نفسك»^(١).

وقال عليه السلام: «الحياء مفتاح كل الخير».

وقال عليه السلام: «الحياء يصدّ عن فعل القبيح».

وقال عليه السلام: «الحياء من الله يمحو كثيراً من الخطايا».

وقال عليه السلام: «الحياء من الله سبحانه وتعالى يقي من عذاب النار».

وقال عليه السلام: «ثمرة الحياء العفة».

وقال عليه السلام: «من كساه الحياء ثوبه خفي عن الناس عيبه».

وقال عليه السلام: «من صحبه الحياء في قوله زايله الخنى في فعله»^(٢).

وقال عليه السلام: «القحة عنوان الشر».

وقال عليه السلام: «إياك والقحة! فإنها تحدوك على ركوب القبائح، والتهجم

على السيئات».

وقال عليه السلام: «بئس الوجه الوقاح». وقال عليه السلام: «رأس كل شر القحة».

وقال عليه السلام: «شر الأشرار من لا يستحيي من الناس، ولا يخاف الله سبحانه».

وقال عليه السلام: «من لا حياء له فلا خير فيه».

وقال عليه السلام: «من قلّ حياؤه قلّ ورعه».

وقال عليه السلام: «من لم يكن له سقاء ولا حياء فالموت خير له من الحياة».

وقال عليه السلام: «من لم يستحي من الناس لم يستحي من الله سبحانه».

وقال عليه السلام: «من لم يتق وجوه الرجال لم يتق الله سبحانه».

وقال عليه السلام: «ما أبعد الصلاح من ذي الشر الوقاح».

وقال عليه السلام: «وقاحة الرجل تشينه»^(٣).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ فضيلة الحياء ح ٥٤٤١-٥٤٥٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ آثار الحياء ح ٥٤٥٣-٥٤٥٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم الوقاحة ح ٥٤٦٠-٥٤٧١.

الشورى والاستشارة

كان أمير المؤمنين عليه السلام ينهى عن الاستبداد بالرأى ويؤكد على الاستشارة، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك.

وكان عليه السلام يترك الناس عند ما يصرون على رأيهم وإن لم يرض هو بذلك، كما سبق في قصة الحكمين، وما ورد في صلاة التراويح من أنه عليه السلام نهاهم عن الجماعة في صلاة التراويح التي أبدعها عمر فامتنعوا ورفعوا أصواتهم قائلين: واعمراه واعمراه، حتى تركهم في خوضهم يلعبون^(١).

روايات في الاستشارة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حق على العاقل أن يستديم الاسترشاد، ويترك الاستبداد»^(٢).

وقال عليه السلام: «حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأى العقلاء، ويضم إلى علمه علوم الحكماء»^(٣).

وقال عليه السلام: «اللجوج لا رأي له».

وقال عليه السلام: «اللجاج يفسد الرأي»^(٤).

وقال عليه السلام: «المستبد متهور في الخطأ والغلط».

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٥٧ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ذم الوقاحة ح ٥٤٦٠-٥٤٧١.

(٢) انظر وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٤٦ ب ١٠ ح ١٠٠٦٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٥ ق ١ ب ١ ف ٤ رأي العاقل ح ٤٩٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٥ ق ١ ب ١ ف ١٢ اللجاج والجدل ح ٨٥٢-٨٥٣.

وقال عليه السلام: «الاستبداد برأيك يهلك ويهورك في المهوي»^(١).

وقال عليه السلام: «ما أعجب برأيه إلا جاهل»^(٢).

وقال عليه السلام: «بئس الاستعداد الاستبداد»^(٣).

وقال عليه السلام: «من قنع برأيه فقد هلك»^(٤).

وقال عليه السلام: «من استبد برأيه زلّ». وقال عليه السلام: «من استبد برأيه خفت

وطأته على أعدائه». وقال عليه السلام: «من استبد برأيه خاطر وغرر»^(٥).

وقال عليه السلام: «المشاورة استظهار».

وقال عليه السلام: «كفى بالمشاورة ظهيراً».

وقال عليه السلام: «نعم المظاهرة المشاورة».

وقال عليه السلام: «نعم الاستظهار المشاورة»^(٦).

وقال عليه السلام: «أفضل الناس رأياً من لا يستغني عن رأي مشير»^(٧).

وقال عليه السلام: «إذا أمضيت أمراً فأمضه بعد الروية ومراجعة المشورة».

وقال عليه السلام: «شاوروا فالنجح في المشاورة».

وقال عليه السلام: «جماع الخير في المشاورة والأخذ بقول النصيح».

وقال عليه السلام: «شاور قبل أن تعزم، وتفكر قبل أن تقدم».

وقال عليه السلام: «عليك بالمشاورة؛ فإنها نتيجة الحزم».

وقال عليه السلام: «قد أصاب المسترشد»^(٨).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٥ ق ١ ب ١ ف ١٢ الموانع المتفرقة ح ٨٦٤-٨٦٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٨ ق ٣ ب ٣ ف ٦ عدم العقل ح ٧٠٩٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الاستبداد ح ٧٩٨٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الاستبداد ح ٧٩٨٨.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٤٧ ق ٤ ب ٢ ف ٧ الاستبداد ح ٧٩٩٢-٧٩٩٠.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤١ ق ٦ ب ٤ ف ١ مدح المشاورة ح ١٠٠٤٦-١٠٠٤٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤١ ق ٦ ب ٤ ف ١ مدح المشاورة ح ١٠٠٤٨.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤١ ق ٦ ب ٤ ف ١ مدح المشاورة ح ١٠٠٥٦-١٠٠٥١.

وقال عليه السلام: «لا يستغني العاقل عن المشاورة».

وقال عليه السلام: «المشورة تجلب لك صواب غيرك»^(١).

وقال عليه السلام: «أخضخوا الرأي مخض السقاء ينتج سديد الآراء»^(٢).

وقال عليه السلام: «اضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب».

وقال عليه السلام: «من لزم المشاورة لم يعدم عند الصواب مادحاً، وعند الخطأ

عاذراً». وقال عليه السلام: «ما استنبط الصواب بمثل المشاورة»^(٣).

وقال عليه السلام: «المستشير متحصن من السقط».

وقال عليه السلام: «المستشير على طرف النجاح»^(٤).

وقال عليه السلام: «خوافي الآراء تكشفها المشاورة»^(٥).

وقال عليه السلام: «ما ضل من استشار»^(٦).

وقال عليه السلام: «شاوور ذوي العقول تأمن الزلل والندم»^(٧).

وقال عليه السلام: «من شاوور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول».

وقال عليه السلام: «من شاوور ذوي النهى والألباب، فاز بالنجح والصواب».

وقال عليه السلام: «من استشار ذوي النهى والألباب، فاز بالحزم والسداد»^(٨).

وقال عليه السلام: «من استغنى بعقله ضل»^(٩).

وقال عليه السلام: «لا تستبد برأيك، فمن استبد برأيه هلك»^(١٠).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤١ ق ٦ ب ٤ ف ١ فوائد المشاورة ح ١٠٠٥٩-١٠٠٦٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤١ ق ٦ ب ٤ ف ١ فوائد المشاورة ح ١٠٠٦٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ فوائد المشاورة ح ١٠٠٦٣-١٠٠٦٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ فوائد المشاورة ح ١٠٠٦٨-١٠٠٦٩.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ فوائد المشاورة ح ١٠٠٧٢.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ فوائد المشاورة ح ١٠٠٧٤.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ شاوور هؤلاء ح ١٠٠٧٨.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٢ ق ٦ ب ٤ ف ١ شاوور هؤلاء ح ١٠٠٨٠-١٠٠٨٢.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ١ من استبد برأيه زل ح ١٠١٠٧.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ١ من استبد برأيه زل ح ١٠١١١.

٣٤

العلم والعلماء

كان أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد كثيراً على العلم وضرورته، ويحثّ على التعليم والتعلم، ويشيد بدور العلماء.

مع طالب العلم

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «يا طالب العلم، إن العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأسباب والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأواه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار»^(١).

كمال الدين

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس، اعلّموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم، قد قسّمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه»^(٢).

(١) منية المرید: ص ١٤٨ ب ١ ن ١ ق ١ الأمر الثاني.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٣٠ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه ح ٤.

الناس ثلاثة

قال عليه السلام: «إن الناس ألوا بعد رسول الله ﷺ إلى ثلاثة: ألوا إلى عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن غيره، وجاهل مدع للعلم لا علم له معجب بما عنده قد فتنه الدنيا وفتن غيره، ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة، ثم هلك من ادعى، وخاب من افترى»^(١).

من الفقيه؟

عن أبي حمزة الثمالي مرفوعاً، قال: أقبل الناس على علي عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين، أنبئنا بالفقيه؟ قال: «نعم، أنبئكم بالفقيه حق الفقيه: من لم يرخص الناس في معاصي الله، ولم يقنطهم من رحمته، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يدع القرآن رغبةً إلى غيره. ألا لا خير في قراءة لا تدبر فيها، ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها، ألا لا خير في نسك لا ورع فيه»^(٢).

قلب العالم

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يكون السفه والغرة في قلب العالم»^(٣).

علائم العالم

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن للعالم ثلاث علامات: العلم والحلم والصمت. وللمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوّه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة، ويظاهر الظلمة»^(٤).

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٨ ب ٣ ح ٣٣٠٩٣.

(٢) مشكاة الأنوار: ص ١٣٧-١٣٨ ب ٣ ف ٨.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٣٦ باب صفة العلماء ح ٥.

(٤) منية المريد: ص ١٨٣ ب ١ ن ٢ ق ١ الرابع.

من حق العالم

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان علي عليه السلام يقول: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تجر بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعاً وخصه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه، ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينيك، ولا تشرب بيدك، ولا تكثر من قول قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبته؛ فإنما مثل العالم مثل النخلة ينتظر بها متى يسقط عليك منها شيء، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة»^(١).

العالم غير العامل

قال أمير المؤمنين عليه السلام - في كلام له خطب به على المنبر -: «أيها الناس، إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، إن العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله؛ بل قد رأيت أن الحجة عليه أعظم، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه منها على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما حائر بائر.

لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا، ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا، ولا تدهنوا في الحق فتخسروا. وإن من الحق أن تفقهوا، ومن الفقه أن لا تغتروا. وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه، وأغشكم لنفسه أعصاكم لربه، ومن يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخب ويندم»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٤٣ ب ١٠ ح ٩.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٥ باب استعمال العلم ح ٦.

التعددية

كانت سياسة أمير المؤمنين عليه السلام على احترام التعددية وعدم إلغاء الآخرين ، وإن كانوا مخالفين ومنافقين ، حيث فسح الإمام عليه السلام لهم المجال ولم يحاربهم إلا بعد ما حاربوه .

ويظهر ذلك من قصص عديدة مروية في التاريخ ، كقصة ابن الكواء وغيره .
عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «إِن عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ، فَقَرَأَ ابْنُ الْكَوَاءِ وَهُوَ خَلْفُهُ : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١) . فَأَنْصَتَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعْظِيمًا لِلْقُرْآنِ حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الْآيَةِ ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قِرَاءَتِهِ .

ثم أعاد ابن الكواء الآية ، فَأَنْصَتَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا ثُمَّ قَرَأَ .
فأعاد ابن الكواء فَأَنْصَتَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثم قال : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٢) . ثم أتم السورة ثم ركع^(٣) .

وترك الإمام عليه السلام ابن الكواء وشأنه .

(١) سورة الزمر : ٦٥ .

(٢) سورة الروم : ٦٠ .

(٣) وسائل الشيعة : ج ٨ ص ٣٦٧ ب ٣٤ ح ١٠٩٢٣ .

الحرريات الإسلامية

كانت حكومة أمير المؤمنين عليه السلام نموذجاً للحرريات الإسلامية، فالأمة حرة في أعمالها، وتجارتها، وسفرها، وحضرها، وفي جميع نشاطاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية وغيرها، إلا في المحرمات الشرعية وهي قليلة.

ومن هنا لم يمنع الإمام عليه السلام طلحة والزبير من سفرهما حيث ادعيا أنهما يريدان العمرة، مع أن الإمام عليه السلام كان يعلم بأنها يريدان الغدرة^(١). وقد كان الناس في عصر الإمام عليه السلام يسافرون من مختلف البلدان إلى الكوفة ومنها إلى سائر البلدان، ويقيم من شاء في أي بلد شاء، وحتى لم يمنع الكفار من السفر، من وإلى البلد الإسلامي الكبير. وكذلك لم يمنع أحد من أي نشاط سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو غير ذلك.

وقد سبق قصة صلاة التراويح وتركه عليه السلام الناس على ما أرادوا. إن الإسلام جاء بمبادئ ومقررات لم يسبقه إليها أحد. وقد شرعها رب العالمين لسعادة البشر وإسعاد العالم بما تحتاج إليه النفس البشرية، فجاءت متطابقة تماماً مع الفطرة الإنسانية التي جبلها الله تعالى على الحرية والأخوة والمحبة والعمل والتقدم ورفض القيود وغيرها.

ولكن أكثر المسلمين اليوم، ونتيجة لابتعادهم عن الإسلام والإعراض عن منهج القرآن تناسوا ما قرره الإسلام من قوانين ومقررات تغنيهم عن الآخرين

(١) راجع (حرب الجمل) في هذا الكتاب.

وتجعلهم أسياداً في دنياهم وأخراهم، فأخذوا يخطبون خطباً عشواء بأن أخذوا قوانينهم ومقرراتهم من الغرب والشرق، فمرة من الشيوعية ومرة من الاشتراكية ومرة من الرأسمالية ومرة من القومية ومرة من البعثية وهلمّ جراً، والنتيجة كلها عيش ضنك وقيود مكبلة وقوانين كابته واقتصاد مريض وأراض باثرة وتجارة خاسرة وغير ذلك.

لقد شرّع الإسلام مبدأ الحريات الإسلامية، حيث قال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾^(١).

وقال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢)، فكان من أهم مهمات الرسول الأكرم ﷺ في بعثته الكريمة رفع كل القيود والأغلال التي تحدّ من حرية البشر؛ لأن الإسلام دين الحرية والتحرر، فقد أعطى الإنسان كامل الحرية يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء. فأعطاه الحرية في الفكر والعقيدة، والعمل والاكتساب، وطلب العلم والدراسة، والبناء والعمران وغيرها كثير.

كما أعطاه الحرية بإقامة التجمعات والمنظمات والأحزاب السياسية، وإبداء الآراء وإعلان الانتقادات وتقديم الأطروحات البناءة عبر كل وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

وبعبارة أخرى فإن الإسلام يضمن لكل الناس حرياتهم المشروعة الأعم من الحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وقد عاش المسلمون الأوائل في ظل هذه النعمة وتنعموا بها، ولذا رأيناهم تقدموا سريعاً وأصبحوا سادة العالم، بينما نرى المسلمين اليوم يتقهقرون يوماً بعد يوم.

(١) سورة البقرة: ٢٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

٣٧

حقوق المعارضة

كانت المعارضة تتمتع في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام بكامل حرياتها، وهذه نماذج من ذلك :

مع المتخلفين عن البيعة

عند بايع عموم الناس أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان، تخلف عنه البعض أو تأخر في بيعته، فلم يجبرهم أمير المؤمنين عليه السلام على البيعة وإنما تركهم وشأنهم.. ذكر المؤرخون: إنه جاؤوا بسعد بن أبي وقاص، فقال علي عليه السلام: « بايع ». فقال: « حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس ». فقال عليه السلام: « خلوا سبيله ».

وجاءوا بآبن عمر، فقالوا: بايع. قال: « لا حتى يبايع الناس ». قال عليه السلام: « اثنتي بكفيل ». قال: « لا أرى كفيلاً ». قال الأشر: دعني أضرب عنقه. قال علي عليه السلام: « دعوه أنا كفيله، إنك ما علمت لسيء الخلق صغيراً وكبيراً ».

وقيل: لما بايعت الأنصار تخلف نفر يسير، منهم: كعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، ومحمد بن مسلمة، ورافع بن خديج، وكعب بن عجرة.

وقيل: إنه لم يبايعه عبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وسلمة بن سلامة بن وقش، وقدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة^(١).

فتركهم أمير المؤمنين عليه السلام وشأنهم، ثم إنه بايعه معظمهم بعد ذلك.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٣ ص ٨٢ ذكر بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

مع الطلحة والزبير

قال علي عليه السلام للزبير يوم بايعه: «إني لخائف أن تغدر بي وتنكث بيعتي». قال: لا تخافن؛ فإن ذلك لا يكون مني أبداً. فقال عليه السلام: «فلي الله عليك بذلك راع وكفيل». قال: نعم الله لك علي بذلك راع وكفيل^(١). واكتفى أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المقدار وتركه وشأنه.

وروي: أنه دخل الزبير وطلحة على علي عليه السلام فاستأذناه في العمرة. فقال عليه السلام: «ما العمرة تريدان». فحلفا له بالله أنهما ما يريدان غير العمرة. فقال عليه السلام لهما: «ما العمرة تريدان، وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة». فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعة تريدان، وما رأيهما غير العمرة. قال عليه السلام لهما: «فأعيدا البيعة لي ثانية». فأعاداهما بأشد ما يكون من الإيمان والمواثيق، فأذن لهما. فلما خرجا من عنده قال عليه السلام لمن كان حاضراً: «والله لا ترونها إلا في فتنة يقتتلان فيها». قالوا: يا أمير المؤمنين، فمر بردهما عليك. قال عليه السلام: «﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾»^(٢). وهكذا كان عليه السلام يترك المعارضة ليعملوا ما شاؤوا...^(٣).

بدعة التراويح

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة، أمر الحسن بن علي عليه السلام أن ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة. فنادى في الناس الحسن بن علي عليه السلام بما أمره به أمير المؤمنين عليه السلام، فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي صاحوا: واعمره واعمره.

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٣٠.

(٢) سورة الأنفال: ٤٤ و ٤٢.

(٣) للتفصيل انظر شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٣٢-٢٣٣ أمر طلحة والزبير مع علي بن أبي طالب عليه السلام بعد بيعتهما له.

فلما رجع الحسن عليه السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال له : ما هذا الصوت ؟ .
فقال : يا أمير المؤمنين ، الناس يصيحون وا عمراه وا عمراه .
فقال أمير المؤمنين عليه السلام : قل لهم صلوا^(١) .

هذه بهذه

عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «بعث أمير المؤمنين عليه السلام إلى بشر بن عطار د التميمي في كلام بلغه . فمر به رسول أمير المؤمنين عليه السلام في بني أسد وأخذه ، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأفلقته . فبعث إليه أمير المؤمنين عليه السلام فأتوه به وأمر به أن يضرب . فقال له نعيم : أما والله إن المقام معك لذل ، وإن فراقك لكفر . قال - فلما سمع ذلك منه قال له : يا نعيم ، قد عفونا عنك إن الله عز وجل يقول : ﴿ ادْفَعْ بِإِنتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ﴾^(٢) ، أما قولك : إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها ، وأما قولك : إن فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها ، فهذه بهذه ، ثم أمر أن يخلى عنه»^(٣) .

عضو عن ذنب

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في أصحابه ، فمرت بهم امرأة جميلة ، فرمقها القوم بأبصارهم . فقال عليه السلام : «إن أبصار هذه الفحول طوامح ؛ وإن ذلك سبب هبابها ، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلاص أهله ، فإنما هي امرأة كأمراته» . فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافراً ما أفقعه . فوثب القوم ليقتلوه ، فقال عليه السلام : «رويداً إنما هو سبّ بسبّ ، أو عفوا عن ذنب»^(٤) .

(١) تهذيب الأحكام : ج ٣ ص ٧٠ ب ٤ ح ٣٠ .

(٢) سورة المؤمنون : ٩٦ .

(٣) الكافي : ج ٧ ص ٢٦٨ باب النوادر ح ٤٠ .

(٤) نهج البلاغة ، قصار الحكم : رقم ٤٢٠ .

وعفى عليه السلام عنه.

مع أسرى الجمل

ذكر المؤرخون: أنه أسر مالك الأشر يوم الجمل مروان بن الحكم فعاتبه أمير المؤمنين عليه السلام وأطلقه.

وقالت عائشة يوم الجمل: ملكت فأسجج. فعفى أمير المؤمنين عليه السلام عنها وجهزها أحسن الجهاز، وبعث معها بتسعين امرأة أو سبعين. واستأمنت عائشة لعبد الله بن الزبير على لسان محمد بن أبي بكر، فأمنه وأمن معه سائر الناس.

وجيء بموسى بن طلحة بن عبيد الله، فقال له: «قل: أستغفر الله وأتوب إليه ثلاث مرات». وخلي سبيله وقال: «أذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذ، واثق الله فيما تستقبله من أمرك، واجلس في بيتك»^(١).

مع أسرى الشام

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان علي عليه السلام إذا أخذ أسيراً في حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه»^(٢) ثم تركه.

(١) المناقب: ج ٢ ص ١١٤ فصل في حلمه وشفقته.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٠ ب ١٠٤ ح ٣.

٣٨

المرأة وحقوقها

كان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي كثيراً بالمرأة وحقوقها، حتى أنه قال في وصيته الأخيرة وذلك عندما ضربه ابن ملجم (عنه الله) : «الله الله في النساء وفيما ملكت أيمانكم؛ فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال : أوصيكم بالضعيفين : النساء وما ملكت أيمانكم»^(١).

مع المرأة وأيتامها

رأى أمير المؤمنين علي عليه السلام يوماً امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة وحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها. فقالت : بعث علي بر بي طالب عليه السلام صاحبي إلى بعض الثغور، فقتل وترك علي صبيانا يتامى، ليس عندي شيء، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس.

فانصرف علي عليه السلام وبات ليلته قلقاً، فلما أصبح حمل زبلاً فيه طعام. فقال بعضهم : أعطني أحمله عنك؟

فقال عليه السلام : «من يحمل وردي عني يوم لقيمه».

فاتى عليه السلام وقرع الباب، فقالت : من هذا؟

قال عليه السلام : «أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة فافتحي؛ فإن معي شيئاً لنصيبين».

فقالت : رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب!.

(١) الكافي. ج ١ ص ٥٠٠ باب عداقات النبي ﷺ وفاطمة والأئمة عليهم السلام ووصاياهم ح ٧.

فدخل عليه السلام وقال: «إني أحببت اكتساب الثواب، فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين وبين أن تعللين الصبيان لأخبز أنا».

فقالت: أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان فعللهم حتى أفرغ من الخبز. فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد علي عليه السلام إلى اللحم فطبخه، وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: «يا بني، اجعل علي بن أبي طالب في حل مما مر في أمرك». فلما اختمر العجين قالت: يا عبد الله، سجر التنور. فبادر لسجره، فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: «ذق يا علي هذا جزاء من ضيع الأرامل واليتامى».

فرأته امرأة تعرفه، فقالت: ويحك هذا أمير المؤمنين!. قال: فبادرت المرأة وهي تقول: «واحيائي منك يا أمير المؤمنين». فقال عليه السلام: «بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك»^(١).

مع جارية تبكي

عن مختار التمار، قال: كنت أبيت في مسجد الكوفة، وأنزل في الرحبة، وآكل الخبز من البقال. وكان من أهل البصرة. فخرجت ذات يوم فإذا رجل يصوت بي: «ارفع إزارك؛ فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك». فقلت: من هذا؟ ف قيل: علي بن أبي طالب عليه السلام.

فخرجت أتبعه وهو متوجه إلى سوق الإبل، فلما أتاها وقف وقال: «يا معشر التجار، إياكم واليمين الفاجرة؛ فإنها تنفق السلعة، وتمحق البركة». ثم مضى عليه السلام حتى أتى إلى التمارين، فإذا جارية تبكي على تمار. فقال عليه السلام: «ما لك؟».

(١) المناقب: ج ٢ ص ١١٥-١١٦ فصل في حلمه وشفقته.

قالت: إني أمة أرسلني أهلي أبتاع لهم بدرهم تمرًا، فلما أتيتهم به لم يرضوه، فرددته فأبى أن يقبله.

فقال عليه السلام: «يا هذا، خذ منها التمر وردّ عليها درهمها».

فأبى، فقيل للتمار: هذا علي بن أبي طالب. فقبل التمر وردّ الدرهم على الجارية، وقال: ما عرفتك يا أمير المؤمنين فاغفر لي.

فقال عليه السلام: «يا معشر التجار، اتقوا الله وأحسنوا مبايعتكم يغفر الله لنا ولكم»، ثم مضى ^(١).

زوجي ظلمي

عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «رجع علي عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى عليّ، وحلف ليضربني!».

فقال عليه السلام: يا أمة الله، اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إن شاء الله. فقالت: يشتد غضبه وحرده عليّ.

فطأ عليه السلام رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متمتع، أين منزلك؟.

فمضى عليه السلام إلى بابه فوقف فقال عليه السلام: السلام عليكم.

فخرج شاب، فقال علي عليه السلام: يا عبد الله، اتق الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها.

فقال الفتى: وما أنت وذاك؟ والله لأحرقنها لكلامك!!.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف!.

قال: فأقبل الناس من الطرق ويقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين.
فسقط الرجل في يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، أقلني عثرتي فوالله لأكون
لها أرضاً تطوئني.
فأغمد علي عليه السلام سيفه وقال: يا أمة الله، ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك
إلى مثل هذا وشبهه^(١).

روايات في المرأة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المرأة ريحانة وليست بقهرمانه»^(٢).
وقال عليه السلام: «إنما النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه»^(٣). وهذا كناية عن
صعسهن ولزوم مداراتهن؛ فإن العرب تقول: في الإنسان إذا كان ضعيفاً: إنه
خم على وضم.
و قال عليه السلام: «إن النساء عند الرجال لا يملكن لأنفسهن ضرراً ولا نفعاً،
وإنهن أمانة الله عندكم فلا تضاروهن ولا تعضلوهن»^(٤).
وقال عليه السلام: «إنما المرأة لعبة فمن اتخذها فليغتها»^(٥).
و قال عليه السلام: «صيانة المرأة أنعم خالها وأدوم حملها»^(٦).

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٣٧ ب ٤٠ ح ١٤٢٢٣.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٥١٠ باب إكرام الزوجة ح ٣.

(٣) الجمعريات: ص ٩٥ باب فضل الغيرة.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥١ ب ٦٦ ح ١٦٦٢٦.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٨ ق ٦ ب ١ ف ٤ ح ٩٣٦٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٤ ق ٦ ب ١ ف ١ ح ٩٣٦٩.

الشعائر الدينية

أكد أمير المؤمنين عليه السلام على ضرورة إقامة الشعائر الدينية، وذلك في العديد من خطبه وكلماته ومواقفه، فقد خطب عليه السلام يوم الفطر، فقال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ وَأَمْرُكُمْ بِهِ، مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحِجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث - قال: «وَأَمَّا مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْفَرَائِضِ فِي كِتَابِهِ فَدَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ خَمْسُ دَعَائِمَ وَعَلَى هَذِهِ الْفَرَائِضِ بُنِيَ الْإِسْلَامُ، فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْ هَذِهِ الْفَرَائِضِ أَرْبَعَةَ حُدُودٍ لَا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهَا، أَوَّلُهَا الصَّلَاةُ، ثُمَّ الزَّكَاةُ، ثُمَّ الصَّيَّامُ، ثُمَّ الْحَجُّ، ثُمَّ الْوَلَايَةُ، وَهِيَ خَاتِمَتُهَا وَالْحَافِظَةُ لِجَمِيعِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ»^(٢).

وعن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ مُؤْمِنًا؟. قَالَ: فَأَيْنَ فَرَائِضُ اللَّهِ»^(٣).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام أَمَرَ النَّاسَ بِإِقَامَةِ أَرْبَعٍ: إِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَيَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ جَمِيعاً»^(٤).

(١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٢٠ ب ١ ح ١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٢٧-٢٨ ب ١ ح ٣٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٣ باب ح ٢.

(٤) الجعفریات: ص ٦٧-٦٨ باب الرجل يموت ولم يحج وفضل الحج.

وعن سليم بن قيس، قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام وسأله رجل عن الإيمان - إلى أن قال - قال له: يا أمير المؤمنين، ما أدنى ما يكون به الرجل مؤمناً، وأدنى ما يكون به كافراً، وأدنى ما يكون به ضالاً؟.

قال عليه السلام: «قد سألت فاسمع الجواب، أدنى ما يكون به مؤمناً أن يعرفه الله نفسه فيقر له بالربوبية والوحدانية، وأن يعرفه نبيه فيقر له بالنبوة وبالبلاغة، وأن يعرفه حجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة»^(١).

(١) كتاب سليم بن قيس: ص ٦١٥ ح ٨.

٤٠

الصلاة

أكد أمير المؤمنين عليه السلام على الصلاة وأهميتها والحث عليها.

قال علي عليه السلام وهو يوصي أصحابه: «تَعَاهِدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا»^(١)، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟» قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ»^(٢)، وَإِنَّهَا لَتَحْتَ الذُّنُوبِ حَتَّى الْوَرَقِ، وَتُطْلَقُهَا إِطْلَاقَ الرِّيقِ، وَشَبَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحِمَةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ، وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رَجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قَرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ»^(٣)، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَصِيْبًا بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»^(٤)، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ»^(٥).

وفي حرب صفين عند ما كان علي عليه السلام مشغولاً بالحرب والقتال، وهو مع ذلك بين الصفين يرقب الشمس، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الفعل؟ فقال عليه السلام: «أُنْظِرْ إِلَى الزَّوَالِ حَتَّى نَصْلِيَ». فقال له ابن عباس: وهل هذا وقت صلاة! إن عندنا لشغلاً بالقتال عن الصلاة. فقال عليه السلام: «على ما نقاتلهم، إنما نقاتلهم على الصلاة»^(٦).

(١) سورة النساء: ١٠٣.

(٢) سورة المدثر: ٤٢-٤٣.

(٣) سورة النور: ٣٧.

(٤) سورة طه: ١٣٢.

(٥) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٩٩ ومن كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه.

(٦) إرشاد القلوب: ج ٢ ص ٢١٧ في فضائل ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغزواته عليه السلام.

الشعائر الحسينية

كان أمير المؤمنين عليه السلام كأخيه رسول الله ﷺ قد أخبر بمقتل ولده الحسين عليه السلام في كربلاء يوم عاشوراء وبكى وأبكى لذلك.

عن عبد الله بن قيس، قال: كنت مع من غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس. فشكا المسلمون العطش، فأرسل فوارس على كشفه، فانحرفوا خائبين فضاق صدره. فقال له ولده الحسين عليه السلام: «أمضي إليه يا أبتاه؟».

فقال عليه السلام: «امض يا ولدي». فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء، وبنى خيمته وحط فوارسه وأتى إلى أبيه وأخبره، فبكى علي عليه السلام! فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، وهذا أول فتح ببركة الحسين عليه السلام؟.

فقال: «ذكرت أنه سيقتل عطشاناً بطف كربلاء حتى ينفر فرسه ويحمحم ويقول: الظليمة الظليمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها»^(١).

وعن ابن عباس، قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل بنينوى - وهو بشط الفرات - قال بأعلى صوته: «يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟. قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين؟».

فقال عليه السلام: «لو عرفته كعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي!».

قال: فبكى عليه السلام طويلاً حتى أخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره وبكىنا معاً وهو يقول: «أوه أوه ما لي ولآل أبي سفيان، ما لي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر. صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم». ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة، فصلّى ما شاء الله أن يصلي. ثم ذكر

نحو كلامه الأول - إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة ثم انتبه. فقال : «يا ابن عباس». فقلت : ها أنا ذا. فقال : «ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟». فقلت : نامت عينك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال : «رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلدوا سيوفهم وهي بيض تلمع ، وقد خطوا حول هذه الأرض خطة ، ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط ، وكأني بالحسين عليه السلام سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه يستغيث فيه فلا يغاث ، وكان الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون : صبراً آل الرسول ؛ فإنكم تُقتلون على أيدي شرار الناس ، وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة. ثم يعزوني ويقولون : يا أبا الحسن ، أبشر فقد أقر الله به عينك يوم يقوم الناس لرب العالمين. ثم انتبهت هكذا ، والذي نفس علي بيده لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم عليه السلام أنني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا ، وهذه أرض كرب وبلاء يُدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة عليها السلام ، وإنها في السماوات معروفة تُذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس».

ثم قال لي : «يا ابن عباس ، اطلب في حولها بعز الطباء ، فوالله ما كذبت ولا كذبت وهي مصفرة لونها لون الزعفران».

قال ابن عباس : فطلبتها فوجدتها مجتمعة ، فناديته : يا أمير المؤمنين ، قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي.

فقال علي عليه السلام : «صدق الله ورسوله» ، ثم قام عليه السلام يهرول إليها فحملها وشمها وقال : «هي هي بعينها ، أعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعاد ، هذه قد شمها عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك أنه مر بها ومعه الخواريون فرأى هاهنا الطباء مجتمعة وهي تبكي ، فجلس عيسى عليه السلام وجلس الخواريون معه فبكى وبكى

الحواريون وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى. فقالوا: يا روح الله، وكلمته ما يكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟ قالوا: لا. قال: هذه أرض يُقتل فيها فرخ الرسول عليه السلام، وفرخ الحرة الطاهرة البتول عليها السلام شبيهة أُمي، ويلحد فيها طينة أطيب من المسك؛ لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الطباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض. ثم ضرب بيده إلى هذه الصيران فشمها وقال: هذه بحر الطباء على هذه الطيب لمكان حشيشها، اللهم فأبقها أبداً حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء وسلوة. قال عليه السلام: فبقيت إلى يوم الناس هذا وقد اصفرت لطول زمنها وهذه أرض كرب وبلاء».

ثم قال عليه السلام بأعلى صوته: «يا رب عيسى ابن مريم، لا تبارك في قتلته والمعين عليه والخاذل له». ثم بكى بكاء طويلاً وبكىنا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً، ثم أفاق فأخذ البعر فصره في ردائه وأمرني أن أصرها كذلك، ثم قال: «يا ابن عباس، إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً ويسيل منها دم عبيط، فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل بها ودفن».

قال ابن عباس: فو الله لقد كنت أحفظها أشد من حفطي لبعض ما افترض الله عز وجل عليّ، وأنا لا أحلها من طرف كمي، فبينما أنا نائم في البيت إذا انتهت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً، وكان كمي قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باك وقلت: قد قُتل والله الحسين، والله ما كذبني علي عليه السلام قط في حديث حدثني، ولا أخبرني بشيء قط أنه يكون إلا كان كذلك؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره. ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثم طلعت الشمس ورأيت كأنها منكسفة، ورأيت كأن حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باك فقلت: قد قُتل والله الحسين، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

اصبروا آل الرسول قتل الفرخ النحول
نزل الروح الأمين ببكاء وعويل

ثم بكى بأعلى صوته وبكى فأنبت عندي تلك الساعة، وكان شهر المحرم يوم عاشوراء لعشر مضين منه، فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك، فحدثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه، فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة، ولا ندري ما هو فكنا نرى أنه الخضر عليه السلام^(١).

وعن أصبغ بن نباتة، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلا نبأتكم به». فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟. فقال له: «أما والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك لسخلًا يقتل الحسين ابني»، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه^(٢).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: «مر علي عليه السلام بكربلاء في اثنين من أصحابه - قال - فلما مر بها تفرقت عيناه للبكاء، ثم قال: هذا مناخ ركابهم، وهذا ملقى رحالهم، ها هنا تهراق دماؤهم، طوبى لك من تربة عليك تهراق دماء الأحبة»^(٣). وعن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام والحسين إلى جنبه، فضرب بيده على كتف الحسين عليه السلام ثم قال: «إن هذا يُقتل ولا ينصره أحد». قال: قلت: يا أمير المؤمنين، والله إن تلك الحياة سوء. قال: «إن ذلك لكائن»^(٤).

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٥٣٢-٥٣٥ ب ٤٨ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١٤٦-١٤٧ ب ١٢٤ ح ٦، والبحار: ج ٤٤ ص ٢٥٦ ب ٣١ ح ٥.

(٣) قرب الإسناد: ص ١٤.

(٤) كامل الزيارات: ص ٧١ ب ٢٣.

وعن هانئ بن هانئ، عن علي عليه السلام، قال: «ليقتل الحسين قتلاً، وإني لأعرف تربة الأرض التي يقتل عليها قريباً من النهرين»^(١).

وروي في (كامل الزيارات): أنه قالت زينب عليها السلام: فلما ضرب ابن ملجم (لعنه الله) أبي عليه السلام، ورأيت عليه أثر الموت منه قلت له: يا أبة، حدثني أم أيمن بكذا وكذا^(٢)، وقد أحبيت أن أسمعك منك؟.

فقال عليه السلام: «يا بنية، الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأنني بك وبنيساء أهلك سايًا بهذا البلد، أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبراً فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشبعتكم. ولقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله حين أخبرنا بهذا الخبر: إن إبليس (لعنه الله) في ذلك اليوم يطير فرحاً، فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفاريته فيقول: يا معاشر الشياطين، قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار، إلا من اعتصم بهذه العصاة، فاجعلوا شغلهم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكموا ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب أنه لا يتفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر»^(٣).

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «كأنني بالقصور قد شيدت حول قبر الحسين عليه السلام وكأنني بالحامل تخرج من الكوفة إلى قبر الحسين ولا تذهب الليالي والأيام حتى يسار إليه من الآفاق وذلك عند انقطاع ملك بني مروان»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٦٢ ب ٣١ ح ١٦.

(٢) أي بقصة عاشوراء ومقتل الإمام الحسين عليه السلام.

(٣) كامل الزيارات: ص ٢٦٥-٢٦٦ ب ٨٨.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٤٨ ب ٣١ ح ١٩٠.

٤٢

دعاء الفرج

روي: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله يشكو إليه الحاجة. فقال صلى الله عليه وآله: «ألا أعلمك كلمات أهداهن إليَّ جبرئيل... ما دعا بهن مكروب ولا ملهوف، ولا مهموم ولا مغموم، ولا من يخاف سلطاناً ولا شيطاناً إلا كفاه الله عز وجل، وهي:

يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ، وَيَا سَدَّ مَنْ لَا سَدَّ لَهُ، وَيَا ذُخْرَ مَنْ لَا ذُخْرَ لَهُ،
 وَيَا حِرْزَ مَنْ لَا حِرْزَ لَهُ، وَيَا فَخْرَ مَنْ لَا فَخْرَ لَهُ، وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ، يَا
 عَظِيمَ الرَّجَاءِ، يَا عِزَّ الضُّعْفَاءِ، يَا مُنْقِذَ الْغَرَقَى، يَا مُنْجِيَ الْهَلَكَى، يَا مُجْمِلُ يَا
 مُنْعَمُ يَا مُفْضِلُ، أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ،
 وَضَوْءُ النَّهَارِ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ، وَنُورُ الْقَمَرِ، وَدَوِيُّ الْمَاءِ، وَحَفِيفُ الشَّجَرِ، يَا
 اللَّهُ يَا رَحْمَانُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يسمي هذا: «دعاء الفرج»^(١).

(١) الجعفریات: ص ٢٤٨ كتاب الرؤيا.

٤٣

صفة المؤمن

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قام رجل يقال له همام - وكان عابداً ناسكاً مجتهداً - إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين، صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه؟»

فقال عليه السلام: يا همام، المؤمن هو الكيس الفطن، بُشره في وجهه، وحُزنه في قلبه، أوسع شيء صدرًا، وأذل شيء نفساً، زاجرٌ عن كل فان، حاضٌّ على كل حسن، لا حقوق ولا حسود، ولا وثاب ولا سباب، ولا غياب ولا مراتب، يكره الرفعة، ويشنأ السُّمعة، طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، وقور ذكور، صبورٌ شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليفة، لين العريكة، رصين الوفاء، قليل الأذى، لا متأفك ولا متهتك، إن ضحك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسم، واستفهامه تعلم، ومراجعته تفهم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا يبخل ولا يعجل، ولا يضجر ولا يبطر، ولا يحيف في حكمه، ولا يجور في علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف، ولا متكلف ولا متعمق، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهور ولا يتهتك ولا يتجبر، خالص الود، وثيق العهد، وفي العقد، شفيقٌ وصول، حلیمٌ خمول، قليل الفضول، راض عن الله عز وجل، مخالف لهواه، لا يغلظ على من دونه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ناصر للدين، محام عن المؤمنين، كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء سمعه، ولا ينكي الطمع قلبه، ولا يصرف اللعب حكمه، ولا يطلع الجاهل علمه، قوَال عمَال، عالم

حازم، لا بفحاش ولا بطياش، وصول في غير عنف، بذول في غير سرف، لا بختال ولا بغدار، ولا يقتفي أثراً، ولا يحيف بشراً، رفيق بالخلق، ساع في الأرض، عون للضعيف، غوث للملهوف، لا يهتك سترأ، ولا يكشف سرأ، كثير البلوى، قليل الشكوى، إن رأى خيراً ذكره، وإن عاين شراً ستره، يستر العيب ويحفظ الغيب، ويقلل العثرة ويغفر الزلة، لا يطلع على نصح فيذره، ولا يدع جنح حيف فيصلحه، أمين رصين، تقي نقي، زكي رضي، يقبل العذر ويجميل الذكر، ويحسن بالناس الظن، ويتهم على العيب نفسه، يحب في الله بفقه وعلم، ويقطع في الله بحزم وعزم، لا يخرق به فرج، ولا يطيش به مرج، مذكر للعالم، معلم للجاهل، لا يتوقع له بائقة، ولا يخاف له غائلة، كل سعي أخلص عنده من سعيه، وكل نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيه، شاغل بغمه، لا يثق بغير ربه، غريب وحيد حزين، يحب في الله، ويجاهد في الله ليتبع رضاه، ولا ينتقم لنفسه بنفسه، ولا يوالي في سخط ربه، مجالس لأهل الفقر، مصادق لأهل الصدق، مؤازر لأهل الحق، عون للغريب، أب لليتيم، بعل للأرملة، حفي بأهل المسكنة، مرجو لكل كريمة، مأمول لكل شدة، هشاش بشاش، لا بعباس ولا بجساس، صليب كظام بسام، دقيق النظر، عظيم الخذر، لا يبخل، وإن بخل عليه صبر، عقل فاستحيا، وقنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، وودّه يعلو حسده، وعفوه يعلو حقه، لا ينطق بغير صواب، ولا يلبس إلا الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربه بطاعته، راض عنه في كل حالاته، نيته الحائصة، أعماله ليس فيها غش ولا خديعة، نظره عبدة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة، مناصحاً متبذلاً متواخياً، ناصح في السر والعلانية، لا يهجر أخاه، ولا يغتابه ولا يكرهه، ولا يأسف على ما فاته، ولا يحزن على ما أصابه، ولا يرجو ما لا يجوز له الرجاء، ولا يفشل في الشدة، ولا يبطر في الرخاء، يمزج الحلم بالعلم، والعقل بالصبر، تراه بعيداً كسله، دائماً نشاطه، قريباً أمله، قليلاً

زله، متوقفاً لأجله، خاشعاً قلبه، ذاكراً ربه، قانعة نفسه، منقياً جهله، سهلاً أمره، حزينا لذنبه، ميتة شهوته، كظوماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً منه جاره، ضعيفاً كبيره، قانعاً بالذي قدر له، متيناً صبره، محكماً أمره، كثيراً ذكره، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويسأل ليفهم، ويتجر ليغنم، لا ينصت للخير ليفخر به، ولا يتكلم ليتجبر به على من سواه، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، فأراح الناس من نفسه، إن بغى عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له، بعده ممن تباعد منه بغض ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده تكبراً ولا عظمة، ولا دنوه خديعة ولا خلافة، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير، فهو إمام لمن بعده من أهل البر.

قال: فصاح همام صيحة، ثم وقع مغشياً عليه»^(١).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٢٦-٢٣٠ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح ١.

الحث على الزواج

أكد أمير المؤمنين عليه السلام على الزواج وضرورته وأهميته، وحث عليه، وكان يزوّج الشباب من بيت المال، ولما أسرت بنات كسرى وجيء بهن، لم يرض بأن يكنّ إماءً، بل أنزلهن على أمان وقال لهن: «أزوجكن»؟.

قلن: لا إلّا أن تزوجنا ابنك؛ فإننا لا نرى لنا كفواً غيرهما.

فقال علي عليه السلام: «اذهبا حيث شئتما». فقام نرسا فقال: مر لي بهن؛ فإنها منك كرامة، وبينني وبينهن قرابة، ففعل^(١).

وقال علي عليه السلام: في حديث الأربعمائة: «تزوجوا؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما كان يقول: من كان يحب أن يتبع سنتي فليتزوج، فإن من سنتي التزويج. واطلبوا الولد؛ فإنني أكاثركم الأمم غداً. وتوقوا على أولادكم لبن البغي من النساء والمجنونة؛ فإن اللبن يعدي»^(٢).

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير نسائكم الخمس. قيل: يا أمير المؤمنين، وما الخمس؟. قال: الهيئة اللينة المؤاتية التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى، وإذا غاب عنها زوجها حفظته في غيبته، فتلك عامل من عمال الله وعامل الله لا يخيب»^(٣).

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما»^(٤).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٥٧ ب ١٠.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٦١٤-٦١٥ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ح ١٠.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٣٢٤-٣٢٥ باب خير النساء ح ٥.

(٤) وسائل الشيعة: ج ٢٠ ص ٤٥ ب ١٢ ح ٢٤٩٩٣.

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ يوماً ونحن عنده: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه. قال: قلت: يا رسول الله، وإن كان دنياً في نسبه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه؛ إنكم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾»^(١)»^(٢).

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يلقي الله تعالى طاهراً مطهراً فليلقاه بزوجته»^(٣). وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حباً للنساء»^(٤).

وقال علي عليه السلام: «من أساء إلى أهله لم يتصل به تأميل»^(٥).

وقال عليه السلام: «لا يكن أهلك وذو ودك أشقى الناس بك»^(٦).

وقال عليه السلام: «الزوجة الموافقة إحدى الراجحتين»^(٧).

وقال عليه السلام: «الأنس في ثلاثة: الزوجة الموافقة، والولد الصالح البار، والأخ الموافق»^(٨). وقال عليه السلام: «أنعم الناس عيشاً من منحه الله سبحانه القناعة وأصلح له زوجه»^(٩). وقال عليه السلام: «شر الزوجات من لا تواتي»^(١٠). وقال عليه السلام: «صيانة المرأة أنعم لحالها وأدوم لجمالها»^(١١).

(١) سورة الأنفال: ٧٣.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٣٩٤ ب ٣٣ ح ٢.

(٣) الجعفریات: ص ٨٩ باب الترغيب في النكاح.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ١٥٧ ب ٣ ح ١٦٣٦٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٥ ق ٦ ب ١ ف ١ الزوج ح ٩٢٧٦.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٥ ق ٦ ب ١ ف ١ الزوج ح ٩٢٧٩.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٥ ق ٦ ب ١ ف ١ الزوجة ح ٩٢٨٢.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٥ ق ٦ ب ١ ف ١ الزوجة ح ٩٢٨٣.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٥ ق ٦ ب ١ ف ١ الزوجة ح ٩٢٨٤.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٥ ق ٦ ب ١ ف ١ الزوجة ح ٩٢٨٥.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٥ ق ٦ ب ١ ف ١ الزوجة ح ٩٢٨٦.

مع الشباب

كان أمير المؤمنين عليه السلام يهتم بالشباب ويحترم مشاعرهم ويسعى في هدايتهم وسعادتهم، ويقضي حوائجهم، ويزوَّجهم من بيت المال، ويبني لهم الدور والمحلات ويساعدهم على العمل، ويعلمهم الأخلاق والآداب الإسلامية.

عن الإمام الباقر عليه السلام:

«أن أمير المؤمنين عليه السلام أتى البزازين... فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين. فقال: يا قنبر، خذ الذي بثلاثة. فقال: أنت أولى به تصعد المنبر وتخطب الناس. فقال: وأنت شاب ولك شره الشباب، وأنا أستحي من ربي أن أتفضل عليك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألبسوهم مما تلبسون، وأطعموهم مما تأكلون»^(١).

وقال الحسن بن علي عليه السلام:

«ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان أب وابن. فقام إليهما وأكرمهما، وأجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين أيديهما. ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطست وإبريق من خشب ومنديل لليس. وجاء ليصب على يد الرجل ماء، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل. فتمرغ الرجل في التراب وقال: يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب الماء على يدي! قال عليه السلام: اقعد واغسل يديك؛ فإن الله عزوجل يراك وأخاك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عنك، ويزيد بذلك في خدمه في الجنة مثل عشرة

(١) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٢٥٦-٢٥٧ ب ١٦ ح ٣٥٢٥.

أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك في ممالكه فيها.
 فقعد الرجل، فقال له علي عليه السلام: أقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته
 وبجلته، وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك لما
 غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً.
 ففعل الرجل ذلك.

فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بني، لو كان هذا الابن
 حضرني دون أبيه لصببت الماء على يده، ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوي بين
 ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صب الأب على الأب، فليصب الابن
 على الابن.
 فصب محمد بن الحنفية على الابن^(١).

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٥ التواضع وفضل خدمة الضيف ح ١٧٣.

في تناول الفقراء

كان أمير المؤمنين عليه السلام أكبر حاكم على وجه الأرض ، ولكنه بقي كما كان قبل حكومته ، فهو دائماً مع الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل ، يجالسهم ويؤكل معهم ، ويقضي حوائجهم ، ويتصدق بما يملك عليهم..

قال المدائني : كانت غلة علي عليه السلام أربعين ألف دينار فجعلها صدقة ، وباع سيفه وقال : «لو كان عندي عشاء ما بعته»^(١).

وروي أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع. فبعث إلى بيوت أزواجه ، فقلن : ما عندنا إلا الماء. فقال : «من لهذا الرجل الليلة؟». فقال علي ابن أبي طالب عليه السلام : «أنا له يا رسول الله صلى الله عليه وآله». وأتى فاطمة عليها السلام فقال لها : «ما عندك؟». فقالت : «ما عندنا إلا قوت الصبية ، لكننا نؤثر ضيفنا». فقال علي عليه السلام : «نومي الصبية وأطفئي المصباح». فلما أصبح علي عليه السلام غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر ، فلم يبرح حتى أنزل الله : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنُ نَفْسِهِ فَأْوَئِكُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)^(٣).

وعن عبيد ، عن رجل من قومه يقال له : الحكم ، قال : شهدت علياً وأتي بزقاق من غسل. فدعا اليتامى وقال : «ذبوا والعقوا»، حتى تمتيت أني يتيماً. فقسمه بين الناس ، وبقي منه زقاً فأمر أن يسقاه أهل المسجد^(٤).

(١) أنساب الأشراف للبلاذري : ص ١١٧ ح ٦٨ نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ١ عام ١٣٩٤ هـ.

(٢) سورة الحشر : ٩.

(٣) وسائل الشيعة : ج ٩ ص ٤٦٢ ب ٤٢ ح ١٢٥٠٣.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري : ص ١٣٥-١٣٦ ح ١٢٢ نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت..

وعن محمد بن الصمة، عن أبيه، عن عمه، قال: رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة وفي يده صحيفة يقول: «اللهم ولي المؤمنين، وجار المؤمنين، اقبل قرباني الليلة، فما أمسيت أملك سوى ما في صحفتي وغير ما يواريني؛ فإنك تعلم أنني منعت نفسي مع شدة سغبتي، أطلب القربة إليك غنماً. اللهم فلا تخلق وجهي، ولا ترد دعوتي»، فأتيته حتى عرفته فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام فأتى رجلاً فأطعمه^(١).

وفي رواية حذيفة: إن جعفرًا أعطى النبي ﷺ الفرع من العالية والقطيفة. فقال النبي ﷺ: «لأدفعن هذه القطيفة إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله». وأعطاهما علياً عليه السلام، ففصل علي القطيفة سلماً سلماً، فباع الذهب فكان ألف مثقال، ففرقه في فقراء المهاجرين كلها، فلقيه النبي ﷺ ومعه حذيفة وعمار وسلمان وأبو ذر والمقداد، فسأله النبي ﷺ الغداء. فقال - حياءً -: «نعم» فدخلوا عليه فوجدوا الجفنة^(٢).

وعن ابن عباس: إن المقداد قال له عليه السلام: أنا منذ ثلاثة أيام ما طعمت شيئاً. فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وباع درعه بخمسائة ودفع إليه بعضها^(٣).

(١) مستدرک الوسائل: ج ٧ ص ٢١٥ ب ٢٦ ح ٨٠٧٤.

(٢) المناقب: ج ٢ ص ٧٨ فصل في المسابقة بالسخاء والنفقة في سبيل الله.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٣١ ب ١٠٢ ضمن ح ١.

جهاد النفس ومخالفة الهوى

كان أمير المؤمنين عليه السلام كأخيه رسول الله ﷺ يخالف هواه ويجاهد نفسه، ويروضها على التقوى، حيث قال عليه السلام كما في نهج البلاغة:

«وَأِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أُرْوِضُهَا بِالتَّقْوَى، لِتَأْتِيَ آمَنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزَلَقِ، وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخِيرِ الْأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّيْعِ، أَوْ أُيَيْتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتِي وَأَكْبَادٌ حَرَّتِي؟»^(١).

وعن ضرار بن حمزة الضبائي - لما دخل على معاوية فسأله معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام - قال:

فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه قابض على لحيته، يتململ تلمل السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: «يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكَ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتُ أُمِّ إِلَيَّ تَشَوَّقْتُ، لَا حَانَ حِينُكَ هِيَ هَاتِ غُرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا، فَعَيْشُكَ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكَ يَسِيرٌ، وَأَمْلُكَ حَقِيرٌ، آه مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ، وَطُولِ الطَّرِيقِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَعَظِيمِ الْمَوَرِدِ»^(٢).

(١) نهج البلاغة، الكتب: ٣٥ ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها، قوله:

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٧٧.

وروي: أنه أتى عليه السلام بالمال، فكوم كومة من ذهب وكومة من فضة. فقال: «يا حمراء ويا بيضاء احمري وابيضى وغرّى غيري»^(١).

وفي التاريخ أنه رُئي على علي عليه السلام إزار غليظ اشتراه بخمسة دراهم، ورُئي عليه إزار مرقوع. فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: «يقتدي به المؤمنون، ويخشع له القلب، وتذل به النفس، ويقصد به المبالغ»^(٢).

وعن سويد بن غفلة، قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل رغيفاً يكسره برجله، ويلقيه في اللبن يجد ريحه من حموضته. فنادت فضة جارية: ويحك! أما تتقون الله في هذا الشيخ، فتدخلون له طعاماً لما أرى فيه من النخال.

فقال عليه السلام: «بأبي وأمي من لم يُنخل له طعام، ولم يشبع من خبز البر حتى قبضه الله إليه». وقال عليه السلام لعقبة بن علقمة: «يا أبا الحتوف، أدركت رسول الله ﷺ يأكل أيس من هذا، ويلبس أخشن من هذا؛ فإن أنا لم آخذ به خفت أن لا ألحق به»^(٣).

وعن سويد بن غفلة، قال: دخلت عليه - أي على أمير المؤمنين عليه السلام - يوم عيد، فإذا عنده فائور عليه خبز السمراء، وصفحة فيها خطيفة وملبنة. فقلت: يا أمير المؤمنين، يوم عيد وخطيفة؟! فقال عليه السلام: «إنما هذا عيد من غفر له»^(٤).

وعن العرني، قال: وضع خوان من فالودج بين يديه - أي أمير المؤمنين عليه السلام - فوجاً بإصبعه حتى بلغ أسفله، ثم سلها ولم يأخذ منه شيئاً وتلمظ بإصبعه. وقال: «طيب طيب وما هو بحرام، ولكن أكره أن أعود نفسي بما لم أعودها».

وفي خبر عن الصادق عليه السلام: «أنه عليه السلام مد يده إليه ثم قبضها. فقيل له في ذلك. فقال: ذكرت رسول الله ﷺ أنه لم يأكله قط فكرهت أن أكله».

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٩ ص ١٢٦ نبذ من غريب كلام الإمام علي عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٣ ب ٩٨ ضمن ح ٦.

(٣) الأنوار العلوية، للشيخ جعفر النقدي: ص ١١٣ ب ٢ ف ١ في زهده وعبادته وتقواه.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٥ ب ٩٨ ضمن ح ٧.

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام: «أنه قال له: تحرمه؟»

قال: «لا، ولكن أخشى أن تتوق إليه نفسي - ثم تلا - ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾^(١)»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام - في خبر - قال:

«كان - أي أمير المؤمنين عليه السلام - ليطعم خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل»^(٣).

أحاديث في مخالفة الهوى

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «في مجاهدة النفس كمال الصلاح»^(٤).

وقال عليه السلام: «ما من جهاد أفضل من جهاد النفس»^(٥).

وقال عليه السلام: «املكوا أنفسكم بدوام جهادها»^(٦).

وقال عليه السلام: «أقوى الناس من غلب هواه»^(٧).

وقال عليه السلام: «جهاد النفس مهر الجنة»^(٨).

وقال عليه السلام: «قاوم الشهوة بالقمع لها تظفر»^(٩).

وقال عليه السلام: «من لم يجاهد نفسه لم ينل الفوز»^(١٠).

(١) سورة الأحقاف: ٢٠.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٢٩٩ ب ٧٢ ح ١٩٩٤٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٧ ب ٩٨ ضمن ج ٩.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٣٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٤٦.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٨٩٨.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٠٦.

(٨) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ١٣٠ ب ١ ج ١٢٦٤٨.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٣٧.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٣ ق ٣ ب ٢ ف ١ جهاد النفس فضيلته وآثاره ح ٤٩٤٤.

٤٨

تكريم الإنسان

الإنسان بما هو إنسان هو المكرّم في مدرسة أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولم يفرق في ذلك بين المسلم والكافر، والمخالف والمؤالف. في الحديث أنه مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما هذا؟».

فقالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني.

قال: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال»^(١).

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليه السلام: «أن أمير المؤمنين عليه السلام صاحب رجلاً ذمياً. فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟. فقال عليه السلام: أريد الكوفة. فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له الذمي: ألسنت زعمت أنك تريد الكوفة!. فقال له: بلى. فقال له الذمي: فقد تركت الطريق. فقال له: قد علمت. قال: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك!. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم. فقال له الذمي: هكذا!. قال: قال: نعم. قال الذمي: لا جرم أنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، فأنا أشهدك أنني على دينك. ورجع الذمي مع أمير المؤمنين عليه السلام، فلما عرفه أسلم»^(٢).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٢٩٢-٢٩٣ ب ٩٢ ح ١٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٧٠ باب حسن الصحابة وحق الصاحب في السفر ح ٥.

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض أمرائه على البلاد: «مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جَبَاةِ الْخَرَجِ وَعُمَالِ الْبِلَادِ.
 أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُودًا هِيَ مَارَةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتَهُمْ
 بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى، وَصَرْفِ الشَّدَا، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى
 ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَةِ الْجَيْشِ إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَبًا إِلَى شِبَعِهِ،
 فَتَكَلُّوا مَنْ تَنَاولَ مِنْهُمْ شَيْئًا ظُلْمًا عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ عَنْ
 مُضَارَّتِهِمْ، وَالتَّعَرَّضْ لَهُمْ فِيمَا اسْتَشْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ. وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِ الْجَيْشِ فَارْفَعُوا
 إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ، وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَا لَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللَّهِ
 وَيَّي، فَأَنَا أُغِيرُهُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

وروي: أن المجوس أهدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يوم النيروز جامات من فضة
 فيها سكر، فقسم السكر بين أصحابه، وحسبها من جزيتهم^(٢).

(١) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٦٠ ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١١٨ ب ١٠٧ ضمن ح ٢٥.

٤٩

حق الناس

كان أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد كثيراً على حق الناس، ويأمر برعايته..

قال علي عليه السلام - فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان -: «وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمَلَكَ بِهِ الْإِمَاءَ لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَرُّ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ»^(١).

وعن أبي صالح - الذي كان يخدم أم كلثوم ابنة علي عليه السلام - قال: دخلت على أم كلثوم وهي تمشط وسترينها وبينني، فجلست أنتظرها حتى تأذن لي. فجاء حسن وحسين رضي الله عنهما فدخلا عليها وهي تمشط، فقالا: «ألا تطعمون أبا صالح شيئاً؟». قالت: بلى. قال: فأخرجوا قصعة فيها مرق محبوب. فقلت: أتطعموني هذا وأنتم أمراء؟. فقالت أم كلثوم: يا أبا صالح، فكيف لو رأيت أمير المؤمنين عليه السلام وأتى بأترنج فذهب حسن أو حسين يتناول منه أترنجة. فتزعمها من يده ثم أمر به فقسم^(٢). وعن علي عليه السلام أنه جلس يقسم مالا بين المسلمين، فوقف به شيخ كبير فقال: يا أمير المؤمنين، إني شيخ كبير كمد يدي إليك فاعطني من هذا المال. فقال عليه السلام: (والله ما هو بكدي ولا تراثي من الوالد، ولكنها أمانة أروعيتها فأنا أوديتها إلى أهلها، ولكن جلس). فجلس والناس حور أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إليهم، فقال عليه السلام: «رحم الله من أعاد شيخاً كبيراً مثقلاً»، فجعل الناس يعطونه^(٣).

(١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٥ ومن كلامه عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان.

(٢) المصنف، لابس أبي شيبة الكوفي: ج ٨ ص ١٥٦ ح ٧ كلام علي بن أبي طالب عليه السلام، نشر دار الفكر: لطبعة الأولى عام ١٤٠٩ هـ.

(٣) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣١٠-٣١١ فصل ذكر المكاتبين، ح ١١٧١.

من هم شيعة علي عليه السلام؟

قال رسول الله ﷺ: «يا علي، أنت وشيعتك هم الفائزون»^(١).

فمن هم شيعة علي عليه السلام؟

الشيعة: هم المواليون لعلي عليه السلام المعتقدون بإمامته بعد رسول الله ﷺ، وإمامة ذريته من بعده عليهم السلام.

وللشيعة صفات، وللتشيع درجات ومراتب، وهناك روايات تشير إلى بعض تلك المراتب العالية: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا بني، اعرف منازل شيعة علي عليه السلام على قدر روايتهم ومعرفتهم»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن شيعة علي كانوا خمص البطون، ذبل الشفاء، أهل رافة وعلم وحلم، يعرفون بالرهبانية»^(٣)، فأعينوا على ما أتم عليه بالورع والاجتهاد»^(٤). وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالفه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر»^(٥).

وقال عليه السلام: «اتقوا الله وحاسبوا أنفسكم، فإنما كان شيعة علي عليه السلام يعرفون بالورع والاجتهاد والمحافظة، ومجانبة الصغائر، والمحبة لأولياء الله»^(٦). وقال أبو الحسن عليه السلام: «إنما شيعة علي من صدق قوله فعله»^(٧).

(١) الأمالي للطوسي: ص ٥٥١ مجلس ٢٠ ح ١١٦٨.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ٨٤ ح ٣، والمستدرک: ج ١٧ ص ٢٨٤ ح ٨ ب ٢١٣٥٦.

(٣) أي الزهد في الدنيا.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٣ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح ١٠.

(٥) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٨٦-٨٧ ب ٢٠ ح ٢٠٤، والوسائل: ج ١٥ ص ٢٥١ ب ٢٢ ح ٢٠٤٢٥.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٤٩٣ ب ١ ضمن ح ٤٠.

(٧) الكافي: ج ٨ ص ٢٢٨ حديث يأجوج ومأجوج ح ٢٩٠.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا المقدام، إنما شيعة علي عليه السلام الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيرة ألوانهم، مصفرة وجوههم، إذا جنهم الليل اتخذوا الأرض فراشاً، واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاءهم، يفرح الناس وهم محزونون»^(١). وفي (تفسير الإمام العسكري عليه السلام): ثم قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢)، قال الإمام عليه السلام: «واذكروا إذ آتينا موسى الكتاب، وهو التوراة الذي أخذ على بني إسرائيل الإيمان به والانقياد لما يوجبه، والفرقان آتيناه أيضاً، فُرق به ما بين الحق والباطل، وفُرق ما بين المحقين والمبطلين، وذلك أنه لما أكرمهم الله تعالى بالكتاب والإيمان به والانقياد له، أوحى الله بعد ذلك إلى موسى عليه السلام: يا موسى، هذا الكتاب قد أقرأ به، وقد بقي الفرقان فرق ما بين المؤمنين والكافرين والمحقين والمبطلين، فجدد عليهم العهد به، فإني قد آليت على نفسي قسماً حقاً لا أتقبل من أحد إيماناً ولا عملاً إلا مع الإيمان به. قال موسى عليه السلام: ما هو يا رب؟.

قال الله عز وجل: يا موسى، تأخذ على بني إسرائيل أن محمداً خير البشر وسيد المرسلين، وأن أخاه ووصيه علياً خير الوصيين، وأن أولياءه الذين يقيمهم سادة الخلق، وأن شيعة المنقادين له المسلمين له ولأوامره ونواهيه ولخلفائه نجوم الفردوس الأعلى وملوك جنات عدن»^(٣). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله تعالى اطلع إلى الأرض فاختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويمزنون لحزننا، ويبدلون أنفسهم وأموالهم فينا، فأولئك منا وهم معنا في الجنان»^(٤).

(١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٩٠-٩١ ب ٢٠ ح ٢١٤.

(٢) سورة البقرة: ٥٣.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٢-٢٥٣ نجاة بني إسرائيل لإقرارهم ولاية محمد عليه السلام وتجديدها ح ١٢٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١١٧ ق ١ ب ٥ ف ١ في الشيعة ح ٢٠٤٩.

من ظلامة الشيعة

شيعة علي عليه السلام كانوا مظلومين كإمامهم عليه السلام. وستبقى هذه الظلمات ما دامت الأبالسة والشياطين والأحقاد والأضغان التي في صدور أعدائهم. ويلزم على الشيعة تشكيل لجان ومنظمات حقوقية عالمية لبيان ظلاماتهم والمطالبة بحقوقهم ليردع ذلك الظالمين عن ظلمهم، حتى يأذن الله عز وجل لوليه عليه السلام بالفرج ففي فرجه الفرَج الحقيقي للمظلومين.

كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه - صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حقه: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»^(١) - يهتف دائماً بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: إنه عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته.

فنفاه القوم عن حرم الله وحرم رسوله بعد حملهم إياه من الشام على قتب بلا وطاء وهو يصيح فيهم: قد خاب القطار بحمل النار، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً. فقتلوه فقراً وجوعاً وضراً وصبراً»^(٢).

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٦٠ احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستندلاً عليه بآيات من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٩٨ ب ١٢ ح ٤.

نهج البلاغة

الشریف الرضی عليه السلام ^(١) جمع في (نهج البلاغة) العديد من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله وكلماته وحكمه، وهي قمة في البلاغة العربية، مضافاً إلى علو المضامين، ذكر فيه أمير المؤمنين عليه السلام ما يرتبط بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأسلوب التعامل مع مختلف الناس. و(نهج البلاغة) - وإن غلب عليه السجع - لكنه أبعد ما يكون عن الصنعة والتكلف، وكثير من كلماته لا يزال جارياً مجرى الأمثال.

كتاب كأن الله رصع لفظه بجوهر آيات الكتاب المنزل

وقد اعترف بفصاحة الإمام عليه السلام وبلاغته الصديق والعدو. روي أن محض بن أبي محض قال لمعاوية: جئتكم من عند أعيان الناس! فقال له: ويحك كيف يكون أعيان الناس، فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره ^(٢).

(١) هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ولد في بغداد عام ٣٥٩هـ من أسرة شريفة وأصيلة، يصل نسبه إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام. يعود نسبه من أبيه إلى الإمام الكاظم عليه السلام، ومن أمه إلى الإمام السجاد عليه السلام. وهو عالم مفكر ذو ذكاء خارق وفهم عال، أسس مدرسة في بغداد قام فيها بتربية وتدريب طلاب العلوم الدينية وفيها مكتبة كبيرة. لقبه بهاء الدولة سنة ٣٨٨هـ بـ «الشریف الجلیل»، ولقب سنة ٣٩٨هـ بـ «ذي النقبین»، وفي تلك السنة لقبه بهاء الدولة بـ «الرضي ذي الحسين»، ولقبه أيضاً قوام الدين بـ «الشریف الأجل». له مؤلفات قيمة وعلى رأسها جمعه كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب أسماه (نهج البلاغة). توفي عام ٤٠٦هـ في السابعة والأربعين من عمره، بعد عمر قضاه في خدمة الإسلام والتشيع، ودفن في الروضة الكاظمية المطهرة بجوار قبر الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤٦ ب ١٠٧.

ويمتاز كلام أمير المؤمنين عليه السلام بخصوصيات عديدة منها:

١. الجمال والفصاحة والانسجام التي لم ير لها نظير، فهو (فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق)^(١).

٢. التأثير العجيب في النفوس والنفوذ إليها، فلم يختص ذلك بزمانه بل ما زال كلامه وبعد أربعة عشر قرناً له تأثير كبير على كل سامع.

ولقد اعترف أكابر الفصحاء وأعظم البلغاء بالفخر والاعتزاز به، قال نباتة: (حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب عليه السلام)^(٢).

إن الناظر لكلام لأمر المؤمنين عليه السلام يحده قد تكلم في جميع المجالات والمواضيع المتفرقة، فقد تكلم عليه السلام في جميع الفنون وتشعبت منها غصون وغصون. (إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها. ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته هذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا؛ لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي)^(٣).

ومن يطالع كلماته عليه السلام في ميدان من الميادين لا يشك أبداً أن هذه الكلمات قد صدرت ممن أفنى عمره في هذا الميدان، يقول السيد الرضي رحمه الله: (ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه

(١) نهج الحق وكشف الصدق: ص ٢٣٨ من فضائل النفسانية، الثاني العلم.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤٦ ب ١٠٧.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٤ مقدمة السيد الشريف الرضي.

الشك في أنه كلام من لا حظ له في غير الزهادة، ولا شغل له بغير العبادة. قد قبع في كسر بيت، أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلاً سيفه، فيقط الرقاب، ويجدل الأبطال، ويعود به ينطف دماً، ويقطر مهجاً. وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد، وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد، وألف بين الأشتات^(١).

ونظراً لمكانة ومنزلة الإمام علي عليه السلام فإن أصحابه وأتباعه قاموا بحفظ خطبه وكلماته ونقلوها خلفاً عن سلف منذ القرن الأول الهجري، وقد كانت هناك ما يقرب من ١٢٠ كتاباً ألفت قبل (نهج البلاغة) خصص البعض منها بتمامها لإيراد ذلك، واقتصر البعض الآخر على تخصيص جزء من الكتاب لذلك.

وإن أول من جمع كلمات الإمام عليه السلام في كتاب مستقل هو أحد أصحابه ويدعى زيد بن وهب (ت ٩٦هـ) تحت عنوان: (خطب أمير المؤمنين عليه السلام). وقد تبعه في ذلك جمع، منهم: إسماعيل بن مهران (ت ٢٠٠هـ)، ونصر بن مزاحم المنقري (ت ٢٠٢هـ)، والواقدي (ت ٢٠٧هـ)، ومسعدة بن صدقة، حيث جمع كل واحد منهم كتاباً في ذلك^(٢).

(١) نهج البلاغة: ص ٣٥-٣٦ مقدمة السيد الشريف الرضي.

(٢) ثم إن من أسباب ظهور هذا السفر العظيم والأثر الخالد من مآثر أمير المؤمنين عليه السلام في القرن الرابع الهجري دون غيره، الاهتمام الخاص والكبير من قبل الشيعة وعلمائهم في حفظ وضبط كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، حيث كان القرن الرابع هو قرن بداية الغيبة الكبرى، فقامت الشيعة بخطوات هامة لأجل حفظ المذهب وحفظ التراث العظيم للأئمة الطاهرين عليهم السلام، وقد كانت حركة الشيعة في هذه الفترة بدرجة عرف فيها القرن الرابع بقرن التأليف والترجمة والتدوين للكتب الإسلامية.

وشهد القرن الرابع تشكيل دولة للشيعة في العالم الإسلامي وهي الدولة البويهية، فقد فتح (آل بويه) في سنة ٣٣٤هـ مدينة بغداد، وأخذ علماء الشيعة بنشر علوم آل محمد عليهم السلام، وقاموا بنشاطات عديدة في هذا المجال. وقد خرج الشيعة من طوق الحصار الذي كان مضروباً عليهم، واستطاعوا ممارسة

► دورهم وإعلان آرائهم الفكرية بكل حرية. وكان القرن الرابع عصر ازدهار الشعر والأدب الشيعي، وكان السيد الرضي عليه السلام من الشخصيات البارزة والمشهورة في هذا القرن. وقد ازدهرت المكتبات الشيعية بحيث إن مكتبة السيد المرتضى عليه السلام في بغداد كانت تحوي ثمانين ألف كتاب، وكانت مكتبة دار الحكمة في بغداد تحوي عشرة آلاف نسخة خطية نفيسة وآلاف الكتب الأخرى، وكانت الفرصة مهيأة للسيد الرضي تنتش لكي يكتب أهم أثر للشيعية بعد القرآن الكريم، وقد قام عليه السلام بذلك بأفضل صورة حيث جمع تراث أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البلغاء والمتكلمين، وأودعه في كتاب أسماء (نهج البلاغة) من المصادر الكثيرة المهمة المتوفرة في ذلك الزمان.

وبذلك فقد أظهر السيد الرضي عليه السلام - الذي كان أدبياً وشاعراً مقتدرًا - بيان عظمة أمير المؤمنين عليه السلام في مجال الفصاحة والبلاغة. كما يبدو من تسمية الكتاب بـ (نهج البلاغة). علاوة على بيان فضائله الأخرى، كما أثبت تنتش بهذا الكتاب أن الإمام علياً عليه السلام هو المقدم في ميادين السياسة والحرب والزهد والعبادة وهو أفضل المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد حاز عليه السلام أعلى الدرجات في مجال الأدب والخطابة، وأنه قد وصل إلى مقام لم يصل إليه أحد.

وقد يظن البعض أن ما جاء في (نهج البلاغة) هو كل كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهذا ظن خاطئ إذ يقول المسعودي - الذي سبق السيد الرضي بمائة عام - في كتابه (مروج الذهب): إن بين أيدينا الآن أكثر من ٤٨٠ خطبة لعلي عليه السلام، ونقل الأمدى في كتابه (غرر الحكم ودرر الكلم) ١٥ ألف حكمة من قصار حكمه عليه السلام، في حين أن (نهج البلاغة) لم يحو سوى ٤٨٠ حكمة فقط. هذا وقد كتبت الكثير من الكتب حول كلماته عليه السلام، مثل: (تحف العقول)، و(روضة الواعظين) وغيرهما مما يصل عددها إلى أكثر من ١٠٠ كتاب. وقد قام الشهيد السعيد السيد حسن الشيرازي عليه السلام بجمع كثير من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام بالإضافة إلى (نهج البلاغة) وبويه تبويماً جديداً رائعاً في موسوعته المعروفة بـ (موسوعة الكلمة) تحت عنوان: (كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) في مجلدين قامت أخيراً مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر في بيروت بطبعه وذلك عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، كما طبعت الموسوعة بأكملها دار العلوم / لبنان بيروت في حلتها الجديدة.

ثم إنه يمكن تبويب (نهج البلاغة) إلى أبواب تالية، وهي:

١. الخطب وعددها ٢٤١ خطبة نطق بها أمير المؤمنين عليه السلام ما قبل حكومته، وأثناء قبوله الخلافة، وفي زمان حكومته عليه السلام.

٢. الرسائل وعددها ٧٩ رسالة كتبت جميعها تقريباً في زمان حكومته عليه السلام.

٣. قصار الحكم وعددها ٤٨٠ كلمة.

٤. غريب كلامه عليه السلام وعددها ٩.

وأما موضوعات (نهج البلاغة) فقد اتخذت عدة محاور، فبالنسبة إلى الخطب فقد تناولت: الأخلاق، والسياسة، والأحزاب، وعلم الاجتماع، والتنبيه بالمستقبل أو الملاحم. وبالنسبة إلى الرسائل فقد تناولت: الأخلاق أيضاً، ورسائله إلى الأعداء والولاة والعمال، وقادة الجيوش، وخزنة بيت المال، ومخاطبة الناس، بالإضافة إلى وصاياه عليه السلام. وبالنسبة قصار الحكم فقد تطرقت إلى جميع ما يتعلق

▶ بالمجتمع ويحتاج إلى بيانه. وأما بالنسبة إلى غريب كلامه عليه السلام، فهو المحتاج إلى تفسير.

لقد قام العديد من العلماء والفضلاء بشرح هذا السفر العظيم لأمر المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة)، وكتبوا حوله شروحاً كثيرة بلغ عددها ٣٧٠ شرحاً وربما زادت عن هذا العدد؛ لأن (نهج البلاغة) مثله مثل كتاب الله العظيم في كل يوم يظهر له تفسير جديد. وقد تعرض لذكرها العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني رحمه الله في كتابه (الذريعة).

ومن أشهر شروح (نهج البلاغة) هي: منهاج البراعة لقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، وشرح الفخر الرازي المفسر الكبير (ت ٦٠٦هـ)، وشرح ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ)، وشرح ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، وشرح الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ)، وهناك شرح توضيحي للإمام الشيرازي تنته طبع عدة مرات في لبنان وقم المقدسة.

كما كتبت لنهج البلاغة مستدركات عديدة؛ لما كان يحظى به كتاب (نهج البلاغة) من أهمية كبيرة، وهو ما فات الشريف الرضي رحمه الله مما لم يورده في كتابه بحيث يبقى (نهج البلاغة) هو الأصل على وضعه واعتباره وشهرته.

ومن جملة هذه المستدركات هي: ١- مستدرك نهج البلاغة لهادي كاشف الغطاء، ٢- نهج السعادة لمحمد باقر المحمودي، ٣- غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي، ٤- التذليل لإسماعيل الحلبي، ٥- ملحق نهج البلاغة لأحمد بن يحيى.

ونظراً لأهمية كتاب (نهج البلاغة). وحتى لا يحرم غير العرب من هذا المعين الصافي. فقد ترجم إلى لغات عدة وعلى رأسها اللغة الفارسية بحيث وصل عددها إلى ٣٠ ترجمة باللغة الفارسية فقط، ومن أشهرها: ١- ترجمة (نهج البلاغة) لفيض الإسلام، ٢- ترجمة (نهج البلاغة) للمبشري، ٣- ترجمة (نهج البلاغة) لآية الله مكارم الشيرازي، ٤- ترجمة (نهج البلاغة) للعلامة محمد تقي الجعفري، ٥- ترجمة (نهج البلاغة) للدكتور الشهيد، ٦- ترجمة (نهج البلاغة) للشيخ مصطفى الزماني.

كما قام البعض الآخر بوضع الفهارس الموضوعية لهذا السفر الخالد، واستخراج الموضوعات وتصنيف مطالب الكتاب على أساس موضوعاته. ولقد قام البعض من كبار علماء الشيعة وغير الشيعة بكتابة قائمة في الموضوعات الموجودة في (نهج البلاغة) مع الإشارة إلى مواضعها، في حين اختار آخرون موضوعات عامة وكتبوا شرح وتوضيحاً عليها.

وأما من حيث النسخ الخطية لـ (نهج البلاغة) فهناك العديد من هذه النسخ المتوفرة منذ عصر المؤلف ولحد الآن، بحيث توجد أكثر من ١٣٠ نسخة خطية معتبرة لـ (نهج البلاغة) في المكتبات المختلفة مثل: نسخة يعود تاريخها إلى سنة ٤٢١هـ في مكتبة آية الله الأملي، ونسخة يعود تاريخها إلى سنة ٤٨٣هـ وقد قوبلت هذه النسخة مع نسخة حسن بن يعقوب النيشابوري، ونسخة يعود تاريخها إلى سنة ٤٨٥هـ عند العلامة السيد محمد علي الروضاني، ونسخ أخرى عديدة في مكتبة الآستانة الرضوية في مشهد المقدسة، ومكتبة آية الله المرعشي النجفي رحمه الله في قم المقدسة.

قصة الغدير

في يوم غدیر خم ١٨ ذي الحجة من عام حجة الوداع، جمع رسول الله ﷺ المسلمين وخطب فيهم خطبة أخبرهم بقرب رحيله إلى عالم الآخرة، ثم نصب علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وخليفةً من بعده، وذلك بأمر من الله عز وجل، ثم أخذ البيعة له من الجميع، وعند ذلك نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونحن معه، أقبل حتى انتهى إلى الجحفة فأمر أصحابه بالنزول. فنزل اليوم منازلهم، ثم نودي بالصلاة فصلى بأصحابه ركعتين، ثم أقبل بوجهه إليهم فقال ﷺ لهم: «إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنني ميت وأنكم ميتون، وكأنني قد دُعيتُ فأجبت، وأني مسئول عما أرسلت به إليكم، وعما خلفت فيكم من كتاب الله وحجته، وأنكم مسئولون، فما أنتم قائلون لربكم؟».

قالوا: نقول: قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء. ثم قال ﷺ لهم: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إليكم، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث بعد الموت حق؟». فقالوا: نشهد بذلك.

قال ﷺ: «اللهم اشهد على ما يقولون، ألا وإني أشهدكم أنني أشهد أن

الله مولاي، وأنا مولى كل مسلم، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهل تقرون لي بذلك وتشهدون لي به؟».

فقالوا: نعم نشهد لك بذلك.

فقال عليه السلام: «ألا من كنتُ مولاه فإن علياً مولاه، وهو هذا - ثم أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها مع يده حتى بدت أبطهما ثم قال: - اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ألا وإني فرطكم وأنتم واردون علي الحوض غداً، وهو حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه أقداح من فضة عدد نجوم السماء، ألا وإني سائلكم غداً ماذا صنعتُم فيما أشهدت الله به عليكم في يومكم هذا إذا وردتم على حوضي، وماذا صنعتُم بالثقلين من بعدي، فانظروا كيف تكونون خلفتموني فيهما حين تلقوني».

قالوا: وما هذان الثقلان يا رسول الله؟

قال عليه السلام: «أما الثقل الأكبر: فكتاب الله عز وجل سبب ممدود من الله ومني في أيديكم، طرفه بيد الله والطرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى وما بقي إلى أن تقوم الساعة. وأما الثقل الأصغر: فهو حليف القرآن وهو علي بن أبي طالب وعترته عليه السلام، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

قال معروف بن خربوذ: فعرضت هذا الكلام على أبي جعفر عليه السلام، فقال: «صدق أبو الطفيل رحمه الله هذا الكلام وجدناه في كتاب علي عليه السلام وعرفناه»^(١).

وعن أبي هارون، عن أبي سعيد، قال: لما كان يوم غدِير خم أمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى: الصلاة جامعة. فأخذ بيد علي عليه السلام وقال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله، أقول في علي شعراً؟

فقال رسول الله ﷺ: «افعل». فقال:

(١) الخصال: ج ١ ص ٦٥-٦٧ السؤال عن الثقلين يوم القيامة ح ٩٨.

يناديهم يوم الغدير نبیهم بخم وأكرم بالنبي مناديا
يقول: فمن مولاكم ووليكم فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني من بعدي إماماً وهاديا
وكان علي أرمـد العين يبتغي لعينه مما يشـتـكيه مداويا
فداواه خير الناس منه بريقه فبورك مرقياً وبورك راقياً^(١).

قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما نزلت الولاية وكان من قول رسول الله ﷺ
بغدير خم، سلّموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين. فقالوا: أمِنَ الله ورسوله؟
فقال ﷺ لهم: «نعم حقاً من الله ورسوله. فقال - إنه أمير المؤمنين، وإمام
المتقين، وقائد الغر المحجلين، يقعه الله يوم القيامة على الصراط، فيدخل أولياءه
الجنة ويدخل أعداءه النار، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا...﴾^(٢)»^(٣).

وحديث الغدير هذا وتنصيب علي عليه السلام أميراً للمؤمنين متواتر بين الفريقين
كما فصله العلامة الأميني رحمته الله في موسوعة (الغدير).

(١) الأمالي للصدوق: ص ٥٧٤-٥٧٥ المجلس ٨٤ ح ٣.

(٢) سورة النحل: ٩١.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٨٩ سورة النحل.

من معاجز الإمام عليه السلام

إن الله تعالى خص أنبياءه وأوصيائه عليهم السلام بالمعاجز، وذلك لمعرفة الناس بهم، وإتماماً للحجة. ومعاجز أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة جداً، لا يمكن جمعها في كتاب، ونشير إلى بعضها فحسب.

الإوز ومعرفتها بالإمام عليه السلام

عن البراء بن عازب - في خبر - عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنه عبر في السماء خيط من الإوز طائراً على رأس أمير المؤمنين عليه السلام فصرصرن وصرخن. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قد سلمن عليّ وعليكم»، فتغامز أهل النفاق بينهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا قنبر، ناد بأعلى صوتك: أيها الإوز، أجيئوا أمير المؤمنين وأخا رسول رب العالمين».

فنادى قنبر بذلك، فإذا الطير ترفرف على رأس أمير المؤمنين عليه السلام. فقال عليه السلام: «قل لها: انزلن». فلما قال لها رأيت الإوز وقد ضربت بصدورها إلى الأرض حتى صارت في صحن المسجد على أرض واحدة، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يخطبها بلغة لا يعرفها وهن يلززن بأعناقهن إليه ويصرصرن، ثم قال لهن: «انطقن بإذن الله العزيز الجبار». قال: فإذا هن ينطقن بلسان عربي مبين: السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين^(١).

(١) المناقب: ج ٢ ص ٣٠٥-٣٠٦ فصل في انقياد الحيوانات له.

إرجعي خضراء مثمرة

عن القاسم بن وليد النهدي، عن الحارث، قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى انتهينا إلى العاقول، فإذا هو بأصل شجرة قد وقع لحاؤها وبقي عمودها. فضربها بيده ثم قال: «ارجعي ياذن الله خضراء مثمرة»، فإذا هي تهتز بأغصانها الكثرى، فقطعنا وأكلنا وحملنا معنا، فلما كان من الغد غدونا فإذا نحن بها خضراء فيها الكمثرى^(١).

تنقيص ماء الفرات

روى الحسن بن زكردان الفارسي، قال: كنت مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد شكوا إليه الناس وأنا زيادة الفرات، وأنها قد أهلكت مزارعهم، وتحب أن تسأل الله أن ينقصه عنا. فقام عليه السلام ودخل بيته والناس مجتمعون ينتظرونه، فخرج وعليه جبة رسول الله ﷺ وعمامته وبرده وفي يده قضيبه، فدعا بفرسه فركبها ومشى ومعه أولاده والناس وأنا معهم رجالة حتى وقف على الفرات. فنزل عن فرسه فصلى ركعتين خفيفتين، ثم قام وأخذ القضيب بيده ومشى على الجسر وليس معه سوى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وأنا، فأهوى إلى الماء بالقضيب فنقص ذراعاً. فقال عليه السلام: «أيكميكم؟». فقالوا: لا يا أمير المؤمنين. فقام وأومأ بالقضيب وأهوى به إلى الماء، فنقصت الفرات ذراعاً آخر هكذا إلى أن نقصت ثلاثة أذرع. فقالوا: حسبنا يا أمير المؤمنين. فركب عليه السلام ففرسه وعاد إلى منزله، وهذه كرامة عظيمة ونعمة من الله جسيمة^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٢٤٨ ب ١١٢ ح ١.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٢٧٥ فصل في ذكر كراماته وما جرى على لسانه من إخباره بالمغيبات.

الفرات والشهادات الثلاث

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «لما فرغ علي عليه السلام من وقعة صفين وقف على شاطئ الفرات وقال: أيها الوادي، من أنا؟. فاضطرب وتشققت أمواجه، وقد نظر الناس وقد سمعوا من الفرات صوتاً: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن علياً أمير المؤمنين حجة الله على خلقه»^(١).

الحق فرسك

عن ثابت بن الأفلح، قال: ضلت لي فرس نصف الليل، فأتيت باب أمير المؤمنين عليه السلام. فلما وصلت الباب خرج إليّ قنبر وقال لي: يا ابن الأفلح، الحق فرسك فخذ من عوف بن طلحة السعدي^(٢).

إخبار عن الغيب

عن الأصبع بن نباتة، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلا نباتكم به». فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟. فقال عليه السلام له: «أما والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإن في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني». وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه^(٣).

(١) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٢٣١ ب ٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٣٠٤ ب ١١٤ ح ٣٧.

(٣) الأمالي للصدوق: ص ١٣٣-١٣٤ المجلس ٢٨ ح ١.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن سويد بن غفلة، قال: كنت أنا عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل. فقال: يا أمير المؤمنين، جئتك من وادي القرى وقد مات خالد بن عرفة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه لم يمِت». فأعاد عليه الرجل، فقال عليه السلام له: «لم يمِت». وأعرض عنه بوجهه فأعاد عليه الثالثة، فقال: سبحان الله! أخبرك أنه قد مات وتقول لم يمِت. فقال علي عليه السلام: «والذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة حمل رايته حبيب بن جمار». قال: فسمع ذلك حبيب بن جمار، فأتى أمير المؤمنين عليه السلام. فقال له: أنشدك الله فيَّ فإني لك شيعة، وقد ذكرتني بأمر لا والله لا أعرفه من نفسي. فقال له علي عليه السلام: «ومن أنت؟». قال: أنا حبيب بن جمار. فقال له علي عليه السلام: «إن كنت حبيب بن جمار فلا يحملها غيرك» أو «فلتحملنها». فولى عنه حبيب وأقبل أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إن كنت حبيب لتحملنها». قال أبو حمزة: فوالله ما مات خالد بن عرفة حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام، وجعل خالد بن عرفة على مقدمته، وحبيب بن جمار صاحب رايته^(١).

رد الشمس

روي عن جويرية بن مسهر، أنه قال: أقبلنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قتل الخوارج حتى إذا قطعنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر، فنزل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل الناس. فقال علي عليه السلام: «أيها الناس، إن هذه أرض ملعونة قد عذبت في الدهر ثلاث مرات. وفي خبر آخر - مرتين وهي تتوقع الثالثة، وهي إحدى المؤتفكات، وهي أول أرض عبد فيها وثن، وإنه لا يحل لنبي ولا لوصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فليصل». فمال الناس عن جنبي الطريق يصلون، وركب هو عليه السلام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومضى. قال جويرية: فقلت: والله لأتبعن أمير المؤمنين عليه السلام ولأقلدنه صلاتي اليوم، فمضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سورا حتى غابت الشمس^(١)، فشككت فالتفت إلي وقال: «يا جويرية، أشككت؟».

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فنزل عليه السلام عن ناحية فتوضأ ثم قام، فنطق بكلام لا أحسنه إلا كأنه بالعبراني، ثم نادى: «الصلاة». فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير، فصلى العصر وصليت معه، فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان، فالتفت إلي وقال:

«يا جويرية بن مسهر، إن الله عزوجل يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٢) وإنني سألت الله عزوجل باسمه العظيم فرد عليَّ الشمس». وروي: أن جويرية لما رأى ذلك قال: أنت وصي نبي ورب الكعبة^(٣).

(١) أي أشرفت على الغروب.

(٢) سورة الواقعة: ٩٦ و٩٧، سورة الحاقة: ٥٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٠٣-٢٠٤ باب فرض الصلاة ح ٦١١.

استشهاد الإمام عليه السلام

قُتل أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربعين من الهجرة في شهر رمضان، متأثراً بضربة ابن ملجم المرادي (لعنه الله) حيث ضربه ليلة تسع عشرة، ليلة الأربعاء، وقُبض ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين، وعمره ثلاث وستون سنة. وكانت مدة خلافته الظاهرية - وإلاً فهو خليفة الله بعد النبي ﷺ مباشرة - خمس سنين إلاً نحواً من أربعة أشهر أو ثلاثة أشهر؛ لأنه بويح لحمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ.

وقد نعى الإمام عليه السلام نفسه قبل مقتله، فكان عليه السلام يقول: «ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذه - يعني لحيته من دم رأسه - كما أخبرني أخي رسول الله ﷺ»^(١).

وروي: أنه عليه السلام لما أراد أن يخرج من البيت إلى مسجد الكوفة أقبل الأوز يصحن في وجهه فطردوهن عنه، فقال: «ذروهن فإنهن صوائح تتبعها نوائح»، فضربه ابن ملجم في ليلته.

ورود أنه سهر علي عليه السلام في الليلة التي ضرب في صبيحتها، فقال: «إني مقتول لو قد أصبحت». فجاء مؤذنه بالصلاة فمشى قليلاً. فقالت ابنته زينب عليها السلام: «يا أمير المؤمنين، مر جعدة يصلي بالناس». فقال: «لا مفر من الأجل»، ثم خرج.

وفي حديث آخر: جعل عليه السلام يعاود مضجعه فلا ينام، ثم يعاود النظر في السماء ويقول: «والله ما كذبت ولا كُذِّبت، وإنها لليلة التي وعدت»، فلما طلع

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١٩٥ ب ١٢٦ ح ١٣.

الفجر شد إزاره وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا قيكا
ولا تجزع من الموت وإن حل بواديكا^(١)

وفي (البحار): عن الحسن بن الجهم، قال: قلت للرضا عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يُقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه، وقوله لما سمع صياح الإوز في الدار: صوائح تتبعها نوائح، وقول أم كلثوم عليها السلام: لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلي بالناس، فأبى عليها، وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح، وقد عرف عليه السلام أن ابن ملجم قاتله بالسيف كان هذا مما لم يجر تعرضه؟. فقال: «ذلك كان، ولكنه خير تلك الليلة لتمضي مقادير الله عز وجل»^(٢).

وفي التاريخ أنه: كان سبب قتل الإمام عليه السلام أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي - واسمه الحجاج - وعمرو بن أبي بكر التميمي السعدي وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذكروا أمر الناس وعابوا الولاة، ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم! وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شربنا أنفسنا لله! وقتلنا أئمة الضلال وأرحنا منهم البلاد.

فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً. وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية. وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لتسع عشرة أو سبع عشرة من رمضان.

فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بها وكتمهم أمره، ورأى يوماً أصحاباً له من تيم الرباب ومعهم امرأة منهم اسمها قطام بنت الأخضر التيمية قُتل أبوها

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٣٨ ب ١٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٤٦ ب ١٢٧ ح ٤٧.

وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال. فخطبها فقالت: لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي!.

قال الشيخ المفيد رحمه الله في (الإرشاد): وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام وواطأهم على ذلك، وحضر الأشعث في تلك الليلة لمعونتهم. وكان حجر بن عدي في تلك الليلة بائناً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النجاء، النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح. فأحس حجر بما أراد الأشعث، فقال: قتلته يا أعور. وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليخبره الخبر ويحذره من القوم، وخالفه أمير المؤمنين عليه السلام في الطريق فدخل المسجد.

فلما خرج علي عليه السلام نادى: «الصلاة، الصلاة». فضربه شبيب بالسيف فوق سيفه بعضادة الباب أو الطلق، وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف، وقال: «الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك». فقال علي عليه السلام: «فزتُ ورب الكعبة».

وقال ابن ملجم: لقد ابتعت سيفي بألف وسممته بألف، ولقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم^(١).

تهدمت والله أركان الهدى

في (بحار الأنوار): أن ابن ملجم (لعنه الله) بات في المسجد ومعه رجلان أحدهما شبيب بن بجرة والآخر وردان بن مجالد يساعده على قتل علي عليه السلام. فلما أذن الإمام عليه السلام ونزل من المئذنة وجعل يسبح الله ويقدهسه ويكبره ويكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم... وكان من كرم أخلاقه عليه السلام أنه يتفقد النائم في المسجد ويقول للنائم: «الصلاة يرحمك الله، الصلاة، قم إلى الصلاة

(١) راجع الإرشاد: ج ١ ص ١٩-٢١ فصل ومن الأخبار الواردة بسبب قتله وكيف جرى الأمر في ذلك.

المكتوبة عليك»، ثم يتلو عليه السلام: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١). ففعل ذلك كما كان يفعله على مجاري عادته مع النائمين في المسجد، حتى إذا بلغ إلى الملعون فرآه نائماً على وجهه قال له: «يا هذا، قم من نومك هذا؛ فإنها نومة يمتتها الله، وهي نومة الشيطان ونومة أهل النار، بل نم على يمينك فإنها نومة العلماء، أو على يسارك فإنها نومة الحكماء، ولا تنم على ظهرك فإنها نومة الأنبياء».

قال: فتحرك الملعون كأنه يريد أن يقوم وهو من مكانه لا يبرح. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد هممت بشيء ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٢)، ولو شئت لأنباتك بما تحت ثيابك» ثم تركه وعدل عنه إلى محرابه، وقام قائماً يصلي. وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في الصلاة كعادته في الفرائض والنوافل حاضراً قلبه، فلما أحس به فنهض الملعون مسرعاً وأقبل يمشي حتى وقف بإزاء الأسطوانة التي كان الإمام عليه السلام يصلي عليها، فأملهه حتى صلى الركعة الأولى وركع وسجد السجدة الأولى منها ورفع رأسه، فعند ذلك أخذ السيف وهزه ثم ضربه على رأسه المكرم الشريف، ف وقعت الضربة على الضربة التي ضربه عمرو بن عبد ود العامري، ثم أخذت الضربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود. فلما أحس الإمام بالضرب لم يتأوه وصبر واحتسب، ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلاً: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله»، ثم صاح وقال: «قتلني ابن ملجم، قتلني اللعين ابن اليهودية ورب الكعبة. أيها الناس، لا يفوتنكم ابن ملجم». وسار السم في رأسه وبدنه، وثار جميع من في المسجد في طلب الملعون وماجوا بالسلاح، فما كنت أرى إلا صفق الأيدي على الهامات وعلو الصرخات، وكان ابن ملجم

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٢) سورة مريم: ٩٠.

ضربه ضربة خائفاً مرعوباً ثم ولى هارباً وخرج من المسجد.. وأحاط الناس بأمير المؤمنين عليه السلام وهو في محرابه يشد الضربة، ويأخذ التراب ويضعه عليها ثم تلا قوله تعالى:

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(١).

- ثم قال عليه السلام: - جاء أمر الله وصدق رسول الله ﷺ.

ثم إنه لما ضربه الملعون ارتجت الأرض، وماجت البحار والسموات، واصطفقت أبواب الجامع، قال: وضربه اللعين شبيب بن بجرة فأخطأ ووقعت الضربة في الطاق.

قال الراوي: فلما سمع الناس الضجة ثار إليه كل من كان في المسجد، وصاروا يدورون ولا يدرون أين يذهبون من شدة الصدمة والدهشة، ثم أحاطوا بأمير المؤمنين عليه السلام وهو يشد رأسه بمئزره والدم يجري على وجهه ولحيته، وقد خضبت بدمائه وهو يقول: «هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله».

قال الراوي: فاصطفقت أبواب الجامع، وضجت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة، ونادى جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ:

«تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتل ابن عم محمد المصطفى، قُتل الوصي المجتبي، قُتل علي المرتضى، قُتل والله سيد الأوصياء، قُتل أشقى الأشقياء».

قال: فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرئيل لطمت على وجهها وخدها وشقت جيها وصاحت: «واأبتاه، واعلياه، وا محمداه، واسيداه»^(٢).

(١) سورة طه: ٥٥.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٨٠-٢٨٢ ب ١٢٧.

مع الأصبغ بن نباتة

روى الشيخ المفيد رحمته الله في (أماليه): عن الأصبغ بن نباتة العبدى، قال: لما ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام غدونا عليه نفر من أصحابنا: أنا والحارث وسويد بن غفلة وجماعة معنا فقعدنا على الباب، فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن علي عليه السلام فقال: «يقول لكم أمير المؤمنين عليه السلام: انصرفوا إلى منازلكم». فانصرف القوم غيري واشتد البكاء من منزله فبكيت، فخرج الحسن عليه السلام فقال: «ألم أقل لكم انصرفوا».

فقلت: لا والله يا ابن رسول الله ما تتابعني نفسي، ولا تحملني رجلي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: فتلبث فدخل ولم يلبث أن خرج فقال لي: «ادخل»، فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء، قد نرف واصفر وجهه، ما أدري وجهه أصفر أو العمامة، فأكبت عليه فقبلته وبكيت، فقال لي: «لا تبك يا أصبغ؛ فإنها والله الجنة». فقلت له: جعلت فداك، إني أعلم والله إنك تصير إلى الجنة، وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين. جعلت فداك، حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فإني أراني لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً.

فقال: «نعم يا أصبغ، دعاني رسول الله ﷺ يوماً فقال لي: يا علي، انطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد على منبري ثم تدعو الناس إليك، فتحمد الله عز وجل وتثني عليه وتصلي عليّ صلاة كثيرة ثم تقول: أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره».

فأتيت مسجده وصعدت منبره، فلما رأتني قريش ومن كان في المسجد أقبلوا

نحوي، فحمدت الله وأثنت عليه وصليت على رسول الله ﷺ صلاة كثيرة، ثم قلت: أيها الناس، إني رسولُ رسولِ الله إليكم وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائحته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي: على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره.

قال: فلم يتكلم أحد من القوم إلا عمر بن الخطاب فإنه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن، ولكنك جئت بكلام غير مفسر. فقلت: أبلغ ذلك رسول الله ﷺ. فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: ارجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله وأثن عليه وصل عليّ ثم قل: أيها الناس، ما كنا لنجيئكم بشيء إلا وعندنا تأويله وتفسيره^(١).. ألا وإني وأنت أبوا هذه الأمة، فمن عنا فلعنة الله عليه، وإني وأنت موليا هذه الأمة فعلى من أبق عنا لعنة الله، ألا إني وأنت أجيرا هذه الأمة فمن ظلمنا أجرتنا فلعنة الله عليه، ثم قال آمين، فقلت: آمين^(٢).

وروى الراوندي في (الخرائج): عن عمرو بن الحمق، قال: دخلت على علي عليه السلام حين ضرب الضربة بالكوفة فقلت: ليس عليك بأس إنما هو خدش. قال عليه السلام: «لعمري إني لمفارقكم». ثم أغمي عليه فبكت أم كلثوم، فلما أفاق قال: «لا تؤذيني يا أم كلثوم فإنك لو ترين ما أرى، إن الملائكة من السماوات السبع بعضهم خلف بعض والنبيين عليهم السلام يقولون: انطلق يا علي فما أمامك خير لك مما أنت فيه»^(٣).

(١) الأمايلي للمفيد: ج ٣٥١-٣٥٣ المجلس ٤٢ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٤٥ ب ٩١ ح ٨٢.

(٣) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٧٨ ب ٢.

من وصاياهم عليهم السلام الأخيرة

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصية لولديه الحسن والحسين عليهما السلام عند قرب وفاته: «أوصيكمما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحق، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم».

عليكم بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام». وإن البغض محق الدين وفساد ذات البين ولا قوة إلا بالله، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب.

الله الله في الأيتام، لا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار».

الله الله في القرآن، فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم.

الله الله في جيرانكم؛ فإن الله ورسوله ﷺ أوصيا بهم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

الله الله في بيت ربكم، فلا يخلون منكم ما بقيتم؛ فإنه إن ترك لم تناظروا.

الله الله في الصلاة؛ فإنها خير العمل، وإنها عمود دينكم.

الله الله في الزكاة؛ فإنها تطفئ غضب ربكم.

الله الله في صيام شهر رمضان؛ فإن صيامه جنة من النار.

الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وألستكم؛ فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان: إمام هدى، ومطيع له مقتد بهداه.

الله الله في ذرية نبيكم ﷺ فلا يظلمن بين أظهركم.

الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً، ولم يؤووا محدثاً؛ فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم.

الله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معاشكم.

الله الله في النساء وما ملكت أيانكم؛ فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «أوصيكم بالضعيفين، نسائكم وما ملكت أيانكم».

ثم قال: الصلاة الصلاة الصلاة، ولا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عز وجل.

ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

وعليكم بالتواصل والتبادل والتبار، وإياكم والتقاطع والتدابير والفرق، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم^(٢).

وروي: إنه عليه السلام دعا الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال لهما: «أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وأن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما منها، وقولا الحق، وارجحاً اليتيم، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم».

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية عليه السلام فقال: «هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟». قال: نعم.

(١) سورة المائدة: ٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٨٩-١٩١ باب رسم الوصية ح ٥٤٣٣.

قال: «فإني أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخوك العظيم حقهما عليك ولا تقطع دونهما أمراً. ثم قال - أوصيكما به؛ فإنه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما إن أباكما كان يحبه».

وقال عليه السلام للحسن عليه السلام: «أوصيك أي بني بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش»^(١).

ثم قال عليه السلام للحسن عليه السلام: «أبصروا ضاربي أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي. ثم قال عليه السلام للحسن عليه السلام: إذا أنا مت فلا تغال في كفني، وصل عليّ وكبر عليّ خمساً وغيب قبري»^(٢).

توصيةً بقاتله!

كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أباً رحيماً للجميع، حتى أنه أخذ يوصي بقاتله ابن ملجم (لعنه الله) ويأمر برعايته.

فقال عليه السلام لولده الحسن عليه السلام وهو يوصيه بوصاياهِ الأخيرة: «أبصروا ضاربي، أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي!».

كما كان يرسل إلى قاتله من اللبن المهداة إليه، وفي البحار: لما أفاق - أمير المؤمنين عليه السلام - ناوله الحسن عليه السلام قعباً من لبن، فشرب منه قليلاً ثم نحاه عن فيه. وقال: «احملوه إلى أسيركم. ثم قال للحسن عليه السلام - بحقي عليك يا بني إلا ما طيتم مطعمه ومشربه، وارفقوا به إلى حين موتي، وتطعمه مما تأكل، وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه».

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ٤٣١ في ذكر قتله ومدة خلافته وذكر عدد أولاده عليهم السلام.

(٢) كشف الغمة: ج ١ ص ٤٣٣ في ذكر قتله ومدة خلافته وذكر عدد أولاده عليهم السلام.

فعند ذلك حملوا إليه اللبن وأخبروه بما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقه ، فأخذ اللعين وشربه ^(١).

وفي رواية : أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابنه الحسن عليه السلام : « يا بني ، أنت ولي الأمر من بعدي وولي الدم ، فإن عفوتَ فلك ، وإن قتلتَ فضرية مكان ضربة » ^(٢).

وفي كلام آخر له (عليه الصلاة والسلام) : أنه حثهم على أن لا يقتصوا من ابن ملجم ، ويعفوا عنه ، وإن أعطاهم الحق في القصاص ^(٣).

ثم إن الإمام الحسن عليه السلام أجرى القصاص تلبية لضغط الناس وطلب الجماهير ، ورأفة بابن ملجم وإلا لأخذه الناس وقتلوه شر قتلة ^(٤).

وفي بعض الروايات قال علي عليه السلام وهو يوصي بقاتله : « قد ضربني فأحسنوا إليه وألينوا له فراشه ؛ فإن أعش فهضم » ^(٥) أو قصاص ، وإن أمت فعاجلوه ؛ فإنني مخاصمه عند ربي عزوجل ^(٦).

عاجلوه : أي لا تؤخروه ، فإما العفو وإما القصاص. أما تأخير المجرم وسجنه وعدم البت في أمره فهو على خلاف حقوق السجناء والمجرمين.

وفي قوله عليه السلام : « فإنني مخاصمه عند ربي » دلالة على عدم جواز تعذيب المجرم وإيذائه بغير المقرر شرعاً ؛ فإن الآخرة هي دار الجزاء ، والحاكم هو الله العادل القادر القاهر الذي لا يفوته شيء.

(١) بحار الأنوار : ج ٤٢ ص ٢٨٩ ب ١٢٧.

(٢) الكافي : ج ١ ص ٢٩٩ باب الإشارة والنص على الحسن بن علي عليه السلام ح ٥.

(٣) نهج البلاغة ، الرسائل : رقم ٢٣ ومن كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

(٤) روضة الواعظين : ج ١ ص ١٣٤ مجلس في ذكر وفاة أمير المؤمنين عليه السلام.

(٥) أي عفو ، وفي اللغة : هضمت من حقي طائفة : أي تركته.

(٦) المستدرک ، للحاكم النيسابوري : ج ٣ ص ١٤٤ ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

لا لإراقة الدماء

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في آخر لحظات حياته :

«يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون :
قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتلن بي إلا قاتلي. انظروا إذا أنا متّ من ضربتي هذه
فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثل بالرجل؛ فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه
 وآله) يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»^(١).

(١) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٤٧ ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليه السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

خضر عليه السلام ينعاه

عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله ﷺ قال :

لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتج الموضع بالكاء ، ودهش الناس كيوم قبض النبي ﷺ وجاء رجل باكياً وهو مسرع مسترجع ، وهو يقول : «اليوم انقطعت خلافة النبوة» حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال :

«رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، كُنْتَ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا ، وَأَخْلَصَهُمْ إِيْمَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وَأَخَوْفَهُمْ لِلَّهِ ، وَأَعْظَمَهُمْ عَنَاءً ، وَأَحْوَطَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَمَنَّهُمْ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَأَفْضَلَهُمْ مَنَاقِبَ ، وَأَكْرَمَهُمْ سَوَاقٍ ، وَأَرْفَعَهُمْ دَرَجَةً ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَشْبَهُهُمْ بِهِ هَدْيًا وَخَلْقًا وَسَمْتًا وَفِعْلًا ، وَأَشْرَفَهُمْ مَنْزِلَةً ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ . فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا - إِلَى أَنْ قَالَ - فَالْحَقَّ اللَّهُ بِنَبِيِّهِ ، وَلَا أَحْرَمْنَا أَجْرَكَ ، وَلَا أَضَلْنَا بَعْدَكَ» .

وسكت القوم حتى انقضى كلامه ويكى ، ويكى أصحاب رسول الله ﷺ ثم طلبوه فلم يصادفوه^(١) .

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٥٤-٤٥٦ باب مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه ح ٤ .

وهذه الزيارة مروية عن النبي خضر عليه السلام انظر بيان العلامة المجلسي في بحار الأنوار : ج ٩٧ ص ٣٥٦ ب ٥ زيارته صلوات الله عليه المختصة بالأيام والليالي ، منها زيارة يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان .

دفن الإمام عليه السلام

وصى أمير المؤمنين عليه السلام الحسن والحسين عليه السلام بإخفاء قبره فقال: «إذا مت فاحملاني إلى الغري من نجف الكوفة، واحملا آخر سريري فالملائكة يحملون أوله». وأمرهما أن يدفناه هناك ويعفيا قبره، لما يعلمه من دولة بني أمية بعده، وقال: «ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً»، فاحتفرا فوجدوا ساحة مكتوباً عليها: «مما ادخرها نوح لعلي بن أبي طالب عليه السلام». فدفناه فيه وعفيا أثره، ولم يزل قبره مخفياً حتى دل عليه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في أيام الدولة العباسية. ولما قُتل أمير المؤمنين عليه السلام قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفاً من بني أمية أن يحدثوا في قبره حدثاً، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة - وهي ليلة دفنه - إيهامات مختلفة، فشدوا على جمل تابوتاً موثقاً بالحبال يفوح منه روائح الكافور وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل صحبة ثقاتهم، يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة عليها السلام.

وأخرجوا بغلاً وعليه جنازة مغطاة يوهمون أنهم يدفنونه بالخير.

وحفروا حفائر عدة منها بالمسجد، ومنها برحبة قصر الإمارة، ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي، ومنها في أصل دار عبد الله بن يزيد القسري بمحذا باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد، ومنها في الكناسة، ومنها في الثوية. فعمي على الناس موضع قبره، ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه، فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر فدفنوه في النجف بالموضع المعروف بالغري.

وفي التاريخ: أنه خرج هارون العباسي يوماً يصيد، وأرسل الصقور والكلاب على الطباء بجانب الغرين، فجادلتها ساعة ثم لجأت الطباء إلى الأكمة، فرجع الكلاب والصقور عنها، فسقطت في ناحية ثم هبطت الطباء من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب ترجع إليها، فتراجعت الطباء إلى الأكمة فانصرف عنها الصقور والكلاب، ففعلن ذلك ثلاثاً.

فتعجب هارون وسأل شيخاً من بني أسد: ما هذه الأكمة؟.

فقال: لي الأمان؟.

قال: نعم.

قال: فيها قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فتوضأ هارون وصلى ودعا، ثم أظهر الصادق عليه السلام موضع قبره بتلك الأكمة.

أولاد الإمام عليه السلام

قال بعض المؤرخين: إن عدد أولاد أمير المؤمنين عليه السلام خمسة وعشرون. وقال الشيخ المفيد رحمه الله في (الإرشاد): إنهم سبعة وعشرون ما بين ذكر وأنثى^(١). وقال بعضهم: ثلاثة وثلاثون.

وقد رُزق الإمام عليه السلام من الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ستة وهم: الحسن والحسين ومحسن السقط، وزينب وأم كلثوم^(٢) وسكينة عليها السلام^(٣).

ورُزق من أم البنين فاطمة الكلابية عليها السلام أربعة وهم: العباس وعون وجعفر وعثمان عليها السلام، وقد استشهدوا يوم عاشوراء في نصرة أخيهام الحسين عليه السلام. ورُزق من خولة الحنفية: محمد الأكبر عليه السلام المكنى بأبي القاسم المعروف بابن الحنفية، وله مقام كبير وشأن عظيم، أخبر بولادته النبي صلى الله عليه وآله وقال لعلي عليه السلام: «سيولد لك ولد سمّه باسمي وكنّه بكنتي»^(٤).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: تأبى المحامدة أن يعصى الله عز وجل، وهم: محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن الحنفية»^(٥). أما أنه لماذا لم يذهب مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، فالظاهر أن الإمام عليه السلام أمره بالبقاء وأودع عنده بعض ودائع الإمامة لكي يسلمها إلى زين العابدين عليه السلام، وهكذا الحال بالنسبة إلى أم البنين عليها السلام حيث بقيت في المدينة بأمر من السيدة زينب عليها السلام.

(١) الإرشاد: ج ١ ص ٣٥٤ باب ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وعددهم وأسمائهم ومختصر من أخبارهم.

(٢) وهي زينب الصغرى.

(٣) راجع كتاب (الدعاء والزيارة) للإمام الشيرازي رحمه الله: ص ١٠٤٥ فصل في زيارة السيدة زينب عليها السلام.

(٤) راجع الخرائج والجرائع: ج ١ ص ٦٦ ب ١ فصل من روايات العامة.

(٥) رجال الكشي: ص ٧٠ محمد بن أبي حذيفة ح ١٢٥.

زيارة الإمام عليه السلام

عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك، فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلموا عليه، ثم أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلموا عليه، ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلموا عليه، ثم عرجوا وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة».. وقال عليه السلام:

«من زار قبر أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقه غير متجبر ولا متكبر، كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبُعث من الآمنين، وهون عليه الحساب، واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيعته إلى منزله، فإن مرض عادوه، وإن مات شيعوه بالاستغفار إلى قبره»^(١).

وعن أبي وهب القصري، قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، أتيك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام. فقال عليه السلام: «بئس ما صنعت، لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة، يزوره الأنبياء عليهم السلام، يزوره المؤمنون».

قلت: جعلت فداك، ما علمت ذلك.

قال عليه السلام: «فاعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام عند الله أفضل من الأئمة عليهم السلام».

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣٧٥ ب ٢٣ ح ١٩٤١٩.

كلهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فضلوا»^(١).

وعن المفضل بن عمر الجعفي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إني أشتاق إلى الغري.

قال عليه السلام: «فما شوقك إليه؟».

فقلت: إني أحب أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال عليه السلام: «هل تعرف فضل زيارته؟».

فقلت: لا يا ابن رسول الله إلا أن تعرفني ذلك.

قال عليه السلام: «إذا زرت أمير المؤمنين فاعلم أنك زائر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام». فقلت: إن آدم هبط بسرانديب في مطلع الشمس، وزعموا أن عظامه في بيت الله الحرام، فكيف صارت عظامه بالكوفة؟! قال عليه السلام: «إن الله عز وجل أوحى إلى نوح وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً، فطاف بالبيت كما أوحى إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبته فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام، فحمله في جوف السفينة حتى طاف ما شاء الله أن يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ف فيها قال الله تعالى للأرض: ﴿ابْلَعِي مَاءَكُمْ﴾^(٢)، فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء منه، وتفرق الجمع الذي كان مع نوح في السفينة، فأخذ نوح عليه السلام التابوت فدفنه في الغري، وهو قطعة من الجبل الذي كلم الله موسى تكليماً، وقدس عليه عيسى تقديساً، واتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً حبيباً، وجعله للنبيين مسكناً. والله ما سكن فيه بعد أبويه الطيبين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين، فإذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنك زائر الأنبياء الأولين ومحمداً خاتم النبيين وعلياً سيد الوصيين، وإن زائرته

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٢٠ ب ٧ ح ٢.

(٢) سورة هود: ٤٤.

يفتح الله له أبواب السماء عند دعوته فلا يكن عن الخير نوماً»^(١).

وعن جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه محمد بن علي عليه السلام، عن أبيه علي بن الحسين بن علي عليه السلام، قال: قال الحسين (صلوات الله عليه) لرسول الله ﷺ: «يا أبتاه، ما لمن زارنا؟».

قال ﷺ: يا بني، من زارني حياً وميتاً، ومن زار أباك حياً وميتاً، ومن زارك حياً وميتاً، ومن زار أخاك حياً وميتاً، كان حقيق علي أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه وأدخله الجنة»^(٢).

وعن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة، وإن إلى جانبها قبراً لا يأتيه مكروب فيصلّي عنده أربع ركعات إلا رجع الله مسروراً بقضاء حاجته»^(٣).

أقول: أي إن أهل الكوفة هم أول من قبلوا الولاية.

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن إلى جانب كوفان قبراً ما أتاه مكروب قط فصلّي عنده ركعتين أو أربع ركعات إلا نفس الله عنه كربته وقضى حاجته». قلت: قبر الحسين بن علي عليه السلام؟ فقال عليه السلام برأسه: «لا».

فقلت: فقبر أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال عليه السلام برأسه: «نعم»^(٤).

وعن الحسين بن إسماعيل الصيمري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من زار أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجة وعمرة، فإن رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين»^(٥).

(١) جامع الأخبار: ص ٢٠-٢١ ف ٩.

(٢) انظر ثواب الأعمال: ص ٨٣ ثواب من زار النبي ﷺ وأمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين).

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٥٩ ب ٣ ح ٧.

(٤) فرحة الغري: ص ٦٥-٦٦ ب ٦.

(٥) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٢٠ ب ٧ ح ٣.

وعن الحسين بن محمد بن مالك، عن أخيه جعفر، عن رجاله يرفعه، قال: كنت عند جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقد ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال ابن مارد لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار جدك أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال عليه السلام: «يا ابن مارد، من زار جدي عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة وعمرة مبرورة. والله يا ابن مارد، ما تطعم النار قدماً تغبرت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كان أو راكباً. يا ابن مارد، اكتب هذا الحديث بماء الذهب»^(١).

وعن حسان بن مهران الجمال، قال: قال جعفر بن محمد عليه السلام: «يا حسان، أتزور قبور الشهداء قبلكم؟». قلت: أي الشهداء! قال عليه السلام: «علي وحسين». قلت: إنا لنزورهما فنكشر. قال عليه السلام: «أولئك الشهداء المرزوقون، فزوروهم وافزعوا عندهم بحوائجكم، فلو يكونون منا كموضعهم منكم لاتخذناهم هجرة»^(٢).

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣٧٦-٣٧٧ ب ٢٣ ح ١٩٤٢١.

(٢) فرحة الغري: ص ٧٩ ب ٦.

من روايات الإمام عليه السلام

كان أمير المؤمنين عليه السلام سيد الفصحاء وإمام البلغاء، فكان كلامه بعد كلام الرسول ﷺ فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، حتى قال معاوية في حقه: «والله ما سن الفصاحة لقريش غيره»^(١).

وإليك درر من كلماته الشريفة:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»^(٢).
وقال عليه السلام: «أَزْرَىٰ بِنَفْسِهِ مَن اسْتَشْعَرَ الطَّمَع، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَن كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَن أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ»^(٣).
وقال عليه السلام: «الْبُخْلُ عَارٌ، وَالْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ، وَالْفَقْرُ يَخْرِسُ الْفُطْنَ عَنْ حُجَّتِهِ، وَالْمَقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلَدَتِهِ».
وقال عليه السلام: «الْعَجْزُ آفَةٌ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَالزُّهْدُ ثَرَوَةٌ، وَالْوَرَعُ جَنَّةٌ، وَنِعَمَ الْقَرِينُ الرِّضَا».
وقال عليه السلام: «الْعِلْمُ وَرَائَةُ كَرِيمَةٍ، وَالْآدَابُ حُلٌّ مُجَدَّدَةٌ، وَالْفِكْرُ مِرَاةٌ صَافِيَةٌ».

وقال عليه السلام: «صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، وَالْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ، وَالْإِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ». وروى أنه عليه السلام قال في العبارة عن هذا المعنى أيضاً: «الْمَسْأَلَةُ خِبَاءُ الْعُيُوبِ، وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخِطُ عَلَيْهِ».

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤٦ ب ١٠٧.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٨١.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٣٠-١.

وقال عليه السلام: «وَالصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُسَبُّ أَعْيُنُهُمْ فِي آجَالِهِمْ».

وقال عليه السلام: «اعْجِبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ: يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرَمٍ».

وقال عليه السلام: «إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ».

وقال عليه السلام: «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حُنُوا إِلَيْكُمْ».

وقال عليه السلام: «إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ».

وقال عليه السلام: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ».

وقال عليه السلام: «إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُتَفَرَّوْا أَفْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ».

وقال عليه السلام: «مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأُبْعَدُ».

وقال عليه السلام: «تَدَلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْيِيرِ».

وسئل عليه السلام عن قول الرسول ﷺ: «غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ؟».

فقال عليه السلام: «إِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ وَالْدِّينُ قُلٌّ، فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وَضُرِبَ بِجِرَانِهِ فَامْرُؤٌ وَمَا اخْتَارَ».

وقال عليه السلام: «فِي الَّذِينَ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ مَعَهُ: «خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ».

وقال عليه السلام: «مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ».

وقال عليه السلام: «قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخِيْبَةِ، وَالْحَيَاءُ بِالْجِرْمَانِ، وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ

السَّحَابِ، فَانْتَهَزُوا فُرْصَ الْخَيْرِ».

وقال عليه السلام: «مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

وقال عليه السلام: «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ: إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنْ الْمَكْرُوبِ». وقال عليه السلام: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سَبَّحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرُهُ».

وقال عليه السلام: «مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ». وقال عليه السلام: «أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ».

وقال عليه السلام: «إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارِ الْمَوْتِ وَإِقْبَالِ مَا أَسْرَعَ الْمُلتَقَى». وقال عليه السلام: «الْحَذَرُ الْحَذَرُ! فَوَ اللَّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَانَهُ قَدْ غَفَرَ».

وقال عليه السلام: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، التَّسْبِيحُ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ يَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ يَمْلَأُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْوُضُوءُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، وَالصُّومُ نِصْفُ الصَّبْرِ»^(١).

وقال عليه السلام: «طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ وَالِدَعَاءَ، وَلَمْ يَشْغَلْ قَلْبَهُ بِمَا تَرَى عَيْنَاهُ، وَلَمْ يَنْسَ ذِكْرَ اللَّهِ بِمَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ، وَلَمْ يَحْزَنْ صَدْرُهُ بِمَا أُعْطِيَ غَيْرُهُ»^(٢). إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة^(٣).



وهذا آخر ما أردنا بيانه في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قم المقدسة / ١٤١٠ هـ

محمد الشيرازي

(١) الجعفریات: ص ١٦٩ باب الذكر.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٢٩ ب ٥٤ ح ٥، والبحار: ج ٨١ ص ٢٦١ ب ١٦ ضمن ح ٥٩.

(٣) للتفصيل انظر (موسوعة الكلمة: كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ و ٢) لآية الله الشهيد السيد حسن

مؤلفات الإمام الشيرازي الراحل قدس سره

حول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

- أشعة من أمير المؤمنين عليه السلام
- الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عليه السلام
- حكومة الرسول ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام
- عدالة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
- عيد الغدير أعظم الأعياد في الإسلام
- فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
- كذري كوتاه بر زندكي وزمان حضرت أمير المؤمنين عليه السلام / فارسي
- من حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام / ما بين يديك
- من سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
- من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام
- نحن والإمام أمير المؤمنين عليه السلام

الفهرس

٥	المقدمة
٦	النسب الشريف
١١	الولادة المباركة
١٤	النبي ﷺ يريه عليه السلام ويغذيه
١٦	أول المسلمين والمؤمنين
٢٢	ليلة المبيت
٢٥	الزواج المبارك
٢٨	المواخاة
٣١	أخلاق الإمام عليه السلام
٣٩	علم الإمام عليه السلام
٤٥	عبادة الإمام عليه السلام
٤٧	زهد الإمام عليه السلام
٥٣	عدل الإمام عليه السلام
٥٦	شجاعة الإمام عليه السلام
٥٩	هكذا يكون الحاكم الإسلامي
٦٢	مع المظلوم دائماً
٦٧	حق الرعية
٧٠	لا قصاص قبل الجناية
٧٦	مع المنافقين
٧٧	مع الكفار والمشركين
٧٨	ولاية أمير المؤمنين عليه السلام
٨١	مكانة القرآن الكريم
٨٤	متزلة أهل البيت عليه السلام
٨٦	آيات في فضل الإمام عليه السلام
٨٩	روايات في فضل الإمام عليه السلام
٩٣	حرب الجمل
١٠٢	حرب صفين
١١٥	حرب النهروان
١١٩	اللين واللاعنف

١٢٠.....	بيت المال.....
١٢٣.....	الحياء والعفة.....
١٢٦.....	الشورى والاستشارة.....
١٢٩.....	العلم والعلماء.....
١٣٢.....	التعددية.....
١٣٣.....	الحريات الإسلامية.....
١٣٥.....	حقوق المعارضة.....
١٣٩.....	المرأة وحقوقها.....
١٤٣.....	الشعائر الدينية.....
١٤٦.....	الشعائر الحسينية.....
١٥٢.....	صفة المؤمن.....
١٥٥.....	الحث على الزواج.....
١٥٧.....	مع الشباب.....
١٥٩.....	في تناول الفقراء.....
١٦١.....	جهاد النفس ومخالفة الهوى.....
١٦٤.....	تكریم الإنسان.....
١٦٧.....	من هم شيعة علي عليه السلام ؟.....
١٧٠.....	فصح البلاغة.....
١٧٥.....	قصة الغدير.....
١٧٨.....	من معاجز الإمام عليه السلام
١٨٣.....	استشهاد الإمام عليه السلام
١٩٠.....	من وصاياه عليه السلام الأخيرة.....
١٩٦.....	دفن الإمام عليه السلام
١٩٨.....	أولاد الإمام عليه السلام
١٩٩.....	زيارة الإمام عليه السلام
٢٠٣.....	من روايات الإمام عليه السلام